روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً !!

د. نبيل فاروق

147

الصحوة الكبرى

Looloo www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ كابـوس ..

من المؤكَّد أن الظلام لم يكن أبدًا دامسًا مثلما كان فى تلك الليلة التى غاب فيها القمر ، خلف غيوم سوداء كثيفة ، لم تشهد الأرض مثلها قط ..

غيوم سميكة ..

قاتمة ..

ثقيلة ..

غيوم بـدت ، وكأنها تجثم على أنفاس (سلوى) التى تقطع ذلك الطريق الطويـل ، الممتد إلى أمد البصر ، وكل ذرة فى كيانها ترتجف ..

وترتجف ..

وترتجف ..

رعب هائل ، ذلك الذى سرى فى عروقها ، وغص بـه حلقها ، وانتفض له قلبها ، مع شعورها الرهيب بالوحدة ..

بالعـزلة ..

بالضياع ..

وبكل الهلع والارتياع فى أعماقها ، هتفت :

ـ (نور) .. أين أنت يا (نور) ؟!

كم افتقدت زوجها ورفاقها ، فى تلك اللحظات العصيبة ، وهى تتلفت حولها ، وقلبها يخفق ..

ويخفق ..

ويخفق ..

إنها لاتدرى حتى كيف وصلت إلى هذا المكان !!

إلى هذا التيه ، المتشابك الطرقات ، المعقد المسالك ، الذى يختبئ الخوف والرعب خلف كل منحنى فيه !!

كيف جاءت ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

آخر ماتتذكره هو أنها كانت تعمل ، فى مختبرها الخاص ، فى مقر الفريق الجديد ، بعد أن انهار المقر القديم ، مع انسحاق مبنى المخابرات العلمية المصرية بأكمله ، فى العملية السابقة(*) ..

(*) راجع قصة (البقعة المظلمة) .. المغامرة رقم (١٤٦) .

كل شىء كان يسير على ما يرام ..

كل شىء ..

ثم فجأة ، سمعت تلك الصرخة ..

صرخة قوية ، رهيبة ، تحمل ألم وذعر وعذاب الدنيا كلها ..

وتحمل أيضًا صوت ابنتها ..

صوت (نشوى) ..

وبكل لوعة وارتياع الأم ، هبت من مقعدها ، واندفعت خارج معملها ، وهى تصرخ :

ـ (نشوى) ؟! ماذا حدث يا (نشوى) ؟! ماذا حدث ؟!

دفعت باب المعمل ، ووثبت خارجه ، و ..

ووجدت نفسها هناك ..

فى ذلك الشارع المظلم الرهيب ..

ولم تدر كيف قادها معملها إليه ؟!

لم تدر أبدًا !

فالمفترض أن يقودها ذلك المعمل إلى ممر طويل ، يضم حجرات رفاقها ، وينتهى بحجرة مكتب (نور) ..

المقدّم (نور الدين محمود) ، ضابط المخابرات العلمية الأشهر ..

وزوجها ..

ولثوان ، تجمّدت فى مكانها ، وهى تحدّق فى الشارع المظلم الطويل ، بكل رعب الدنيا ، وصرخات ابنتها (نشوى) تتواصل ، وتتباعد ..

وتتباعد ..

وتتباعد ..

ومرة أخرى ، صاحت بكل لوعتها :

ـ (نشوى) ؟! أين أنت ؟!

فى هذه المرة ، بدا صوتها وكأنه يضيع فى فراغ عميق ..

عميق إلى أقصى حد ..

أما صرخات ابنتها ، فقد راحت تخفت ..

وتخفت ..

وتخفت ..

كما لو أنها تضيع وسط الفراغ ..

وسط الظلام ..

ووسط الخوف ..

وبكل ما يعتمل فى نفسها من مشاعر ، أرادت أن تجرى ؛ للحاق بابنتها ..

أرادت أن تجرى ..

وتجرى ..

وتجرى ..

ولكنها لم تكن تدرى حتى من أين يأتى الصوت !

ولا أين ذهب !

حتى قدماها كانتا ثقيلتين ..

مرهقتين ..

جامدتين ..

وبكل مرارة نفسها ، هتفت :

ـ لا .. ليس (نشوى) .. ليس (نشوى) ..

ثم راودتها فجأة فكرة جديدة !

إنه كابوس ..

نعم .. هو حتمًا كابوس ..

الانتقال من المعمل إلى شارع مظلم مهجور ..

الظلام الدامس ..

صرخات (تشوى) غير محدودة المصدر ..

نعم .. هو كابوس ..

كابوس دون أدنى شك ..

كل ما عليها إذن هو أن تجاهد للخروج منه ..

للاستيقاظ ..

عندئذ ينتهى كل شىء ..

كل شىء ..

المهم أن تستيقظ ..

ولكن كيف ؟!

كيف ؟!

(رمزى) أخبرها ذات مرة ، باعتباره خبيرًا نفسيًا ، أن أفضل وسيلة لتجاوز أى كابوس ، هو أن يكشف المرء أمره ..

أن يدرك أنه كابوس ..

بهذا فقط يتحطَّم ..

وينهار ..

ويتلاشى ..

وهاهى ذى قد كشفت أمره ..

وأدركت هويته ..

لماذا بقى إذن ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

تركَّزت كل أفكارها حول هذه النقطة ، وأحاط بها صمت ثقيل رهيب ، و ....

وفجأة ، انطلقت تلك الضحكة ..

وانتفض جسدها بمنتهى العنف ..

الضحكة كانت عالية ..

مجلجلة ..

ساخرة ..

شامتة ..

ظافرة ..

شرسة ..

ووحشية ..

كانت أكثر الضحكات ، التى سمعتها فى حياتها ، شرًا وشيطانية ..

ولقد انتفض جسدها ..

وانتفض ..

وانتفض ..

ثم تجمدت كل ذرة من كيانها رعبًا ، مع ذلك الصوت العميق المخيف ، الذى تردد فى كل مكان حولها ..

وحتى فى أعمق أعماقها ..

تردد قائلاً بكل المشاعر السالف ذكرها :

ـ إنه ليس كابوسًا .

امتقع وجهها ، وشحب جسدها كله ، وكأنما تبخرت الدماء من عروقها ، وهى تقول فى ارتياع :

ـ ليس كابوسًا ؟! مستحيل !

تابع ذلك الصوت الرهيب :

ـ إنه أنا ..

وفى هذه المرة ، لم ينتفض جسدها فحسب ..

لقد انتفض كيانها ..

ووجودها ..

وكل ذرة فى جسدها ..

وكل قطرة دم فى عروقها ..

انتفضت من جسدها ، وحتى أعمق أعماق روحها ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخت :

ـ أنت ؟! مستحيل !

ترددت تلك الضحكة الرهيبة مرة ثانية ..

وترددت ..

وترددت ..

ثم عاد وجودها كله ينتفض ، مع شعورها بأصابع باردة كالثلج ، تنغرس فى كتفها ، وتجبرها على الاستدارة ، فاستدارت ، و ...

ولم تصرخ ..

أو حتى تنتفض ..

بل تجمدت ..

تجمدت تماما ، وكأنما تحولت ، فى جزء من الثانية ، إلى تمثال من الثلج ، وهى تحدق فى ذلك الوجه أمامها ..

وجه رهيب ، لرجل أصلع ، مشقوق الجمجمة ، المزدوجة ، يتطلع إلى عينيها مباشرة بنظرة ساخرة ظافرة وحشية ، بعيونه الثلاث ..

نعم .. زوج من الأعين الطبيعية ، وعين ثالثة هناك ..

فى منتصف الجبهة تماما ..

ومع تلك النظرة ، نطق بصوته الرهيب :

ـ لقد عدت .

وعندئذ .. عندئذ فقط ، انطلقت صرختها ..

انطلقت منها أقوى صرخة تجاوزت حلقها ، فى حياتها كلها ..

ـ « (سلوى) ؟!!! يا إلهى ! (سلوى) ؟! »

وثب (نور) من مقعده ، داخل مقر الفريق ، فى مبنى المخابرات العلمية الاحتياطى ، واندفع بكل ذعره ولوعته نحو زوجته ، التى راحت تنتفض بمنتهى العنف ، وتصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

واحتواها هو بين ذراعيه فى سرعة ، هاتفا :

ـ رباه ! ماذا أصابك ؟! ماذا حدث ؟!

أما زميله (رمزى) ، فقد تجمد فى مقعده ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، دون أن ينبس ببنت شفة ، من فرط المفاجأة

والانفعال ، وهو يحدّق فى (سلوى) ، التى فتحت عينيها فجأة ، وهى بين ذراعى (نور) ، وبدا عليها رعب هائل ، وهى تتطلع فيما حولها ، قبل أن تهتف بصوت مختنق مبحوح :

ـ أين أنا ؟!

ربّت عليها (نور) ، محاولاً تهدئتها ، وهو يقول :

ـ أنت هنا يا عزيزتى .. بيتنا .. فى مقرنا الاحتياطى .. كل شىء على ما يرام .. كل شىء .

رفعت عينيها إليه بنفس الرعب ، ثم تلفّتت حولها فى ارتياع ، قبل أن تتشبث به فى هلع ، صارخة :

ـ (نشوى) .. أين (نشوى) ؟!

اقتحمت (نشوى) المكان فى هذه اللحظة ، هاتفة فى لوعة :

ـ أنا هنا يا أمى .. رباه ! ماذا حدث ؟! لقد سمعت صرختك من نهاية الرواق ، فانطلقت أعدو مذعورة إلى هنا .

سألتها (سلوى) ، فى ذعر شديد :

ـ أأنت بخير ؟!

أجابتها (نشوى) ، والدموع تتفجّر من عينيها :

ـ بالتأكيد يا أمى .. بالتأكيد .. ولكن دعينى أسألك أنا السؤال نفسه .. أأنت بخير ؟!

لم تفارقها نظرة الرعب فى عينيها ، وهى تدير بصرها مرة أخرى فيما حولها ، وتتشبّث بزوجها وابنتها أكثر وأكثر ، ثم لم تلبث أن أطلقت ، من أعمق أعماقها ، زفرة مشتعلة كالحمم ، وهى تقول :

ـ رباه ! لقد كان كابوسًا بالفعل .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين تمتم (رمزى) بمنتهى الدهشة :

ـ كابوس ؟!

هزّت (سلوى) رأسها ، وأغمضت عينيها ، وهى تطلق زفرة أخرى ، مجيبة فى توتر ، لم يفارقها بعد :

ـ لم أنم جيدًا ليلة أمس ، ويبدو أننى قد أغمضت عينى من شدة الإرهاق وتواصل العمل ، فغلبنى النوم ، و ..

صمتت لحظة ، انتفض خلالها جسدها ، قبل أن تتابع :

ـ ويا له من كابوس !

ضمها (نور) إليه فى حنان ، متمتمًا :

ـ لا بأس يا عزيزتى .. لا بأس .. لقد انتهى كل شىء الآن .

غمغمت :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

تطلّعت (سلوى) إلى وجه أمها الشاحب ، فى إشفاق متعاطف ، وغمغمت ، محاولة أن ترسم على شفتيها ابتسامة :

ـ لا ريب فى أنه كان كابوسًا بشعًا .

أومأت (سلوى) برأسها إيجابًا ، وتمتمت :

ـ أكثر مما تتصورون .

لم يحاول أحدهم سؤالها عما عانته فى كابوسها ، إلا أنها لاذت بالصمت لحظة ، ثم اعتدلت ، متابعة :

ـ سأرويه لكم .

غمغم (نور) :

ـ لست مضطرة لـ ....

قاطعته ببقايا توترها :

ـ أنا بحاجة إلى هذا .

التقطت نفسًا عميقًا ، فى محاولة لتهدئة ما تبقى من ثائرتها ، ثم راحت تروى لهم كابوسها ..

كابوسها الرهيب ..

وفى صمت تام ، والانفعال رسم نفسه على ملامحهم فى وضوح ، استمع الكل إليها بمنتهى الاهتمام ..

ثم انتهت من روايتها ..

وتواصل الصمت ..

لدقيقة كاملة أو يزيد ، لم ينبس أحدهم بحرف واحد ، وكأنما يسترجعون ، ليس تفاصيل كابوسها ، وإنما أحداث صراعهم المميت ، مع ذلك الخصم الرهيب ، الذى رأته فى كابوسها(*) ..

ذلك المسخ الوراثى ، ذو المخ المزدوج ، والقدرة المذهلة على السيطرة على العقول والأشياء ..

الخصم الشيطانى الرهيب ..

(*) راجع قصة (بلا جسد) .. المغامرة رقم (١٤٣) .

وبصوت مرتجف خافت ، قطعت (نشوى) ذلك الصمت ، مغمغمة :

ـ الواقع أننى ، وحتى هذه اللحظة ، عاجزة عن تصديق أن أمره قد انتهى .

قال (نور) فى صرامة :

ـ (أكرم) نسف رأسه برصاصات مسدسه ..

وصمت لحظة ، ثم استدرك بصرامة أكثر :

ـ ولقد رأيناه جميعًا صريعًا .

تمتم (رمزى) :

ـ هذا صحيح .

ثم ارتفع صوته ، وحمل رنة من التوتر ، وهو يضيف :

ـ ولكن المرء يعجز عن تصديق مثل هذه النهاية .. عقل جبار ، كاد يسيطر على العالم أجمع ، ينتهى برصاصة .. أو حتى عدة رصاصات .. أيبدو لك هذا منطقيًا ؟!

صمت (نور) طويلاً هذه المرة ، وهو يسترجع عشرات المواقف والأحداث ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ ربما كان خصمنا طفرة وراثية عبقرية ، أو حتى نتاجًا شيطانيًا لتركيبات عقلية جبارة ، ولكنه ، وفى كل الأحوال ، مجرَّد بشر ، والبشر ، مهما بلغت قوتهم ، أو بلغت سطوتهم ، لهم مواطن ضعف واحدة .

وانعقد حاجباه فى شدة مع استطرادته الصارمة :

ـ وكلهم يموتون فى النهاية .

تبادل (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) نظرة صامتة ، قبل أن يغمغم الأول فى خشوع :

ـ سبحان الحى ، الذى لا يموت .

ران عليهم صمت متوتر ، استغرق نصف دقيقة أخرى ، فشدَّ (نور) قامته ، وهو يحاول الابتسام ، قائلاً :

ـ على أية حال .. إنه مجرَّد كابوس .

حاولت (سلوى) أن تبتسم بدورها ، وهى تتمتم :

ـ حمدًا لله .

كان من الواضح أن المناخ مازال ملبدًا بغيوم القلق والتوتر ، التى حاول (رمزى) تخفيفها ، وهو يلوِّح بيده ، قائلاً :

ـ كم أحسد (أكرم) و(مشيرة) الآن ، وهما يقضيان إجازتهما هناك فى مدينة (شرم الشيخ) الساحرة .

ابتسمت (نشوى) ابتسامة هادئة، وهى تقول:

- يقولون إن الطقس رائع هناك، فى هذه الفترة من العام.

التقط (نور) نفسًا عميقًا، وهتف، منتحلاً لهجة مرحة:

- لدى اقتراح.

التفت إليه الجميع فى اهتمام، فتابع:

- لقد أنجزنا قدرًا جيدًا من العمل، خلال الأسبوعين الماضيين، فلمَ لانحصل على إجازة، حتى نهاية هذا الأسبوع، وننضم إلى (أكرم) و(مشيرة)، فى (شرم الشيخ)؟!

هتف (رمزى):

- أظنها فكرة رائعة.

ولوّحت (نشوى) بيدها، صائحة فى مرح طفولى:

- سأعد حقائبنا فورًا.

أما (سلوى)، فقد اكتفت بابتسامة باهتة، ونظرة تحمل

الكثير من التوتر والقلق، فأمسك (نور) كتفها، وهو يسألها، محاولاً تهدئتها بابتسامة كبيرة:

- وماذا عنك يا عزيزتى؟!

أدهشتهم جميعًا صرخة الألم التى أطلقتها، وهى تهب من مقعدها بحركة حادة عنيفة، وهتف (نور) منزعجًا:

- رباه! ماذا فعلت؟!

صاحت به، بكل ذعر الدنيا:

- إنه ليس أنت.. ليس أنت.

سألها (رمزى)، وزوجته (نشوى) تتشبث به مذعورة:

- ماذا حدث إذن.

زاغت عيناها، وهى تقول:

- إنه.. إنه..

ثم استدارت فجأة، وكشفت جزءًا من كتفها، قائلة بكل الرعب:

- إنه هو.

واتسعت عيونهم جميعًا فى ذهول ، وهم يحدقون فى ذلك الأثر الواضح ، فى ذلك الجزء من كتفها ..

فى أثر تلك الأصابع ، التى انغرست فيه هناك ..

فى أعماق الكابوس ..

الرهيب ..

* * *

٢ ـ صراع جديد ..

التقطت (مشيرة) نفسًا عميقًا ، فى استمتاع واضح ، وهى تجلس على شاطئ تلك القرية السياحية الجديدة ، فى مدينة (شرم الشيخ) ، وأسبلت جفنيها فى استرخاء ، قائلة :

ـ يالها من إجازة رائعة !

ابتسم (أكرم) ، الجالس إلى جوارها ، وغمغم فى هدوء :

ـ هذا صحيح .. الطقس رائع ، والهواء منعش ، وكل شىء ممتع للغاية ، فلا ينقصنا سوى الرقـ ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، فانعقد حاجباها ، واعتدلت فى مجلسها بحركة حادة ، وهى تقول :

ـ لا ينقصنا سوى ماذا ؟!

داعب ذقنها بسبَّابته وإبهامه ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ أيمكن أن ينقصنى شىء ، عندما تكونين إلى جوارى ؟!

هتفت :

ـ لن يخدعنى هذا .

ضحك ، وهو يميل نحوها ، متسللاً فى مرح :

ـ ما الذى يمكن أن يخدعك إذن ؟!

مالت نحوه ، وقالت فى صرامة :

ـ ما الذى تشعر بأنه ينقصك هنا ؟!

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ مادمت قد بدأت الشجار ، فلم يعد هناك ما ينقصنا يا عزيزتى .. الآن فقط أشعر وكأننا فى منزلنا .

انعقد حاجباها فى غضب ، وهمت بالصراخ فى وجهه ، و ....

ولكن فجأة ، اختفى كل شىء من حولها ..

كل شىء ..

الشاطئ ..

والرمال ..

والبحر ..

والسماء ..

و(أكرم) نفسه ..

كل شىء تلاشى دفعة واحدة ..

حتى الضوء ..

بغتة أحاط بها ظلام دامس رهيب ..

وصمت مطبق ..

وبكل رعب الدنيا ، انتفض جسدها ، وحاولت أن تطلق صرخة هائلة ، تحمل كل مشاعرها وانفعالاتها ..

حاولت ..

وحاولت ..

وحاولت ..

ولكن كل صرخاتها وانفعالاتها اختلفت فى حلقها ، الذى غص بها فى عنف ، فسعلت فى قوة ، قبل أن تتسع عيناها فى ارتياع ، وهى تحدق فى بصيص من الضوء ، ظهر من بعيد ..

بعيد جداً ..

وعلى ذلك البصيص من النور ، لمحته ..

لمحت ذلك الشخص الجالس القرفصاء ، فى وضع ثابت جامد ، وكأنه تمثال من الرخام البارد ..

وفى جزء من اللحظة ، استعاد عقلها ذكريات قريبة ..

قريبة جداً ..

وانتفض جسدها بمنتهى الرعب ..

واتسعت عيناها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وباستماتة ، حاولت أن تبتعد ..

أن تفر ..

أن تنقذ نفسها ..

ولكن ذلك الجالس القرفصاء كان يقترب منها ..

ويقترب ..

ويقترب ..

كان جالسًا ، فى الوضع نفسه ، وعيناه مغلقتان ، ولكن جسده ينزلق نحوها بسرعة مخيفة ..

وكلما اقترب منها ، كان جسدها ينتفض ..

وينتفض ..

وينتفض ..

ومرة أخرى حاولت أن تصرخ ..

حاولت أن تنطلق هاربة ..

أن تبتعد بقدر المستطاع ..

ولكن كل شىء فيها كان مجمدًا ..

ثقيلاً ..

ملتصقًا بالفراغ من حولها ..

كل شىء ..

لذا فقد أطلقت لدموعها العنان ..

دموع القهر ..

والمرارة ..

والرعب ..

أما ذلك الجالس القرفصاء ، فقد راح يقترب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومع اقترابه ، راحت ملامحه تتضح ..

وتتضح ..

وتتضح ..

وهتفت هي ، والرعب يقطر من كلماتها :

ـ لا .. مستحيل ! إنه ليس أنت !

اعتدل واقفًا فجأة ، على نحو مستحيل عمليًا ، وهو يقول ، بصوته العميق المخيف :

ـ بل هو أنا .

صاحت :

ـ ولكنك مت .

انطلقت من حلقه ضحكة رهيبة ، قبل أن يميل نحوها ، قائلاً :

ـ أهذا ما تتصورينه ؟!

تراجعت هاتفة :

ـ أنت مت .. مت .. مت .

اعتدل ، لينطلق ضحكة وحشية أخرى ، ويقول :

ـ ليس بهذه السهولة .. التخلُّص مني ليس أبدًا بهذه السهولة .

قالها ، وهو يمد أصابعه نحوها ..

أصابعه الطويلة ، النحيلة ، المعروقة ..

وبكل رعب ونفور الدنيا ، صرخت :

ـ لا .. كلنا نعلم أنك قد مت .. كلنا .

أمسك معصمها بأصابعه الباردة كالثلج فجأة ، وهو يميل نحوها ، قائلاً بصوت رهيب ، جمَّد الدم في كل ذرة من كيانها :

ـ خطأ .. كلكم على خطأ .

شعرت بألم رهيب .. من ملمس أصابعه ، فصرخت ، وهي تضربه بذراعها الأخرى !

ـ لا .. ابتعد عني .. ابتعد عني .

« (مشيرة) .. ماذا أصابك ؟! »

انتفض جسدها بمنتهى العنف ، وفتحت عينيها عن آخرهما ، وهى تحدّق فى وجه زوجها (أكرم) ، الذى حمل دهشة العالم كله ، وهو يمسك يدها ، مستطردًا :

ـ ماذا حدث ؟!

حدّقت فيه بمنتهى الرعب ، واتسعت عيناها أكثر وأكثر ، وهى تديرهما فى كل ما حولها ..

فى الشاطئ ..

والرمال ..

والبحر ..

وفى وجهه هو ..

ثم انهارت فجأة ، وهى تلقى نفسها بين ذراعيه ، هاتفة :

ـ لا مستحيل ! مستحيل !

ضمها إليه ، فى حنان جزع ، وهو يقول :

ـ ماذا حدث يا (مشيرة) ؟! رباه ! هل أثرت غضبك إلى هذا الحد ؟!

بكت على كتفه فى حرارة ، وجسدها يرتجف بين ذراعيه ، كطير وليد مبتل ، فهتف بها ، وقد شمله هلع شديد :

ـ ماذا حدث يا (مشيرة) ؟! ماذا حدث يا حبيبتى ؟!

تراجعت بحركة حادة ، وحدّقت فيه بكل رعب الدنيا ، وهى تقول :

ـ لقد عاد يا (أكرم) .. عاد .

انتفض قلبه بين ضلوعه فى قوة ، وهو يسألها :

ـ عاد ؟! من الذى عاد يا (مشيرة) ؟!

اتسعت عيناها على نحو مخيف ، وهى تجيب :

ـ هو يا (أكرم) .. هو .

ثم أشارت إلى رأسها ، مستطردة ، فى لهجة أقرب إلى الانهيار :

ـ الذى غرس نفسه هنا .

أدرك على الفور ما تعنيه ، واتسعت عيناه عن آخرهما بدوره ، ووجد نفسه يهتف :

ـ مستحيل !

كم تمنى لحظتها لو أنـه يحمل مسدسـه على الشاطئ ، وهو يكمل فى عصبية متوترة :

ـ لقد قتلته بنفسى .. أطلقت النار على رأسه ، و ...

قاطعته ، وجسدها مازال يرتجف فى عنف :

ـ على أى رأس منهما ؟!

التقى حاجباه فى شدة ، وأثار سؤالها فى أعماقـه مزيجًا من الغضب والتوتر والقلق ، فقال فى عصبية :

ـ لقد قتلته .. الكل يعلم هذا .

عادت تسأله مرتجفة :

ـ أنت واثق ؟!

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

ـ أى سؤال هذا ؟!

صاحت فى حدة أكثر :

ـ السؤال الذى يفزعنى ، بعدما حدث الآن يـا (أكرم) .. لقد رأيته منذ لحظات .. لقد واجهنـى وسط ظلام دامس ، وامسك معصمى بأصابع كالثلج ، و ...

قاطعها بمنتهى العصبية :

ـ هذا أمر يحتاج إلى استشارة خبير نفسـى مثل (رمزى) ، فربما يكون ما حدث مجرد انعكاس لـ ....

صرخت لتبتر كلماته بغتة ، فهتف بها :

ـ ماذا حدث ؟!

رفعت معصمها أمامه ، صائحة فى رعب هائل :

ـ وأى خبير يحتاج إليه أثر كهذا ؟!

اتسعت عيناه مرة أخرى ، وهو يحدق فى معصمها ، الذى حمل أثرًا واضحًا لأصابع نحيلة طويلـة ، قبضـت عليـه بشدة ..

ومرة أخرى ، انتفض كيانه كله ، بغضـب هادر ، وثورة بلا حدود ..

ثورة ، جعلته يتمنـى أكثر ، لو أن مسدسـه فـى قبضتـه الآن ؛ لينسف رأس ذلك الوغد الرهيب مرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وبكل ما يعتمل فى أعماقه ، نهض قائلاً :

ـ سنعود إلى (القاهرة) .

هتفت فى انهيار :

ـ وما الفارق ؟! إنه فى كل مكان .

صاح بكل الغضب والصرامة :

ـ لقد قتلته .

قالت ، ودموعها تغرق عينيها :

ـ كيف عاد إذن ؟!

صمت بضع لحظات ، وهو يدير الأمر فى رأسه ، وتطلَّع مرة أخرى إلى أثر الأصابع النحيلة على معصمها ، قبل أن يقول ، فى غضب صارم عنيف :

ـ لقد كنت على حق منذ البداية .. ماينقصنا هو الرفاق .

ودفنت هى وجهها فى صدره ، ودموعها مازالت تنهمر ، وجسدها يواصل ارتجافاته القوية ..

فمهما قال أو فعل ..

ومهما تعارض العقل والمنطق ، كانت واثقة من أن الخطر لم ينته بعد ..

وأنه قد عاد ..

عاد ليشعل صراعاً جديداً ..

ورهيباً ..

إلى أقصى حد ..

* * *

« إنها ليست خيالات أو كوابيس بالتأكيد .. » ..

نزع الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين منظاره الطبى ، وهو ينطق العبارة برصانته المعهودة ، بعد أن انتهى من فحص الآثار ، على كتف (سلوى) ومعصم (مشيرة) ، ثم مطَّ شفتيه ، وهزَّ رأسه ، مستطرداً فى اهتمام :

ـ ماترونه أمامكم عبارة عن كدمات ضغطية ، أى تجمعات دموية ، ناشئة عن تهشُّم الأوعية الدموية الدقيقة ، إثر ضغط شديد ، على منطقة محدودة ، وكمعظم الكدمات الضغطية ، تترك الجسم المستخدم أثرًا يدل على طبيعته ، تماماً كما نرى أثر شبكة مبرِّد السيارات القديمة ، على جسد الشخص الذى

تصطدم به .. وفى حالتنا هذه ، يبدو من الواضح أن الكدمات ناشئة عن أصابع نحيلة ، طويلة ، وبالغة القوة .

هتفت (مشيرة) بوجه ممتقع :

- إذن فقد عاد .

رمقها الدكتور (حجازى) بنظرة صامتة ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

- أأنتم واثقون من أن هذا لم يحدث بسبب خطأ ما .. أو ...

قاطعه (أكرم) ، فى عصبية واضحة :

- (مشيرة) كانت تجلس إلى جوارى ، على شاطئ مدينة (شرم الشيخ) ، عندما ظهرت هذه الآثار على معصمها بغتة ، بعد أن شردت لبضع ثوان .

ثم أشار بسبابته ، مضيفًا فى حدة :

- ودون أن تغادر موقعها .

ارتفع حاجبا الدكتور (حجازى) لحظة ، ثم عادا ينخفضان ، وتراجع فى مقعده فى بطء ، وراح يداعب منظاره الطبى بين أصابعه ، وهو يقول :

- أمر عجيب ! عجيب بحق !

قال (نور) فى حزم :

- ولكنه ترك آثارًا مادية واضحة يا دكتور (حجازى) ، وهذا يحتم علينا البحث عن تفسير منطقى له .

أشار الدكتور (حجازى) إلى الآثار الواضحة ، على معصم (مشيرة) ، وهو يتساءل :

- وأى تفسير منطقى لأمر كهذا ؟!

شدّ (نور) قامته ، وقال بحزم أكبر :

- هناك حتمًا تفسير منطقى ، لأى شىء فى الوجود .. ربما يتجاوز حدود إدراكنا ، فى لحظة ما ، أو زمن ما ؛ فقط لأننا نجهل قواعده وقوانينه ، إلا أنه يظل منطقيًا ، وفقًا لمقتضيات الطبيعة نفسها ..

والتقط نفسًا عميقًا ، ليتابع فى صرامة :

- فى العصور القديمة كان البرق يفزعهم ، والإعصار يبدو لهم كغضب من الآلهة ، لأنهم كانوا يجهلون قوانين الطبيعة ، وطبيعة الكهربية الاستاتيكية ، وقواعد اختلاف الضغط الجوى ، وتحرك موجات الحرارة والرياح ، ثم تعلموا كل هذا ، وأدركوه ، وتلاشى خوفهم ، وتحوّل إلى فضول ، وشغف ، ولهفة أكثر وأكثر إلى المعرفة .

قال (رمزى) فى حماسة :

ـ أفهم جيدًا ما تعنيه يا (نور) ، فما يبدو لنا اليوم كظاهرة غامضة فوق طبيعية ، قد يتحول فى الغد إلى أمر طبيعى تمامًا ، لو أدركنا قواعده وقوانينه ، والعوامل التى تحكمه فى الطبيعة .

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .

هزّ (أكرم) رأسه ، قائلاً فى حدة :

ـ عظيم .. وحتى نتوصّل إلى العوامل والقواعد والقوانين واللوائح ، هل يضمن لى أحد حدوث هدنة ما ، بيننا وبين ذلك الوغد ، الذى عاد من عالم الموت ، ليبث فينا الرعب والفزع من جديد .

اعتدل الدكتور (حجازى) بحركة حادة ، فى حين قال (نور) فى صرامة :

ـ لا أحد يعود من الموت يا (أكرم) .

وقالت (سلوى) فى توتر :

ـ ربما هو شخص آخر .

هتفت (مشيرة) :

ـ مستحيل ! إنه يعرف من نحن .

كرّر (نور) ، بمنتهى الصرامة :

ـ الموتى لا يعودون .

قال (أكرم) فى عصبية ، وهو يضمّ زوجته (مشيرة) إليه ، وكأنما يخشى أن يفقدها فى أية لحظة :

ـ كيف تفسرون ما حدث إذن ؟!

كرّر (نور) بمنتهى الصرامة :

ـ هناك تفسير ما حتمًا .

هزّت (مشيرة) رأسها ، قائلة فى توتر شديد :

ـ أريد تأكيدًا .

سألها (رمزى) :

ـ لأى شىء ؟!

صاحت ، وهى تلوّح بذراعيها فى انفعال :

ـ لأنه قد لقى مصرعه .

تفجرت صيحتها فى المكان ، فانطلقت بعدها موجة رهيبة من الصمت ، أحاطت بكل شىء ، وغلفت كل المشاعر ..

ووسط ذلك الصمت ، أدار الكل عيونهم ، فى وجوه بعضهم ، قبل أن تقول (مشيرة) فى عصبية :

- (أكرم) أطلق النار على رأسه ، وكلكم رأيتموه ساقطًا ، والدماء تنزف منه ، ولكن ماذا عن موته ؟! ألم يحدث قط ، أن أصيب شخص ما فى رأسه ، ثم نجا من الموت ، على نحو أو آخر ؟!

التفت الكل إلى الدكتور (حجازى) ، وكأنهم يسألونه الجواب ، فتنحنح ، مغمغمًا فى توتر :

- لاشىء مستحيل ، فى عالمنا هذا ، ولكن الاحتمالات ضئيلة للغاية ، مع إصابة مباشرة ، فى منتصف الجبهة ؛ فهذا كفيل بأن يتهتك المخ ، و ...

قاطعته (مشيرة) فى عصبية :

- تذكر أننا لانتحدث عن شخص له مخ واحد .. بل عن مسخ له مخ مزدوج .

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) مرة أخرى ، فسأله (نور) فى قلق :

- ما تقوله (مشيرة) منطقى .. أليس كذلك ؟!

تراجع الدكتور (حجازى) فى مقعده ، دون أن يجيب ، فتساءل (رمزى) فى قلق :

- دكتور (حجازى) .. أنت من فحص جثة ذلك المسخ ، واستخرج تقرير مصرعه .. أليس كذلك ؟!

صمت الدكتور (حجازى) بضع لحظات ، قبل أن يجيب ، فى صرامة واقتضاب :

- كلا .

بدت الدهشة على وجوههم جميعًا ، وقال (نور) فى توتر :

- سيدى .. وفقًا للتقارير الرسمية ، تم نقل جثة ذلك المسخ إليك مباشرة ، فور الـ ...

قاطعه الدكتور (حجازى) فى صرامة :

- ليس جثته .

ثم عاد يعتدل فى مقعده ، مضيفًا بكل الحزم :

ـ فعندما وصل ذلك الشىء إلى هنا ، لم يكن جثة هامدة .. بل كان على قيد الحياة .

واتسعت العيون عن آخرها ..

وخفقت القلوب بمنتهى العنف ..

فما صرّح به الدكتور (محمد حجازى) ، فى تلك اللحظة ، كان مفاجئًا ومذهلاً ، ومخيفًا بحق ..

وبكل المقاييس .

* * *

٣ ـ نتائج الفحص ..

كانت الأمور كلها مشتعلة ، والمشاعر كلها قد بلغت ذروة الالتهاب ، فى ذلك اليوم ، الذى أطلق فيه (أكرم) النار ، على رأس ذلك الخصم الرهيب ..

القوات الخاصة شنت حربًا محدودة ، فى أرقى أحياء (القاهرة) الجديدة ..

مبنى المخابرات العلمية انهار ..

ومبنى إدارة الأبحاث ، التابع له ، انسحق سحقًا ..

والعالم كله صار قاب قوسين أو أدنى من النهاية ..

نهاية حريته ..

وكرامته ..

ومستقبله ..

ثم فعلها (أكرم) ..

أطلق النار ، ونسف رأس الخصم الرهيب ..

وانتهت الملحمة فجأة ..

ملحمة عقل جبار ، انتهت برصاصات تقليدية ، عادية ، بسيطة ..

وفى ذلك اليوم ، هرع الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين ، إلى مختبره ، استجابة لاستدعاء خاص للغاية ، من رئيس الوزراء شخصياً ؛ لفحص جثة ذلك المسخ ، وإصدار تقرير واف بشأنه ..

وفى سيارة خاصة مجهزة ، محاطة بحراسة قوية مشددة ، وصل جسد ذلك المسخ إلى المشرحة ..

وكما يحدث فى مثل هذه الأحوال ، أحاط رجال الأمن بالمكان ، إحاطة السوار بالمعصم ، وتم تشغيل كل آلات الرصد والمراقبة ؛ لتسجيل عملية الفحص لحظة فلحظة ، ودلف الدكتور (حجازى) إلى المكان ، مع طبيب مساعد شاب ، وارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يلقى نظرة أولى على الجسد ، قائلاً :

ـ رباه ! أى شىء هذا ؟!

بدا الطبيب الشاب شديد الانفعال ، وهو يقول :

ـ جمجمة مزدوجة ، وعين ثالثة فى منتصف الجبهة ؟! هذه حالة لم تسجلها كل مراجع الطب ، التى عرفتها البشرية ، عبر تاريخها كله .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ لكل شىء بداية يا ولدى .

ثم ضغط زر جهاز التسجيل التقليدى البسيط ، الذى يحتفظ به دوماً ، وقال وهو يفحص الجسد المسجى أمامه ببصره :

ـ بالفحص الظاهرى ، يبدو أن الجسد لذكر ، فى أواخر الثلاثينات أو أوائل الأربعينات ، ما بين الملامح الشرقية والقوقازية ، وجسده كله يبدو طبيعيًا متناسقًا ، يميل إلى النحول والقوة بعض الشىء ، فيما عدا الرأس .

غمغم الطبيب الشاب :

ـ هل تسمى هذا رأساً عادياً ؟!

أشار إليه الدكتور (حجازى) بالصمت فى صرامة ، وهو يواصل :

ـ الجمجمة مزدوجة ، تبدو أشبه بالمشقوقة من منتصفها ، على نحو غير مسجل ، فى أية مراجع طبية أو علمية ؛ وفى منتصف الجبهة تماماً ، توجد عين إضافية ثالثة ، أكبر قليلاً من العينين الطبيعيتين ، وفوقها مباشرة ، وإلى اليسار

منها ، توجد ثلاثة ثقوب .. مداخل رصاصات ، اخترقت الجمجمة من مسافة تتراوح بين المترين والأربعة أمتار ، وتوجد آثار بارود غير دخانى ، على بعض أطراف الوجه والجبهة ، و ...

بتر عبارته ، عندما هتف الطبيب الشاب فجأة ، بصوت مرتجف مذعور :

ـ يا إلهى !

استدار إليه الدكتور (حجازى) ، متسائلاً فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟!

أشار الطبيب الشاب إلى جسد المسخ ، وهو يتراجع عن منضدة الفحص ، قائلاً فى توتر شديد :

ـ لقد تحرك .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وارتدى قفاز الفحص المطاطى ، وهو يقول :

ـ ما حدث ليس حركة إرادية يا ولدى ، ولكنه اختلاف درجات الحرارة للجثة ، هو الذى ..

قاطعه الطبيب الشاب ، وهو يتراجع أكثر :

ـ أنا أعرف هذا .

بدا الضيق على وجه الدكتور (حجازى) ، لما يحمله هذا من تعارض ، مع كل قواعد الذوق واللياقة ، وآداب التعامل بين الأستاذ وتلميذه ، وهم بالتعبير عن هذا الضيق ، لولا أن تابع الطبيب الشاب ، فى ذعر واضح ، وهو يبتعد عن منضدة الفحص أكثر وأكثر :

ـ ولكن ما حدث يختلف .

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يضيف مرتجفًا :

ـ لقد حاول إمساك معطفى .

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) فى شدة ، وهو يحدّق فى الطبيب الشاب مستنكرًا ، قبل أن يدير عينيه مرة أخرى ، إلى الجسد المسجى أمامه ، و ...

وانتفض جسده فى عنف ..

ففى هذه المرة ، وعلى عكس المرة السابقة ، كانت تلك العين الثالثة ، فى منتصف جبهة ذلك المسخ الرهيب ، مفتوحة ..

وكانت تحدّق فيه ..

مباشرة ..

وبحركة أشبه بمن أصابته صاعقة ، تراجع الدكتور (حجازى) ، عن مائدة الفحص ، وهو يهتف :

ـ مستحيل !

صاح به الطبيب الشاب ، وهو يلتصق بالجدار فى رعب :

ـ ألم أقل لك ؟!

لم ينبس الدكتور (حجازى) ببنت شفة ، وهو يحدق ذاهلاً فى جسد ذلك المسخ ، وفى عينه الثالثة ، فى منتصف جبهته ، والتى مالت فى بطء ، لترصده وذلك الطبيب الشاب ، فى نفس الوقت الذى بدأت فيه الحرارة تدب نسبياً فى الأطراف ، فتحركت الأصابع ، وبدأت عروق العنق تنبض ثانية ..

وبكل رعب الدنيا ، غمغم الطبيب الشاب :

ـ لقد .. لقد عاد إلى الحياة .

أجابه الدكتور (حجازى) فى صرامة :

ـ لا أحد يعود من الموت .. الله (سبحانه وتعالى) وحده يحيى الموتى بإرادته .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف ، وقد بدأت عقليته العلمية تطلق فى عروقه ذلك الفضول الإيجابى ، الذى يزيح فى المعتاد كل المشاعر الأخرى جانباً :

ـ إننا أمام ظاهرة فريدة .. ظاهرة تستحق الدراسة .

غمغم الطبيب الشاب :

ـ معذرة يا دكتور (حجازى) .. اغفرلى ذعرى ومخاوفى .

ثم اندفع فجأة ، نحو باب حجرة الفحص ، مستطرداً :

ـ ولكننى لا أستطيع البقاء هنا .

هتف به الدكتور (حجازى) معترضاً :

ـ أحتاج إلى من يعاوننى فى فحص هذه الظاهرة .

توقف الطبيب الشاب عند باب الحجرة ، وألقى نظرة رعب أخرى على ذلك المسخ ، الذى ظلت عيناه العاديتان مغلقتين ، فى حين راحت عينه الثالثة ترصد كل ما حولها فى توتر ، وأطرافه تستعيد نشاطها رويداً رويداً ، ثم قال بكل عصبيته وذعره ومخاوفه :

ـ ليس أنا بالتأكيد .

ثم وثب خارج المكان ، هاتفًا :

ـ افحصها وحدك هذه المرة .

ارتفع حاجبا الدكتور (حجازى) ، فى دهشة مستنكرة ، ثم عادا ينعقدان فى ضيق ، وهو يلتفت إلى ذلك المسخ ، الذى بدا من الواضح أنه يحاول استعادة السيطرة على جسده تدريجيًا ، على الرغم من إصابة دماغه البالغ ..

وعلى الرغم من الخوف ، الذى سرى فى عروق الدكتور (حجازى) ، راح فضوله العلمى يتصاعد ويتصاعد ، حتى أزاح مشاعره كلها جانبًا ، ودفعه إلى أن يعاود الاقتراب من منضدة الفحص ، قائلاً عبر جهاز التسجيل الرقمى :

ـ فى مفاجأة غير متوقعة ، دب النشاط فى الجسد المعد للفحص ، على الرغم من أن إصابات الرأس ، التى نسفت مؤخرة الجمجمة ، وأخرجت بعض أجزاء متهتكة من المخ ، تحتم حدوث الوفاة ، أو العجز الكلى الشامل على الأقل ..

وصمت لحظة ، وهو يدير عينيه فى جسد المسخ ، ثم توقف عند العين الثالثة ، التى تطلعت إليه مباشرة ، وكرر عبر جهاز التسجيل :

ـ من الواضح أننا أمام ظاهرة غير تقليدية ، وغير مألوفة ،

وغير مسجلة أيضًا ، فى أية مراجع طبية أو علمية سابقة .. بل وغير ممكنة طبيًا أو علميًا ، ولكنها تستند إلى تفسير علمى ومنطقى تمامًا .

مرر سبابته أمام تلك العين الثالثة ، وتأكد من أنها تتابعه فى اهتمام واضح ، قبل أن يتابع :

ـ من الواضح أن وجود مخ مزدوج ، فى حالة طفرة وراثية غريبة ، هو المسئول عن هذه الظاهرة ، فالرصاصات ، التى أصابت منتصف الجبهة ، فوق العين الثالثة مباشرة ، اخترقت الجزء العلوى من أحد المخين ، الذى يبدو أنه أكبر حجمًا ـ نسبيًا ـ من الآخر ، وأنه يتجاوز الخط الوهمى لمنتصف الجبهة ، مما أدى إلى تهتكه تمامًا ، فى حين بقى نصف المخ الآخر ، الأقل حجمًا ، سليمًا من الناحية الطبية أو التشريحية .. ولأن المخين يرتبطان بمخيخ واحد ، وحبل شوكى واحد ، ولأن الجسد قد اعتاد التعامل مع كليهما فى آن واحد ، فإن غياب النصف الأكبر فجأة ، قد أدى إلى غيبوبة تامة ، وانخفاض شديد فى المعدلات الحيوية ، بدا للفحص المبدئى ، فى موقع الإصابة ، أشبه بالوفاة ، إلا أن النصف الآخر ، بعد اعتياده غياب النصف المهيمن ، قد بدأ يقتبس سماته ، أو قدراته على إدارة الأمور ، وهو الآن ، فى ساعة الفحص وتاريخه ، يتدرب على استعادة السيطرة على كامل الجسد منفردًا .

وصمت مرة أخرى ؛ ليتابع حركة الأطراف ، التى تتحسن تدريجياً ، قبل أن يضيف فى توتر ملحوظ ، وقلق واضح :

ـ ويبدو أنه لن يمضى وقت طويل قبل أن ينجح فى هذا .

« إذن فهو حى .. »

هتف (أكرم) بالعبارة ، بكل توتر الدنيا ، لينتزع الدكتور (محمد حجازى) من أفكاره وذكرياته ، ويقطع حديثه المتصل ، فاستدار إليه هذا الأخير ، وهو يقول ، فى حذر أدركه الجميع فى وضوح :

ـ إننى أقص عليكم ما حدث يومئذ .

قالت (سلوى) فى حدة :

ـ المهم أنه حى .

بدا التردد على الدكتور (حجازى) ، وهو يقول ، فى حذر زائد :

ـ ربما .

سأله (نور) ، فى شىء من الصرامة :

ـ وما الذى تخفيه كلمة (ربما) هذه هنا يادكتور (حجازى) ؟! أنت الطبيب الذى أجرى الفحص ، ووحدك يمكنك أن تحسم هذا الأمر فى وضوح .

التقط الدكتور (حجازى) نفسًا عميقًا ، وتراجع فى مقعده فى بطء ، وبدا عليه توتر شديد ، وهو يجيب :

ـ ليس بالضرورة .

سأله (رمزى) فى اهتمام قلق :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

تردد الدكتور (حجازى) بضع لحظات أخرى ، ثم أجاب فى عصبية :

ـ الواقع أننى لم أكمل عملية الفحص .

اتسعت عيونهم فى دهشة ، وتبادلوا نظرة شديدة التوتر ، وتكمشت (مشيرة) بعدها ، بين ذراعى زوجها ، وهى ترتجف فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

وهتفت (نشوى) ، فى توتر بالغ :

ـ دعنى أخمن ما حدث .. لقد استخدم قواه العقلية الجبارة ، و ....

قاطعها الدكتور (حجازى) فى توتر :

ـ لم يكن باستطاعته هذا .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ ولِمَ لا ؟!

أجابه فى سرعة ، وبلهجة لم يفارقها التوتر :

ـ قواه العقلية الجبارة كانت تنشأ من قدرات مخه المزدوج ، على الترابط والتآزر ، وإطلاق كل الطاقات الكامنة فى الجسد ، ومع إصابة المخ الأكبر حجمًا ، وتهتكه تمامًا ، كان من المستحيل أن يستعيد قواه الجبارة ، بأى حال من الأحوال .

هتفت (نشوى) :

ـ ولكنك قلت إنه سيستعيد سيطرته على جسده حتمًا ، مع مرور الوقت .

أشار بسبابته ، مجيبًا إياها ، فى حزم متوتر :

ـ على جسده ، وليس على قدرات عقله .

أشارت (مشيرة) إلى معصمها ، وهى تهتف فى غضب :

ـ وماذا عن هذه الآثار ؟! ألا تعنى أنه قد تجاوز حتى

قدراته العقلية السابقة ؟! لاحظ أنه لم يكن باستطاعته أن يفعل هذا ، عندما كان بكامل قوته .

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه ، قائلاً فى عصبية :

ـ لا يمكنك الجزم .

همّت (مشيرة) بالصراخ فى وجهه محتجة ، ولكن (نور) استوقفها بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول للدكتور (حجازى) :

ـ سيّدى .. هذه ليست مشكلتنا الآن ، فربما كان هذا باستطاعة ذلك المسخ فيما مضى ، ولكنه لم يستخدمه ، أو يلجأ إليه فحسب ، ولكن السؤال الآن هو : لماذا لم تكمل فحص جسده ، بعد أن استعاد مخه الآخر وعيه بالفعل ؟!

نقل الدكتور (حجازى) بصره بينهم ، فى توتر شديد ، قبل أن ينخفض صوته ، على نحو لا يناسب شخصيته ، وهو يغمغم :

ـ لا .. لا يمكننى أن أخبركم .

تساءلت (سلوى) فى توتر :

ـ ولِمَ لا ؟!

تردد كبير الأطباء الشرعيين بضع لحظات أخرى ، وانخفض صوته أكثر وأكثر ، وهو يتمتم :

ـ لقد أقسمت .

بدت دهشة عارمة على وجوههم جميعًا ، وتساءل (نور) فى حذر :

ـ أقسمت على ماذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) ، فى توتر بالغ :

ـ على أن أحفظ السر .

هتفت (مشيرة) فى لهفة :

ـ أى سر ؟!

حدق الدكتور (حجازى) فى وجهها ، بنظرة أقرب إلى الارتياع ، قبل أن يهزّ رأسه فى قوة ، هاتفًا :

ـ لا .. لايمكننى أن أخبركم .

سأله (نور) فى حزم واضح :

ـ أقسمت لمن .

امتقع وجه الدكتور (حجازى) ، على نحو عجيب ، وهو يقول :

ـ (نور) .. أرجوك .. أن تعرف التزامى الأمنى ، وتدرك أنه ليس باستطاعتى أن ..

قاطعه (أكرم) ، بغضب هادر ، واستنكار بالغ :

ـ ليس باستطاعتك ؟! ليس باستطاعتك ماذا يا دكتور (حجازى) ؟! إننا نواجه خطرًا ، لاقبل لنا به ، وعدوًا نلقى منه ويلات ، تفوق ويلات الاحتلال نفسه(*) .. ألم تر ما فعله بنا ، فى صراعنا السابق ؟! ألم تشاهد بنفسك حطام مبنى المخابرات العلمية ، أو مركز الأبحاث التابع له ؟! ألم تفحص بنفسك جثث الضحايا ، الذين سيطر على عقولهم ، وأجبرنا على القضاء عليهم ، أو أجبرهم على قتل أنفسهم ، دون ذرة واحدة من الرحمة أو الشفقة ؟! ألايمكنك أن تتخيّل ما يمكن أن يحدث ، لو أنه عاد مرة أخرى ، بكل قوته وقدراته ، وكل شروره وشيطانيته ، لينتقم منا ، أو من العالم الذى هزمه ؟!

غمغم الدكتور (حجازى) ، بكل توتر الدنيا :

ـ لايمكنه أن يعود .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

أشارت (سلوى) إلى كتفها ، قائلة فى حدة :

ـ ولكنه عاد بالفعل .

هز كبير الأطباء الشرعيين رأسه ، قائلاً :

ـ ربما هناك تفسير آخر .

هتفت (نشوى) :

ـ وربما هذا هو التفسير الوحيد .

هتف الدكتور (حجازى) ، محاولاً الدفاع عن نفسه :

ـ مازلنا عند كلمة (ربما) .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ دعنا نحسم الأمر إذن .

تساءل الدكتور (حجازى) ، فى حيرة متوترة ، ووجه يدعو إلى الإشفاق والتعاطف :

ـ وكيف ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ بالمعلومات .

صمت الكل تماماً ، بعد جوابه هذا ، وأدار الدكتور (محمد حجازى) عينين زائغتين ، فى وجوههم جميعاً ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وإن أنبأتهم ارتجافة شفتيه ، بأن كلمات (نور) قد أصابت هدفها بدقة ، لذا فقد تابع هذا الأخير فى حزم مهذب :

ـ لايمكنك أن تواجه العدو .. أى عدو ، دون أن تكون لديك معلومات كافية عنه ، وإلا فأنت أشبه بالأعمى ، الذى يطارد فريقاً من المبصرين .. المعلومات هى سلاحنا الوحيد ، للكشف عن طبيعة عدونا ، وهويته ، ونقاط قوته وضعفه ، والأسلوب الأمثل لمواجهته ، وللقضاء عليه أيضاً ، إذا ما حتمت الظروف هذا .

تمتم الدكتور (حجازى) ، فى خفوت شديد :

ـ لايمكننى أن أمدكم بكل هذا .

أجابه (أكرم) ، وهو يكتم غضبه بصعوبة :

ـ امنحنا ما لديك إذن .

بدت حيرة شديدة التوتر ، على وجه الدكتور (حجازى) ، الذى راح يحك ذقنه فى عصبية شديدة ، جعلت (رمزى) يقول ، محاولاً تهدئته :

ـ لاتنس أننا رجال مخابرات علمية ياسيدى .

أشار الدكتور (حجازى) إلى (مشيرة)، وهو يجيب فى سرعة:

ـ هى ليست كذلك.

تراجعت (مشيرة) بحركة حادة كالمصعوقة، وهى تهتف فى غضب شديد:

ـ ماذا تقصد ؟! هه .. ماذا تقصد بقولك هذا ؟!

اعتدل الدكتور (حجازى)، وقال فى صرامة شديدة، وعصبية واضحة بالغة:

ـ سأخبر (نور) وحده.

ثم استدرك، وهو يلوّح بسبّابته، فى وجوههم جميعًا:

ـ من أجل صالحكم جميعًا.

وقبل أن ينبس أحدهم، استدار إليهم (نور)، قائلاً بلهجة آمرة صارمة، تحمل لمحة من القسوة:

ـ انتظرونا فى الخارج.

احتقن وجه (مشيرة)، وهمّت بأن تقول شيئًا، ولكن (أكرم) أمسك ذراعها فى قوة وصرامة، وهو يقول:

ـ هيا .. سنغادر المكان جميعًا.

احتقن وجهها أكثر، وهى تغادر مع الآخرين، وأغلق (نور) الباب خلفهم فى حزم، ثم التفت إلى الدكتور (حجازى)، قائلاً فى هدوء، لم يخل من حزم وصرامة مهذبين:

ـ هانحن أولاء وحدنا يادكتور (حجازى) .. والآن ماذا حدث يومئذ، ومنعك من استكمال عملية الفحص.

غمغم الدكتور (حجازى)، وهو عاجز عن كتمان توتره البالغ:

ـ سأخبرك يا (نور) .. سأخبرك بكل شىء يا ولدى.

وأخبره بما لديه ..

وكانت قصة مذهلة ..

مذهلة بحق.

* * *

٤ـ العقول ..

كالمعتاد ، منذ مئات السنين ، كان كل شيء هادئًا ، صامتًا ، ساكنًا ، ممتدًا هناك ..

في جبال (التبت) ..

المشهد نفسه ، الذي يمكن أن تراه الآن ، وفي المستقبل ، أو حتى في الماضي السحيق ، حتى إنه لو جاء فنان ، من القرن العاشر الميلادي ، ليراجع لوحة رسمها أيامها ، على ما أمامه في بدايات القرن الحادي والعشرين ، لما وجد اختلافًا يذكر ، اللهم إلا في أشكال السحب وحركتها ..

جبال عالية ..

مساحات شاسعة ..

جليد يغطي كل شيء ..

كل شيء بلا استثناء ..

حتى قمة ذلك المعبد البوذي القديم ، العريق ، المقام على قمة جبل متوسط ، يكاد يختفي بين القمم الشاهقة من حوله ..

ذلك المعبد بالتحديد ، بدا أشبه بجزء من لوحة ساكنة ، على الرغم من الدخان الخفيف للغاية ، الذي يتصاعد من مدخنته الخلفية الصغيرة ، ومجموعة الرهبان ، الذين يتشاركون في التحول الشديد ، والرءوس الصلعاء ، والعيون المغلقة في استرخاء ، وتلك الجلسة القرفصائية المميزة ، مع الملابس الرثة الخشنة ، التي لا تكاد تستر أجسادهم ، على الرغم من برودة الطقس الرهيبة من حولهم ، والتي بدوا وكأنهم لا يشعرون بها مطلقًا ..

أو أنهم قد تحولوا إلى تماثيل جامدة ..

تماثيل من الرخام ..

أو من الثلج ..

والواقع أنهم ، في جلستهم الجامدة الثابتة هذه ، كانوا يمارسون نوعًا من الطقوس ، التي مارسها أجدادهم ، منذ مئات السنين ..

التأمل ..

تلك الرياضة الروحية الفريدة ، التي تسمو بالعقل ، وتطلق كافة قدراته وطاقاته ، وتمنحه القدرة على ترويض الجسد ، والسيطرة حتى على كل عضلاته وأجهزته اللاإرادية ..

وفى تلك اللحظة ، التى انتقل فيها المشهد إليهم ، كانوا قد استغرقوا ما يزيد على اثنتى عشرة ساعة كاملة ، فى ممارسة تأملهم هذا ..

دون توقُّف ..

أو نوم ..

أو حتى طعام ..

بل حالة من شبه اليقظة ..

وشبه الغيبوبة ..

حالة استسلمت فيها الأجساد ..

وانطلقت فيها العقول ..

انطلقت ..

وانطلقت ..

وانطلقت ..

ولن تكون هناك ذرة واحدة من المبالغة ، لو قلنا إنهم كانوا يرون ما حولهم ، دون أن يفتحوا أعينهم ..

ويلمسون كل ما يحيط بهم ، دون أن يستخدموا أصابعهم ..

ويعرفون ما يدور فى رءوس بعضهم ، دون أن يتحدثوا ..

أو حتى يتقاربوا ..

قدراتهم كانت هائلة بحق ..

هائلة إلى حد لا يمكن تصوره ..

لذا ، كان من النادر أن يتحدثوا ..

من النادر جدًا ..

صلاتهم العقلية القوية جعلتهم بغير حاجة إلى الحديث ..

أو إلى أى تواصل آخر ملموس ..

تكفيهم عقولهم ..

فقط عقولهم ..

وفى جلستهم المشتركة هذه ، والتى تضمّ رهبان كل المعابد الصغيرة ، المنتشرة فى جبال (التبت) ، والتى تحدث مرة واحدة كل عام ، لم يكن هناك اتفاق مسبق على فترة تأمُّل بعينها ..

ولكن الكل كان يعلم متى يبدأ ..

ومتى ينتهى ..

وعلى الرغم من أن السحب الداكنة ، كانت تخفى قرص الشمس تماماً ، إلا أن أضواء الشفق ، التى تبدو من خلف قمم الجبال ، كانت تشير بوضوح إلى أنه وقت المغيب ..

الشمس اجتازت سماء (التبت) ..

واستعدت للرحيل ..

وفى أعماق كل منهم ، ودون أن يتبادلوا حرفاً واحداً ، أو يفتح أيهم عينيه ، أدركوا جميعاً أن عليهم الاستعداد للعودة ..

والخروج من حالة التأمل العميق ..

ومنح الجسد بعض حقوقه ..

أقل القليل منها ..

النوم ..

والطعام ..

وقضاء الحاجة ..

وهذا ما اعتادوا فعله ، فى أضيق حدود يمكن تصورها ..

أضيق مما يمكنك حتى أن تتخيل ..

ولو أن عالماً طبيعياً قام بدراسة كميات الطعام الضئيلة جداً ، التى يتناولها الواحد منهم شهرياً ، لوجد أنها لا تكفى لإطعام طفل صغير ، فى يوم واحد ، حتى إن بعض العلماء يتساءلون عن الطاقة ، التى تمد أولئك البشر بالقدرة على الحياة والاستمرار[*] ..

ولكن المدهش أنهم يكتفون بهذه الكميات الضئيلة ..

يكتفون بها تماماً ..

عقولهم سيطرت على أجسادهم ، وجعلتها قادرة على خفض معدلات الأيض ، أو التمثيل الغذائى ، إلى أدنى حد ممكن ..

وكذلك معدلات النبض ..

والتنفس ..

وكذلك إدرار العرق والبول ..

عقولهم إذن جعلت أجسادهم تكتسب قوة خاصة ..

خاصة جداً ..

قوة نجح العلم فى فهمها ..

وتفسيرها ..

(*) حقيقة .

ووضع قواعد وقوانين لها ..

ولكنه لم ينجح قط فى استيعابها ..

أو تطبيقها ..

أو حتى تطويعها ..

هذا لأن مثل هذه القدرة لا يحتاج إلى المعرفة فحسب ..

بل يحتاج إلى الإرادة ..

والتدريب المستمر ..

إرادة من فولاذ ..

وتدريب دائم متواصل .. لا ينقطع أبدًا ..

أبدًا ..

وصبر بلا حدود ..

على الإطلاق ..

وهذا ما يتميزون به جميعًا ..

وما اكتسبوه مع مرور الزمن ..

وما ملكوه من قوة ..

وعلى الرغم من عيونهم المغلقة ، وأجسادهم الساكنة ، فى لقائهم السنوى هذا ، كانوا يدركون جميعًا أن الشمس تغيب ..

وتغيب ..

وتغيب ..

وفجأة ، وبلا مقدمات ، أظلمت الدنيا كلها ..

أظلمت ظلامًا دامسًا رهيبًا ، انتفضت له أجسادهم فى قوة ، وسرت معه ، عبر أجسادهم المتجاورة ، موجة من صقيع رهيب ، بدا وكأنه قد تجاوز الجلود ، وانغرز فى العظام مباشرة ..

ولأول مرة ، ربما فى حياتهم كلها ، شعر رهبان المعابد البوذية التبتية بالبرد الشديد ..

وبالخوف ..

الخوف المبهم الغامض ..

والرهيب ..

ولم يفتح أحدهم عينيه ، أو يغيّر جلسته الصامتة الساكنة ، ولكن عقولهم اتجهت جميعها نحو هدف واحد ..

نحو البحث عن تفسير ..

وتوضيح ..

وتقييم لما حدث ..

ولكن الظلام في عقولهم راح يشتد ..

ويتكاثف ..

ويتكاثف ..

ويتكاثف ..

ثم ظهر فجأة ذلك العملاق ..

عملاق رهيب ، بلا ملامح ، يفوق حجمه ضعف حجم أضخمهم على الأقل ، وراح يقترب منهم ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وعلى الرغم من أن قلوب رهبان التبت ، تختلف كثيراً عن القلوب العادية ، في عدد انقباضاتها ، التي لا تزيد على أصابع اليد الواحدة كل دقيقة(*) ، إلا أنها راحت تخفق ، وراحت تتسارع ..

وتتسارع ..

وتتسارع ..

(*) حقيقة .

في كل خطوة ، يقترب بها العملاق منهم ، عبر جبال الجليد الهائلة ، كانت قلوبهم تخفق ..

وتخفق ..

وتخفق ..

ولكن العجيب أنه ، وعلى الرغم من كل هذا ، لم يتحرك أحدهم قيد أنملة ..

أو يفتح عينيه لحظة واحدة ..

ليس لأنهم لم يكونوا قادرين على هذا ، ولكن لأنهم يدركون أن قوتهم ، في مثل هذه الظروف ، تكمن في اتحادهم ..

وتآزرهم ..

وتماسكهم ..

وفي عقولهم المشتركة ، التي تتضاعف قوة كل منها ، في وجود الآخرين ..

ولكن الأسئلة ذاتها دارت في كل العقول ، في آن واحد ..

من هذا ؟!

من أين جاء ؟!

ولماذا ؟!

كانوا يدركون جميعًا ، أن ما يرونه فى عقولهم ليس صورة حقيقية ..

وأنه لايوجد عملاق حقيقى يقترب منهم ..

أو حتى ظلام يحيط بهم ..

ولكنها قوة ما ..

قوة اخترقت عقولهم ..

واحتوتها ..

وسيطرت عليها ، على نحو ما ..

قوة تفوق أية قوة أخرى عرفوها ..

على الإطلاق ..

ولقد واصل ذلك العملاق ، منعدم الملامح ، الاقتراب منهم ، عبر اتصالهم العقلى ..

ثم توقف بغتة ..

توقف عندما رسمت عقولهم صورة قريبة للغاية منهم ..

صورة أظهرت ضخامته ..

وقوته ..

ورهبته ..

وأطلق العملاق ضحكة قوية ..

ضحكة لم تسمعها آذانهم ، ولكن رددتها عقولهم ..

ضحكة شامتة ..

ظافرة ..

شيطانية ..

ووحشية ..

ضحكة أعادت إليهم ذلك الشعور ، الذى لم يختبروه فى حياتهم من قبل قط ..

الخوف ..

الخوف الشديد ..

« تتساءلون طبعًا من أنا ؟! »

تردد السؤال فى عقولهم جميعًا ، فى آن واحد ، وبدا صارمًا ، ساخرًا ، ظافرًا ، على نحو رهيب مخيف ..

ولم يجب أيهم بالطبع ..

لم تجب ألسنتهم ..

ولم تجب عقولهم ..

فالواقع أنه لم يكن هناك جواب ..

أى جواب ..

السؤال نفسه ، كان فى حقيقته بلا معنى ..

بلا منطق ..

وبلا جواب واضح ..

من هو ؟!

لا أحد منهم يعرف !

أو يمكن أن يعرف !

فبالنسبة لرهبان مثلهم ، لا توجد أية حياة اجتماعية خارجية ..

لا أقارب ..

أو معارف ..

أو أصدقاء ..

أو حتى زوار ..

لا يوجد سوى رهبان ..

فقط الزملاء من الرهبان ..

وعبر عشرات السنين ، لم يفد إلى المكان سوى غريب واحد ..

غريب واحد لا غير ..

« يبدو أنكم على وشك التذكُّر .. » ..

ترددت هذه العبارة أيضًا فى رءوسهم ، بنفس الأسلوب الشامت الظافر الساخر ..

الأسلوب الوحشى ..

والشيطانى ..

وفى هذه المرة ، تفجَّر الخوف فى أعمق أعماقهم أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

فهذا مستحيل !

مستحيل تمامًا ..

الغريب الوحيد ، الذى جاء إليهم يومًا ما ، وعاش بينهم لعقدين من الزمان ، أخفى خلالهما أهدافه ونواياه ، وخدع عقولهم جميعًا ، ليحصل على كل خبراتهم وطاقاتهم ، لم يعد له وجود ، فى هذه الحياة ..

صحيح أنه كان يفوق كلاً منهم قوة ..

ولكن اتحادهم كان أقوى منه ..

وأعنف ..

وأكثر تأثيرًا ..

لذا فقد انهزم ..

واندحر ..

وانتهى تمامًا ..

هم يدركون هذا ..

عقولهم أدركته ..

وتيقنت منه ..

تمامًا ..

والموتى لايعودون إلى الحياة ..

ربما تؤمن عقيدتهم بإمكانية الاتصال بأرواحهم ، فى الحياة الأخرى ، ولكنها لا تؤمن بعودتهم قط(*) ..

لذا فلم يكن لدى رهبان (التبت) جواب ..

أى جواب ..

(*) حقيقة .

« لاتصدقوا كل ما قاله الأجداد .. »

عبارة أخرى ، ترددت فى عقولهم جميعًا ، بنفس اللهجة الظافرة ..

الشامتة ..

الساخرة ..

الوحشية ..

الشيطانية ..

مرة أخرى استقبلت عقولهم عبارة بثّت فى نفوسهم الخوف ، قبل أن تتواصل فى شراسة ..

« لاتصدقوا أن الموتى لايعودون .. » ..

وهنا تحوّل الخوف إلى رعب ..

رهبان (التبت) ، الذين اعتادت عقولهم وأجسادهم الهدوء والسكينة ، تفجّرت فى أعمق أعماقهم موجة من أسوأ المشاعر البشرية ..

موجة من الخوف ..

والرعب ..

والضعف أيضًا ..

نعم .. الضعف ، في مواجهة أمر ، أيقنوا دومًا باستحالته ..

ثم إن الأمر لم يقتصر على ما يتردد في أعمق أعماق العقل هذه المرة ..

لقد كانت هناك صورة أيضًا ..

فوجه العملاق ، الذي ظل حتى تلك اللحظة خاليًا ، خاويًا من أية ملامح ، راح فجأة يتكوَّن ..

ويتشكَّل ..

ويتحوَّر ..

الجمجمة مالت إلى الجانبين ، وانخفضت على نحو أشبه بالشق من منتصفها ، في نفس الوقت الذي تكوَّنت فيه تجاعيد شديدة ، في منتصف الجبهة تمامًا ، وراحت تتغير في سرعة ..

ثم ظهرت تلك العين الرهيبة ، في منتصف الجبهة ..

العين الثالثة ..

وهنا أصبحت الملامح واضحة ..

واضحة تمامًا ..

ومع ضحكة شيطانية مجلجلة ، انبعثت عبارة جديدة ، في أعمق أعماق أمخاخهم ..

« نعم .. إنه أنا .. »

قالها ذلك العملاق الرهيب ، وسط الصورة المظلمة المخيفة ، ثم انقض فجأة ..

انقضَّ على كبيرهم ، وأحاط عنقه بيديه ، وضحكاته الرهيبة تتردَّد في أعماق عقولهم ..

وتتردَّد ..

وتتردَّد ..

ولأوَّل مرة ، ربما في حياتهم كلها ، اضطرب اتصالهم العقلي القوي ..

اضطرب في عنف ..

وفي عقولهم ، ارتسمت صورة رهيبة ..

صورة مخيفة ومفزعة ..

إلى أقصى حد ممكن ..

صورة للعملاق ، الذى اكتسب ملامح الغريب الرهيب ، وهو يقبض بأصابعه النحيلة الطويلة القوية ، على عنق كبيرهم ، ويعتصره ..

ويعتصره ..

ويعتصره ..

وفى الصورة نفسها ، كان كبيرهم يختنق بشدة ..

كان وجهه محتقنًا ..

وعيناه جاحظتين ..

ولسانه يتراقص خارج حلقه ..

ولكن العملاق الرهيب واصل اعتصار عنقه ، وهو يطلق ضحكته الشيطانية الوحشية ، التى ترددت وسط جبال (التبت) ..

وترددت ..

وترددت ..

وهنا .. ودون اتفاق مسبق ، فتح الرهبان عيونهم ..

وتطلعوا إلى كبيرهم ..

عندئذ تلاشى الظلام ، وعادت جبال (التبت) تكتسب لونها الطبيعى ، ووضوحها التقليدى ، فى مثل تلك الساعة ..

ولم يعد هناك وجود للعملاق ..

ولم تعد ضحكاته تتردد ..

ولكن كبيرهم كان يختنق ..

ويختنق ..

ويختنق ..

وملامحه كلها كانت تؤكد أنه هناك من يعتصر عنقه بالفعل ..

كلها ..

كان محتقن الوجه ، جاحظ العينين ، متدلى اللسان ، وكفاه يضربان ما حوله فى استماتة ، وكأنه يقاوم عدوًا خفيًا ..

ثم سمعوا جميعًا فرقعة مكتومة ..

ورهيبة ..

وبعدها سقط رأس كبيرهم على صدره ..

ثم انهار جسده كله ..

انهار دفعة واحدة ..

وجثة هامدة ..

وعلى الرغم من هول الموقف ، لم يتحرك أحدهم لدقيقة كاملة ..

فقط ظلوا يحدقون فى جثة كبيرهم ، الذى ما زال فى جلسته القرفصائية ، وإن غابت عنه كل ملامح الحياة ..

بلا استثناء ..

وبعد مرور تلك الدقيقة ، نهض الرهبان جميعهم فى بطء ، ثم اتجه أحدهم نحو جثة كبيرهم ، وأمسك رأسه ، ليرفعه فى رفق ، و ...

وتجمدت ملامحهم ومشاعرهم دفعة واحدة ..

تجمدت وهم يحدقون جميعًا فى عنق كبيرهم المحطم .. والذى ظهرت عليه فى وضوح ، آثار تلك الأصابع ، التى سحقته بلا رحمة ، وسلبته الروح بلا لمحة من ضمير ..

الأصابع الطويلة ..

النحيلة ..

القوية ..

الشيطانية ..

وعندئذ ، وربما عندئذ فقط ، بدأ رهبان المعابد البوذية فى (التبت) يشعرون بالبرد المحيط بهم ..

يشعرون به بشدة ..

وفى كل جزء من أجسادهم ..

فى أطرافهم ..

وقلوبهم ..

وعقولهم أيضًا ..

فالتجربة الرهيبة ، التى عاشوها فى تلك اللحظات ، التى لم تتجاوز فى الواقع الدقيقة الواحدة ، كانت تفوق إدراكهم ..

وتفوق قوتهم ..

وإمكانياتهم ..

ألف مرة ..

لذا ، فقد عادت عقولهم تلتقى ، دون أن يغلقوا أعينهم ..

عادت تلتقى بفكرة واحدة ، أنبأتهم بأن ما حدث مجرّد بداية رهيبة ..

بداية لمرحلة خطيرة من حياتهم ..

ومن وجودهم ..

واستمراريتهم ..

خطيرة للغاية ..

وإلى أقصى حد ممكن ..

أو غير ممكن ..

* * *

٥ ـ دواعى أمن ..

كعالم جليل ، وخبير محنك فى الطب الشرعى ، له نظرياته ومدرسته ، وشهرته التى جابت الآفاق ، كان من الطبيعى أن ينبهر الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين بالحالة التى أمامه ، والتى لم تسجلها أية مراجع طبية أو علمية من قبل ، والتى راح ذلك المسخ يستعيد فيها نشاطه وحيويته ، وسيطرة مخه على جسده ، بعد أن أشارت تقارير الفحص الأولية كلها إلى توقف معدلاته الحيوية ، وأعضاء جسده الخارجية والداخلية عن العمل ..

وبكل شغفه واهتمامه ، وفضوله العلمى البالغ ، راح الدكتور (حجازى) يسجل ما يحدث أمامه ، لحظة فلحظة ، ويصف عملية انتقال العلامات الحيوية ، عبر الجسد المسجى أمامه ، بمنتهى الدقة العلمية ، و ...

وفجأة ، اقتحم ذلك الرجل حجرة الفحص ..

رجل يرتدى زياً عسكرياً رسمياً ، اقتحم المكان دون استئذان ، ودون أن يطرق حتى بابه ، وقال بمنتهى الصرامة والغطرسة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويشدّ قامته فى اعتداد :

ـ دكتور (محمد حجازى) .. أليس كذلك ؟!

استدار إليه الدكتور (محمد حجازى) ، بكل استنكار الدنيا ، وهو يقول فى غضب :

ـ كيف دخلت إلى المكان هكذا ؟!

كانت حجرة الفحص ، بالنسبة إليه ، أشبه بالمحراب ، لا ينبغى أن يتجاوز عتبتها إلا كل من له صلة مباشرة بها فحسب ..

وبالنسبة إليه أيضًا ، كان وجود رجل عسكرى ، أيًا كانت رتبته ، داخل حجرة الفحص ، أمرًا مرفوضًا ..

مرفوضًا تمامًا ..

لذا ، فقد بدا غاضبًا صارمًا ..

وبشدة ..

ولكن ذلك العسكرى لم يبال أبدًا بالأمر ، بل ظلّ قاسيًا ، متغطرسًا ، وهو يقول :

ـ لم تجب سؤالى بعد .

صاح به الدكتور (حجازى) :

ـ وأنت أيضًا .

مطّ العسكرى شفتيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا بأس لو لم ترغب فى الإجابة ، فهذا لن يصنع فارقًا .

قالها ، ثم أشار بسبابته فى تعال ، فاندفعت مجموعة من الجنود إلى حجرة الفحص ، والتفّت حول المنضدة ، التى يرقد عليها جسد المسخ ، ثم ارتفعت فوهات مدافعهم الليزرية فى تحفز ، جعل الدكتور (حجازى) ، يهتف ، فى غضب أكثر :

ـ ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟!

أجابه العسكرى ، فى صرامة قاسية :

ـ الأمور هنا لم تعد تحت سيطرتك يا رجل .

كان المكان يزدحم بالجنود ، وبالمدافع الليزرية ، على نحو أجبر الدكتور (حجازى) على التراجع إلى الجدار ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟! انقلاب ؟!

قال العسكرى فى صرامة :

ـ ربما يبلغ ما هو أسوأ ، لو تركنا الأمر فى قبضة المدنيين أمثالك ؟!

ردّ الدكتور (حجازى) ، فى غضب مستنكر :

ـ المدنيون أمثالى ؟!

تجاهله العسكرى تماماً هذه المرة ، وهو يشير إلى جنوده ، الذين بدءوا يتعاونون ، لرفع جثة المسخ ، فاندفع الدكتور (حجازى) نحوهم ، هاتفاً :

ـ هذا الجسد لن يخرج من هنا .

لم يكد ينطقها ، حتى استدار إليه أحد الجنود فى شراسة ، وألصق فوهة مدفعه الآلى بعنقه ، وهو يطلق زمجرة تحذيرية متحفزة ، دافعاً إياه أمامه فى قسوة ، حتى ضرب ظهره بالجدار ، فابتسم العسكرى ، وهو يقول فى ظفر ساخر :

ـ أخبرتك منذ البداية أن الأمور قد خرجت ، عن نطاق سيطرتك وسلطاتك .

هتف الدكتور (حجازى) ، عندما شاهدهم يدفعون محفة خاصة إلى الحجرة :

ـ ليس هذا من حقكم .. لابد من الحصول على موافقة النيابة .

قال العسكرى فى صرامة :

ـ هذا يفوق سلطات النيابة أيضاً .

صاح الدكتور (حجازى) فى غضب :

ـ لا أحد فوق القانون .

شدّ العسكرى قامته ، وهو يقول فى قوة وصرامة :

ـ أمن الدولة فوق كل اعتبار .

غمغم الدكتور (حجازى) ، بمنتهى الدهشة :

ـ أمن الدولة ؟! وما شأن أمن الدولة ، بعملية فحص قانونية ؟!

أشار العسكرى إلى المسخ ، الذى نقله جنوده إلى المحفة الجديدة بالفعل ، وهو يقول فى ازدراء :

ـ هذا الـ ... الشىء ، عرّض حياة الكثيرين وأمنهم ، إلى خطر رهيب مجهول ، مما يجعله خطراً على أمن الدولة .

قال الدكتور (حجازى) فى عصبية :

ـ إنه مجرّد شخص مصاب عاجز .

ابتسم العسكرى فى سخرية ، قائلاً :

ـ أتؤمن بهذا حقاً ؟!

قال الدكتور (حجازى) فى حدة :

ـ هذا رأيى كخبير .

مطّ العسكرى شفتيه ، وقال :

ـ سنضع هذا فى الاعتبار بالتأكيد .

ثم أشار إلى الجنود ، فحملوا جسد المسخ إلى الخارج ، والدكتور (حجازى) يقول ، بمنتهى العصبية والغضب :

ـ أكرّر أن هذا ليس من حقكم .. سأتقدّم باحتجاج رسمى إلى السلطات المسئولة ، و ...

قاطعه العسكرى بمنتهى الصرامة :

ـ إنك لن تفعل شيئاً .

قالها ، وهو يمد يده ، ليلتقط جهاز التسجيل ، الذى يحوى كل التفاصيل ، ثم يدسّه فى جيبه ، فانتفض جسد الدكتور (حجازى) ، وهو يصرخ :

ـ لا .. ليس هذا .

زمجر الجندى مرة أخرى ، ودفع فوهة المدفع فى عنقه أكثر ، فصرخ غاضباً :

ـ ما هذا بالضبط ؟! احتلال جديد ؟!

أجابه العسكرى بمنتهى الصرامة :

ـ دواعى الأمن تبيح أى شىء فى الوجود يا رجل .

صاح الدكتور (حجازى) :

ـ لاشىء فى الدنيا يبيح الاعتداء على حريات الآخرين ، أو تجاوز القوانين والنظم .. لاشىء على الإطلاق .

ابتسم الضابط فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هذا ما يتصوره المدنيون أمثالك .

اندفع أحد الجنود فى تلك اللحظة ، وهو يحمل مجموعة من الأسطوانات المدمجة الصغيرة ، وأدى التحية العسكرية لضابطه ، ثم انحنى يهمس فى أذنه ببضع كلمات ، فأومأ برأسه متفهماً وهو يقول ..

ـ عظيم .. عظيم ..

والتقط الأسطوانات المدمجة ، ودسّها فى جيبه ، وقال وهو يرمق الدكتور (حجازى) بنظرة ساخرة :

ـ هذه كل الأسطوانات ، التى سجّلت ما دار فى الحجرة ، منذ وصول تلك الـ .. الشىء .. هكذا لايعود هناك دليل واحد ، على ما حدث هنا .

صاح الدكتور (حجازى) :

ـ ولماذا تسعون لإخفاء ما حدث هنا ؟!

أجابه الضابط ، بمنتهى الصرامة :

ـ ليس هذا من شأنك أيها المدنى .

صاح الدكتور (حجازى) بغضب :

ـ بل هو من شأنى ، ومن شأن أى شخص عاقل ، يأبى أن تعود الأساليب الديكتاتورية إلى مجتمعه ، بعد أن تطهَّر منها ، وتجاوز ويلاتها الرهيبة .

انعقد حاجبا الضابط ، فى ثورة شديدة ، وهو يهتف :

ـ كيف تجرؤ ..

قاطعه الدكتور (حجازى) ، فى ثورة أكبر :

ـ بل أجرؤ ، وسأقولها ألف مرة ، حتى لو أمرت هذا الجندى الحقير بنسف رأسى ألف مرة .. سأقولها من أجل الحرية .. من أجل العزة .. من أجل الكرامة .

احتقن وجه الضابط ، فى غضب هادر ، وصاح فى الجندى :

ـ استعد .

كان الدكتور (حجازى) يدرك ما الذى يعنيه هذا ، وعلى الرغم من هذا ، فقد صاح بكل غضب الدنيا :

ـ هيا .. دعه يطلق النار .. دعه يشبع تلك النزعة السادية الدموية فى أعماقك ، و ...

قبل أن يكمل صيحه ، دلف ضابط أكبر رتبة إلى المكان فجأة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى تراجع الضابط الأوَّل بحركة حادة ، واتخذ وقفة عسكرية صارمة متوترة ، فى حين بدا الارتباك على الجندى ، الذى يلصق فوهة مدفعه بعنق الدكتور (حجازى) ، وراح ينقل بصره بين الضابطين فى قلق ، فى حين أطلَّ الغضب من عينى الضابط الأكبر رتبة ، وهو يقول فى صرامة غاضبة :

ـ وكيف يحدث هذا ؟!

قال الضابط الأوَّل فى توتر :

ـ سيِّدى .. كنا ننفذ الأوامر الخاصة بـ ...

قاطعه الضابط الأكبر فى غضب :

ـ بهذا الأسلوب ؟!

ثم استدار إلى الجندى ، وصاح فيه بغضب هادر :

ـ اخفض سلاحك .

أطاعه الجندى على الفور ، وأدى له تحية عسكرية قوية ، فاستدار إلى الضابط الأوَّل ، وتابع بمنتهى الصرامة :

ـ أنت محال إلى محاكمة عسكرية .

قال الضابط فى توتر :

ـ كنت أنفذ الأوامر فحسب .

أجابه الضابط الأكبر ، فى غضب صارم :

ـ المحاكمة العسكرية ستجعلك تعرف الفارق ، بين تنفيذ الأوامر ، وتجاوز الحدود ، واستغلال السلطة والنفوذ .

بدا توتر بالغ على وجه الضابط ، وهو يقول :

ـ كما تأمر يا سيدى .

نقل الضابط الأكبر بصره فى صرامة ، بين وجهى الضابط والجندى ، قبل أن يلتفت إلى الدكتور (حجازى) ، ويقول بلهجة عسكرية آمرة :

ـ اتركونا وحدنا .

أطاع الاثنان أمره على الفور ، وغادرا الحجرة معًا ، ليتركاه داخلها وحده ، مع الدكتور (حجازى) ، الذى ظلّ صامتًا غاضبًا ، حتى قال الضابط الكبير ، بأسلوب هادئ مهذّب :

ـ كيف أقدّم لك الاعتذار ، على كل ما حدث هنا ؟!

غمغم الدكتور (حجازى) ، بنفس العصبية والتوتر :

ـ يكفينى ما فعلته .

ثم لوّح بسبابته ، مستطردًا فى حدة :

ـ ولن تعيدوا جسد ذلك المسخ إلى هنا .

ابتسم الضابط ، وهو يقول :

ـ دعنا نتجاوز كل ما هو مستحيل يا دكتور (حجازى) .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) وهتف فى غضب مستنكر :

ـ ما هو مستحيل ؟! إننا نتحدّث عن ..

قاطعه الضابط فى هدوء :

ـ سلطاتى لا تبلغ هذا الحد .

حدّق الدكتور (حجازى) فى وجهه ، فتابع فى حزم :

ـ إنها أوامر عليا .. أوامر سيادية عليا .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) مرة أخرى ، مع هذا الجواب المباشر ، وحدّق فى وجه الضابط أكثر وأكثر ، وهو يغمغم مبهوتًا :

ـ أوامر سيادية عليا ؟! ولكن لماذا ؟!

هزّ الضابط كتفيه ، مجيبًا :

ـ لست أدرى .. أنا مثلك تمامًا .. أنفذ الأوامر فحسب ، ولا شأن لى بالأسباب .

ثم مال نحوه ، وقال وكأنه يذيع سراً رهيبًا :

ـ كل ما أعلمه ، هو أن وجود هذا الشيء هنا ، يهدد الأمن القومى كله .

هتف الدكتور (حجازى) :

ـ إلى هذا الحد ؟!

أومأ الضابط برأسه إيجابًا ، قبل أن يضيف ، فى لهجة توحى بخطورة الأمر كله :

ـ وربما الأمن العالمى أيضًا .

خفق قلب الدكتور (حجازى) فى عنف ، وحملت عيناه نظرة هلع كبيرة ، وهو يحاول أن يستوعب الموقف كله ، إلا أن الضابط لم يمنحه الفرصة لهذا ، وهو يضع يده على كتفه ، ويقوده خارج حجرة الفحص فى رفق ، وهو يقول فى هدوء ، لم يخل من الحزم :

ـ ووفقًا للأوامر العليا أيضًا ، يفترض أن أحصل منك على وعد .

ردد الدكتور (حجازى) فى توتر حائر :

ـ وعد .. أى وعد .

ابتسم الضابط ، قائلاً :

ـ إنه قسم فى الواقع .

ثم توقف خارج الحجرة ، والتفت إليه ، واستعاد حزمه العسكرى الصارم وهو يقول :

ـ أريد منك أن تقسم على أن يظل كل ما حدث هنا الليلة ، منذ وصول ذلك الشىء ، وحتى هذه اللحظة ، سراً لا يعلم به مخلوق واحد ، مهما كانت الظروف .

تردد الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ـ ولكن المفترض أن ..

قاطعه الضابط ، فى صرامة أكثر :

ـ أقسم يا دكتور (حجازى) .. أقسم من أجل الوطن .. من أجل أمنه ، وسلامته ، وبقائه .

« وهل أقسمت ؟! »

ألقى (نور) السؤال فى هدوء ، حمل على الرغم منه لمحة مستنكرة ، التقطها الدكتور (حجازى) بذكائه المعهود ، فخفض عينيه ، مغمغمًا فى مرارة :

ـ لم يكن أمامى خيار آخر .

كان من الواضح أن الرجل ، بخبراته الواسعة ، وتاريخه العريق ، يشعر بمرارة لاحصر لها ، فى تلك اللحظات العصيبة ، لذا فقد حاول (نور) أن يتجاوز الموقف كله ، وهو يسأله :

ـ وماذا فعلوا بذلك المسخ ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى أسى :

ـ لقد انطلقوا به ، فى سيارة تجميد ، إلى مكان مجهول .. ربما أحد معامل الأبحاث العسكرية ، أو ...

قاطعه (نور) فى توتر :

ـ سيارة تجميد ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه مؤكدًا ، وهو يقول :

ـ نعم .. سيارة تجميد ، من تلك التى تستخدم فى نقل أى عينات بيولوجية سريعة التلف .

قال (نور) فى دهشة :

ـ إذن فقد كانوا يحاولون الحفاظ عليه حيًا .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه ، متمتمًا :

ـ هذا ما يبدو .

تضاعفت دهشة (نور) ، وهو يهتف :

ـ ولكن لماذا ؟!

تردد الدكتور (حجازى) لحظة ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

ـ الواقع أننى قد ألقيت على نفسى هذا السؤال عدة مرات يا (نور) ، طوال الأسابيع القليلة الماضية ، ولم أجد سوى تفسير واحد .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول فى حزم متوتر :

ـ أن يحاولوا تطويع قدراته .

هتف الدكتور (حجازى) ، فى حماسة مفاجئة :

ـ بالضبط .

بدت رنة الغضب واضحة ، فى صوت (نور) ، وهو يشد قامته ، قائلاً :

ـ لو أن هذا كل ما فكر فيه أولئك العسكريون ، فقد ارتكبوا أكبر حماقة ، فى حياتهم كلها .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ لو أنك فى موضعهم ، لما أمكنك أن تقاوم الفكرة .. فكرة صنع سلاح عسكرى جبار ، من شىء كهذا .

قال (نور) فى حدة :

ـ شيء محطَّم .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى غضب :

ـ ولكنه قادر على إعادة بناء نفسه .

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلاَّ يا (نور) .. لست أظن أن باستطاعته أن يستعيد قدرته السابقة ، مهما أعاد بناء نفسه ، أو تمكّن من السيطرة على جسده .

لوَّح (نور) بذراعه كلها ، وهو يقول فى حدة :

ـ ولكنه هنا .

قال الدكتور (حجازى) ، فى سرعة وتوتر :

ـ ليس بالضرورة .

سأله (نور) فى سرعة :

ـ من سواه إذن ؟!

تردَّد الدكتور (حجازى) طويلاً ، قبل أن يتمتم :

ـ ربما خصم آخر .

قال (نور) فى صرامة :

ـ خصم آخر ، له نفس قدرات الأوَّل ؟! بل له قدرات تفوق قدرات الخصم الرهيب الأساسى ذاته ؟! لا .. لست أظن هذا منطقيًا ، فحتى لو افترضنا وجود ذلك الخصم الآخر الوهمى ، فلماذا الانتقام ؟! لماذا السعى لإعلان وجوده ، عند كل من واجهوه من قبل ؟!

قال الدكتور (حجازى) ، وقد بدا من الواضح أن أعصابه لم تعد تحتمل :

ـ ليس كلهم .

هتف (نور) فى حدة :

ـ فليكن .. بعضهم على الأقل .. هل يرضيك هذا ؟!

بدا الضيق على وجه الدكتور (حجازى) ، وهو يتمتم :

ـ كل ما يحدث هنا لا يرضينى يا ولدى .

شعر (نور) بالخجل ، وهو يتمتم فى توتر :

ـ لم أقصد هذا يا دكتور (حجازى) .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ أعلم .

قال (نور) فى حدة :

ـ شىء محطم .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى غضب :

ـ ولكنه قادر على إعادة بناء نفسه .

هز الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلاَّ يا (نور) .. لست أظن أن باستطاعته أن يستعيد قدراته السابقة ، مهما أعاد بناء نفسه ، أو تمكن من السيطرة على جسده .

لوّح (نور) بذراعه كلها ، وهو يقول فى حدة :

ـ ولكنه هنا .

قال الدكتور (حجازى) ، فى سرعة وتوتر :

ـ ليس بالضرورة .

سأله (نور) فى سرعة :

ـ من سواه إذن ؟!

تردد الدكتور (حجازى) طويلاً ، قبل أن يتمتم :

ـ ربما خصم آخر .

قال (نور) فى صرامة :

ـ خصم آخر ، له نفس قدرات الأول ؟! بل له قدرات تفوق قدرات الخصم الرهيب الأساسى ذاته ؟! لا .. لست أظن هذا منطقيًا ، فحتى لو افترضنا وجود ذلك الخصم الآخر الوهمى ، فلماذا الانتقام ؟! لماذا السعى لإعلان وجوده ، عند كل من واجهوه من قبل ؟!

قال الدكتور (حجازى) ، وقد بدا من الواضح أن أعصابه لم تعد تحتمل :

ـ ليس كلهم .

هتف (نور) فى حدة :

ـ فليكن .. بعضهم على الأقل .. هل يرضيك هذا ؟!

بدا الضيق على وجه الدكتور (حجازى) ، وهو يتمتم :

ـ كل ما يحدث هنا لا يرضينى يا ولدى .

شعر (نور) بالخجل ، وهو يتمتم فى توتر :

ـ لم أقصد هذا يا دكتور (حجازى) .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ أعلم .

ثم التقط نفساً عميقاً ، قبل أن يمكنه أن يتابع :

ـ أنتم تواجهون خطراً غامضاً ، يهدد حياتكم فى كل لحظة ، ولاتجدون له أى تفسير علمى أو منطقى ، ومن الطبيعى أن تثار أعصابكم وتتوتر ، و ...

ـ « ما الذى قصده الضابط ، بأوامر سيادية عليا ؟! »

ألقى (نور) السؤال فجأة ، وهو يفكّر فى عمق وتركيز ، حتى بدا وكأنه لم يشعر حتى بمقاطعته للدكتور (حجازى) ، الذى بدت عليه دهشة بالغة ، وهو يجيب فى توتر :

ـ وهل يحتاج هذا إلى تفسير يا (نور) ؟!

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

ـ بالتأكيد يا دكتور (حجازى) ، فالمصطلح يمكن أن يستخدم ؛ للإشارة إلى وزارة الدفاع ، أو إلى مؤسسة الرياسة ، فأيهما المقصود به فعلياً .

قال الدكتور (حجازى) ، وقد تضاعف توتره :

ـ الذين جاءوا ، كانوا من العسكريين .

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ هذا يمكن أن ينطبق على الحالتين .

هتف الدكتور (حجازى) ، وقد بلغ توتره مبلغه ، إلى حد عجز عن احتماله :

ـ وما الفارق ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ فارق ضخم للغاية .

ثم التقط جهاز الاتصال المحدود ، الخاص به ، وهو يضيف :

ـ ولا بد من حسمه فوراً .

سأله الدكتور (حجازى) ، فى حذر بالغ التوتر :

ـ وكيف هذا ؟!

لم يجب (نور) تساؤله مباشرة ، وإنما قال فى رصانة حازمة ، عبر جهاز الاتصال :

ـ سيّدى القائد الأعلى .. لدينا هنا مشكلة ، تحتاج إلى تدخل سيادتكم مباشرة .

أدرك الدكتور (حجازى) على الفور ، أنه يتحدث إلى القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، فتراجع مبهوراً ، وهو يتمتم فى خفوت :

ـ آه .. فهمت ..

أما القائد الأعلى ، فقد سأل (نور) فى اهتمام :

ـ أية مشكلة أيها المقدّم ؟!

أجابه (نور) ، بنفس اللهجة الرصينة الحازمة :

ـ مسألة حياة أو موت ياسيدى .. إننا ..

فجأة ، وبلا مقدمات ، بتر (نور) عبارته ..

وانعقد حاجباه فى شدة ..

فلى لحظة واحدة ، وبقفزة مدهشة ، تلاشى كل شىء من حوله بغتة ، وتبدّل على نحو عجيب ..

وفجأة ، لم يعد هناك ، فى حجرة مكتب الدكتور (حجازى) ..

بل صار فى مكان آخر ..

مكان يختلف ..

يختلف تمامًا ..

وكان هذا يعنى أنه لم يعد يسيطر على عقله وحواسه ..

بل هناك ما استحوذ عليهما معًا ..

أو من استحوذ عليهما معًا ..

وبمنتهى القوة ..

* * *

٦ ـ التجـربة ..

التقى حاجبا العميد (مـاهر) ، مديـر مركـز الأبحـاث العسكرية ، وهو يتابع تلك التجربـة الفريـدة ، التى يجريها فريق من خبراء إدارته ، قبل أن يتمتم :

ـ مدهش .

كان يشعر ، فى أعمق أعماقه ، أن مـا يحدث أمامـه هو طفرة حقيقية ، فى مسار العلم كله ..

طفرة لم تسجلها أية مراجع طبية من قبل ..

أو أية مراجع علمية ..

وكانت كل ذرة فى كيانه تشعر بالزهو ..

والفخر ..

والظفر ..

أما ذلك الفريق ، الذى ضمّ مجموعة من أفضل خبراء المؤسسة العسكرية ، فى الطب ، والإليكترونيـات ، والتكنولوجيا الرقميـة ، والاتصالات ، فقد بدا أفراده مبهورين ، ربما توصلوا إليـه من نتائج ، تتجاوز أفضل وأقوى أحلامهم ، عند بداية التجربة ..

وبصوت يحمل انفعالاً واضحًا ، قال أحدهم ، من داخل الحجرة الزجاجية ، التى تحوى التجربة :

- الاستجابة مدهشة .

وأضاف آخر مبهورًا :

- كل شيء يعمل بكفاءة تامة ، كما لو أنه .. كما لو أنه ..

عجز عن التعبير عما يقصده ، فقال العميد (ماهر) فى حزم ، من موقعه الخارجى ، المطل على التجربة :

- مكتمل .. كما لو أنه مكتمل .

هتف الرجل فى حماسة :

- بالضبط .

انتفخت أوداج العميد (ماهر) بزهو ظافر أكثر ، وتراجع فى مقعده ، الذى بدا وكأنه لم يعد يكفيه ، وهو يسأل :

- ومتى يكتمل الأمر فعليًا ؟!

أجابه رجل آخر من الفريق :

- إننا نوشك على السيطرة التامة .

وأضاف آخر فى حماسة :

- أسبوع واحد على الأكثر ، وسيصبح أشبه بعجينة طازجة بين أيدينا ، يمكننا تشكيلها وفقما نشاء .

هزّ العميد (ماهر) رأسه ، قائلاً فى صرامة :

- ليس لدينا كل هذا الوقت .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا فى خشونة قاسية :

- لدينا ثلاثة أيام فحسب ، لتقديم نتائج مكتملة للقيادة .

تبادل أفراد الفريق نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يقول كبيرهم فى ارتباك شديد :

- مستحيل يا سيّدى .. إننا ..

قاطعه العميد (ماهر) ، بكل صرامة الدنيا :

- ثلاثة أيام فقط .

عادوا يتبادلون تلك النظرة ، ثم تردّد أحدهم لحظة ، وقال :

- ما زالت أمامنا صعوبات كبيرة ، لا بد من تجاوزها أولاً ، قبل أن نعلن نجاحنا .

تراجع العميد (ماهر) فى مقعده ، وهو يسأله فى صرامة :

- مثل ماذا ؟!

أجابه آخر :

ـ مثل هذه الذبذبات شديدة القوة ، فائقة القصر ، التى تنطلق منه ، كل حين وآخر ، وتسجلها الأجهزة الرقمية والإليكترونية ، فى عنف يتجاوز مؤشراتها التقليدية ، وكل المؤشرات الأخرى أيضًا .

تساءل العميد (ماهر) فى اهتمام :

ـ وما الذى تعنيه هذه الذبذبات .

أجابه رئيس الفريق :

ـ هذا ما نسعى لمعرفته .

لوّح العميد (ماهر) بيده ، قائلاً فى صرامة غاضبة :

ـ ثلاثة أيام تكفى .

قال رئيس الفريق فى سرعة :

ـ وماذا لو أنها لم تكف ؟! هل نقدم التجربة ناقصة عندئذ .

واندفع آخر يضيف :

ـ وعلى مسئوليتك الخاصة ؟!

انعقد حاجبا العميد (ماهر) بمنتهى الشدة ، عند هذه النقطة بالذات ، ورفع أصابع كفيه ، ليشبكهما أمام وجهه فى شدة ، وهو يدرس الموقف كله مرة أخرى ، قبل أن يعتدل بحركة حادة ، قائلاً :

ـ خمسة أيام .

قال رئيس الفريق فى سرعة :

ـ بل سبعة .

هبّ العميد (ماهر) من مقعده ، وبدا غاضبًا صارمًا قاسيًا ، وهو يقول منتفضًا :

ـ خمسة أيام ، وهذه أقصى مهلة يمكننى منحها .

تبادل أفراد الفريق تلك النظرة المتوترة مرة أخرى ، ثم غمغم كبيرهم فى استسلام يائس :

ـ فليكن .

تألقت عينا العميد (ماهر) وكأنه فاز فى موقعة حربية طاحنة ، وهو يقول :

ـ عظيم .

ثم عاد إلى مقعده ، وأشار بيده ، مستطرداً بلهجة آمرة :

ـ دعونا نرى كيف يستجيب مرة أخرى .

غمغم أحد أعضاء الفريق :

ـ يلوح لى أننا قد أرهقناه كثيراً اليوم ، ولاينبغى أن ..

قاطعه العيد فى صرامة :

ـ دعونا نرى هذا .

بدا التوتر على وجوه الجميع ، ولكن رئيس الفريق غمغم مستسلماً :

ـ فليكن .. مرة واحدة فقط .

بدأ الجميع يعملون فى نشاط جم ، لدقيقة كاملة ، قبل أن يعتدل رئيس الفريق ، قائلاً :

ـ الآن .

تحرك شعاع رفيع من الليزر ، فى مسار محدود ، فراح جهاز رقمى خاص يرسم منحنيات أنيقة ، على شاشة من البلازما المسطحة ، وغمغم العيد (ماهر) :

ـ مدهش .. مدهش ..

تابع أفراد الفريق تلك المنحنيات فى قلق واضح ، وترقب شديد التوتر ، و ..

وفجأة ، اهتز المنحنى الرئيسى فى عنف ..

ثم انطلق ..

انطلق يرسم منحنيات بالغة الحدة ، والقوة والنشاط ..

منحنيات راحت تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

وهتفت إحدى عضوات الفريق :

ـ ها هو ذا يفعلها مرة أخرى .

امتقعت وجوههم ، وهم يتابعون المنحنيات ، التى تسارعت ..

وتسارعت ..

وتسارعت ..

ثم بلغت حدها الأقصى ، وبدأت تتحول إلى ما يشبه الخط المستقيم ، فاعتدل العيد (ماهر) ، وهو يتساءل فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابه قائد الفريق فى توتر :

ـ ما كنا نخشاه .

صاح به العميد (ماهر) :

ـ وما الذى تخشونه ؟!

زفر عضو آخر بالفريق ، قبل أن يقول فى مرارة :

ـ ما نحاول كشفه .

وأضاف ثالث :

ـ وليس لدينا الوقت لهذا .

مع أقوالهم ، تضاعفت قوة الذبذبات ..

وتضاعفت ..

وتضاعفت ..

حتى صارت بالفعل مجرَّد خط مستقيم ..

خط يعنى الذروة ..

الذروة المطلقة ..

وفى توتر شديد ، غمغمت عضوة الفريق :

ـ ترى ما الذى يفعله بالضبط ؟!

أجابها رئيس الفريق ، مشيرًا إلى الخط المستقيم على الشاشة :

ـ يتجاوزنا .

وصمت لحظة ، ثم استدرك :

ـ يتجاوز كل الحدود .

غمغمت :

ـ المهم ما يفعله بتجاوزها .

التفت إليها أحد زملائها ، قائلاً :

ـ ماذا تتصورين ؟!

امتقع وجهها بشدة ، وكأنها فهمت ما يعنيه ، وتمتمت :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

صاح بهم العميد (ماهر) فى غضب :

ـ ما الذى تخشونه بالضبط ؟!

التفت إليه رئيس الفريق ، مجيبًا :

ـ ما يفعله الآن .

صاح به :

ـ وما الذى يفعله ؟!

قلب أحد أعضاء الفريق كفيه ، مغمغمًا :

ـ ليتنا نعلم .

صرخ العميد (ماهر) فى ثورة :

ـ أى فريق من الخبراء أنتم ؟! كيف تجهلون ما يفعله ، وأنتم الذين أشرفتم على وجوده منذ البداية ؟!

أجابه رئيس الفريق فى حدة :

ـ نحن نعرف كل مايحدث ، من الناحية التقنية ، والطبية ، والرقمية أيضًا ، وأجهزتنا تسجّل كل التطورات والتغيرات والمتغيرات لحظة فلحظة ، ولكننا لانفهم ما الذى يعنيه هذا ؟!

صاح به العميد (ماهر) :

ـ أى قول سخيف هذا ؟!

أجابه فى غضب :

ـ أمر علمى طبيعى ياسيادة العميد ، فنحن نستطيع أن نسجل حالة غضبك الآن ، ونستطيع أن نقول : إنها حالة مبالغة ،

وإنك غاضب ثائر ، وإن معدلات نبضك قد ارتفعت ، وكذلك معدلات تنفسك ، واتساع مسامك ، وإفرازاتك العرقية .. نستطيع أن نسجل كل هذا بمنتهى الدقة ، ولكننا لا نستطيع أن نعرف ما الذى يدور فى عقلك ، فى لحظة غضبك بالضبط ، ولا لماذا تغضب من أمور علمية ، على هذا النحو الزائد .. هذه أمور لا يعرفها سواك .. وحدك فقط ، يمكنك أن تشرحها لنا ، كما تدور فى أعماقك .. بل وحتى أنت نفسك ، قد تعجز عن توصيف وتوضيح مشاعرك الداخلية الشخصية ، فكيف بنا نحن ؟!

خُيّل إليهم لحظة ، أنه لم يفهم حرفًا واحدًا مما قاله رئيسهم ، فقد ظل غاضب الملامح ، محتقن الوجه ، محمر العينين ، وبدا لحظة وكأنه سينفجر فى وجوههم جميعًا ، إلا أنه لم يلبث أن تراجع فجأة ، وعقد كفيه خلف ظهره ، فى وقفة عسكرية صارمة ، وهو يسأل :

ـ وهل هناك وسيلة لمعرفة هذا ؟! أعنى لو منحتكم المزيد من الوقت ؟!

تبادلوا نظرة صامتة ، قبل أن تجيب عضوة الفريق :

ـ سنبذل قصارى جهدنا .

مع نهاية عبارتها ، عادت المنحنيات فجأة إلى إيقاعها الطبيعى ، فغمغم أحد أفراد الفريق :

ـ لقد انتهى من مهمته .

تمتم آخر فى توتر :

ـ ترى ماذا فعل هذه المرة ؟!

نقل العميد (ماهر) بصره بين وجوههم ، قبل أن يقول فى صرامة عسكرية قاسية :

ـ ابذلوا قصارى جهدكم لتعرفوا .

ثم استدار على عقبيه ، وهو يضيف :

ـ ولكن أمامكم أسبوع واحد .. أسبوع واحد لا غير .

همهم العلماء بكلمات غير مفهومة ، ولكنه تجاهل كل هذا ، واندفع يغادر المكان كله ، وهو يغمغم فى غضب :

ـ يا للعلماء !

أما هم ، فقد تبادلوا نظرة أخرى صامتة ، ثم تمتم رئيسهم فى حنق :

ـ يا للعسكريين !

لحظتها ، كان العميد (ماهر) يقطع ممر إدارة الأبحاث العسكرية ، فى خطوات واسعة عسكرية صارمة ، وهو يتمتم :

ـ أسبوع كامل .. القيادة ستظل تطالبنى بالنتائج لأسبوع إضافى كامل !! يا للسخافة !

كان يتجه إلى مكتبه مباشرة ، عندما هرع إليه سكرتيره الخاص ، قائلاً فى انفعال :

ـ سيادة العميد .. وصل تقرير إليكترونى عاجل ، من فريق المراقبة رقم ثلاثة .

سأله العميد (ماهر) ، دون أن يتوقف :

ـ ما الذى يحويه ؟!

سار السكرتير إلى جواره ، وهو يجيب منفعلاً :

ـ المقدّم (نور) وفريقه ، بصحبة السيّدة (مشيرة) ، رئيسة (أنباء الفيديو) ، ذهبوا جميعاً لزيارة كبير الأطباء الشرعيين ، الدكتور (محمد حجازى) فجأة ، ودون اتفاق مسبق .

توقف العميد (ماهر) دفعة واحدة ، حتى إن سكرتيره كاد يفقد توازنه ، فاستند بسرعة إلى الجدار ، والعميد يسأله فى توتر :

ـ جميعهم ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، ولهث على نحو غير مفهـوم ، وهو يجيب :

ـ جميعهم يا سيِّدى .

انعقد حاجبا العميد (ماهر) ، وهو يسأله :

ـ ثم ماذا ؟!

التقط سكرتيره نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ ثم غادر الجميع المكان ، وتركوا المقدَّم (نور) وحده ، مع كبير الأطباء الشرعيين .

ازداد انعقاد حاجبى العميد (ماهر) ، وهو يغمغم :

ـ وحده ؟!

أومأ السكرتير برأسه إيجابًا ، وتمتم مؤيِّدًا :

ـ وحده يا سيادة العميد .

وعندئذ انعقد حاجبا العميد (ماهر) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولدقيقة كاملة ، لم يتحرك من مكانه قيد أنملة ..

كان من الواضح أن عقله منهمك تمامًا فى التفكير ..

وربما على نحو نادر الحدوث ..

للغاية !

ثم فجأة ، التفت إلى سكرتيره ، قائلاً :

ـ هذا أمر خطير .. تطوُّر خطير للغاية .

غمغم السكرتير ، والانفعال يغمره :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى .. بالتأكيد .

استغرق العميد (ماهر) فى التفكير ، بضع لحظات أخرى ، ثم عاد يندفع نحو مكتبه ، وهو يقول فى صرامة ، حملت الكثير من التوتر والعصبية ، ولمحة من القلق :

ـ لابد من إبلاغ القيادة فورًا .

اندفع السكرتير ، محاولاً اللحاق به ، وهو يغمغم :

ـ ولكن يا سيِّدى ..

قاطعه بمنتهى الصرامة :

ـ اصمت .

وعندما بلغ باب حجرته ، التفت إليه ، مستطرداً بلهجة آمرة صارمة :

ـ صلني بسيادة اللواء فوراً .. ومن خلال القناة العسكرية الخاصة المؤمَّنة .. أريد اتصالاً محدوداً للغاية ، مع كل الضمانات اللازمة ، لعدم كشف فحوى المحادثة ، بأية وسائل رقمية أو تكنولوجية .

غمغم السكرتير العسكرى ، وهو يندفع لتنفيذ الأمر :

ـ فوراً يا سيّدى .. فوراً .

دلف العميد (ماهر) إلى مكتبه ، والتوتر يسرى فى كل ذرة من كيانه ، وألقى جسده على مقعده ، وعاد يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، ويغرق فى تفكير عميق ..

عميق ..

عميق ..

عميق إلى أقصى حد ..

ومن أعماق ذاكرته ، تصاعدت ذكريات عدة أسابيع ماضية ..

ذكريات تلك اللحظة ، التى وصل فيها جسد ذلك المسخ إلى إدارته ..

إدارة الأبحاث العلمية العسكرية ..

لحظتها رجته المفاجأة من الأعماق ، وهو يحدق فى ذلك التكوين العجيب ، الذى وصل شبه مجمد ، وبصحبته ضابط يفوقه رتبه ، واجهه بمنتهى الصرامة ، قائلاً :

ـ هذا الشىء يندرج تحت مسئوليتك المباشرة ، منذ هذه اللحظة أيها العميد .

تساءل يومها فى توتر :

ـ وما هذا الشىء بالضبط ؟!

أجابه الضابط بنفس الصرامة :

ـ ستصلك كل المعلومات من القيادة بعد قليل .

ثم مال نحوه ، مستطرداً :

ـ الأمر يندرج تحت بند السرية المطلقة .

غمغم لحظتها :

ـ هذا واضح .

اعتدل الضابط الكبير ، وقال بصرامته العسكرية :

ـ قم بعملك إذن .

راح يومها يلقى أوامره فى سرعة ، لفريق من أفضل رجاله ؛ لاتخاذ ما يلزم إزاء هذه الحالة الفريدة ، ثم سأل الضابط الكبير :

ـ إنه على قيد الحياة .. أليس كذلك ؟!

أجابه الضابط بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

ـ لسنا ندرى إلى متى يمكن أن يستمر هذا .

تساءل هو :

ـ أينبغى أن نبذل جهدنا ، للإبقاء عليه حيًّا ؟!

صمت الضابط بضع لحظات ، ثم أجاب فى صرامة حاسمة :

ـ ليس لفترة طويلة .

لم يفهم يومها ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ، إلا أن الضابط الكبير تابع فى حزم :

ـ الأوامر ستصل ، بين لحظة وأخرى ..

ولم يمضِ وقت طويل ، حتى وصلت الأوامر ..

والواقع أنها كانت تختلف عن كل ما توقعه ..

تختلف تمامًا ..

ولكنه ، كضابط أبحاث محترف ، وعلى الرغم من كل دهشته وشكوكه ، نفذ الأوامر الواردة ..

نفذها كلها ..

وبمنتهى الدقة ..

ولقد استلزم الأمر فريقًا من الخبراء ..

من أفضل خبراء الإدارة العسكرية ..

وحتى من غير العسكريين ..

فبالنسبة للقيادة ، لم يكن التعامل يتم مع بقايا جسد مسجى مصاب ..

أو حتى يسعى لاستعادة قدراته ..

كان التعامل ، كما تؤكد الأوامر ، يتم مع سلاح جديد ..

سلاح حربى سرى ..

سلاح فائق الخطورة ..

إلى أقصى حد ..

وعندما تم استدعاؤه إلى الإدارة ، بعد بدء التجربة فعليًا ، أخبره سيادة اللواء أن ذلك السلاح الحيوى الجديد ، يعتبر أخطر سلاح عرفته البشرية كلها ، بعد القنابل النووية والهيدروجينية ..

أخطر سلاح على الإطلاق ..

يومئذ ، منحوه كل التسهيلات التى طلبها ..

واعتمدوا ميزانية غير محدودة ..

ميزانية مفتوحة ..

ومرنة للغاية ..

ومنذ ذلك الحين ، راحت التجربة تتطور ..

وتتطور ..

وتتطور ..

وها هى ذى الآن ، تشارف بلوغ مرحلة النجاح التام ..

والمطلق ..

و ....

ـ « سيادة اللواء يا سيدى .. »

انتزع نفسه من ذكرياته بحركة حادة ، واعتدل فى سرعة ، يضغط زر الاتصال المؤمّن ، وهو يقول :

ـ مساء الخير يا سيادة اللواء .

ظهر وجه اللواء على الشاشة ، وهو يسأله فى صرامة عسكرية :

ـ ماذا هناك يا سيادة العميد .

تنحنح العميد (ماهر) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ هناك تطور غير متوقّع فى العملية (س ـ صفر) يا سيادة اللواء .

انعقد حاجبا اللواء فى توتر ، وهو يسأله :

ـ أى تطوّر هذا ؟!

تنحنح العميد (ماهر) مرة أخرى ، وقال :

ـ سأخبرك يا سيادة اللواء .. سأخبرك .

ولقد استغرق حديثهما بعدها ساعة كاملة ..

ساعة شرح خلالها العميد (ماهر) ما لديه ..

كل ما لديه ..

شرح أمر لقاء (نور) والدكتور (حجازى) ..

وحتى مشكلة تلك الذبذبات غير المفهومة ، فائقة القوة ..

وبكل اهتمام ، أصغى إليه اللواء جيدًا ..

ولم يقاطعه بحرف واحد ..

وعندما انتهى من كل ما لديه ، ازداد انعقاد حاجبى اللواء ، وهو يقول فى صرامة :

ـ تطور سخيف للغاية .

تمتم العميد (ماهر) :

ـ بالتأكيد .

صمت اللواء بضع لحظات ، ثم قال بنفس الصرامة والحزم :

ـ فليكن أيها العميد ، استمع إلىّ جيدًا ، وافتح أذنيك ومخك ، وكل حواسك الأخرى ؛ فمن الضرورى أن تنفذ ما سآمرك به حرفيًا .. وفورًا .. هل تفهم ؟!

ثم ألقى اللواء أوامره ..

تلك الأوامر ، التى ستنقل العملية كلها إلى مرحلة جديدة ..

مرحلة شديدة الحساسية والخطورة ..

إلى أقصى حد ممكن .

* * *

٧ ـ اتصال ..

للوهلة الأولى ، تصور (نور) أنه قد سقط ..

سقط فى براثن عقل جبار ..

رهيب ..

شرير ..

وحشى ..

وشيطانى ..

للحظة ، بدا له أن اسمه قد أضيف إلى القائمة ..

قائمة الضحايا ..

فذلك التغير العنيف المفاجئ ، لم يكن يعنى سوى هذا ..

سوى أن شيئًا ما قد فصله عن عالمه الحقيقى ..

تمامًا ..

فكل ما يحيط به قد تغيّر ..

وتبدل ..

واختلف ..

كل ما يحيط به ..

وما يعتمل فى أعماقه أيضًا ..

فكل مشاعره أيضًا قد تغيرت .

وعلى نحو بالغ الغرابة ..

للحظة ، كان يشعر بتوتر بالغ ، وبأن الأمور كلها قد تشابكت ..

وتداخلت ..

وتعقدت ..

ثم فجأة ، هبت عليه سكينة عجيبة ، وشمله هدوء مدهش ..

هدوء سرى فى كل خلية فى جسده ..

وكل ذرة فى كيانه ..

هدوء مريح ..

جميل ..

رائع ..

وبسرعة ، أدرك عقله أن الأمر يختلف ..

يختلف تمامًا ..

ففى حالة (سلوى) و(مشيرة) ، لم يكن هناك أى هدوء ..

ولا فى أية لحظة ..

كان الأمر يرتبط دومًا بالظلام ..

والخوف ..

والقسوة ..

والألم ..

أما فى حالته ، فلا ظلام ..

إنه يشعر وكأن بحرًا من أضواء ناعمة ملونة يحيط به ..

بحر بث فى كيانه كله شعورًا بالراحة ..

والأمان ..

والارتياح ..

ثم إن جسده بدا وكأنه يسبح فى تلك البحر الدافئ الرقيق ..

يسبح ..

ويسبح ..

ويسبح ..

ومن حوله ، راحت الأضواء تنساب فى نعومة ، وتسبح فى رقة ، وتحيط به وبمشاعره فى رفق ..

وانطلق عقله يعمل ..

انطلق يستعيد ذكريات قريبة ..

ذكريات سيطرة عقلية من نوع آخر ..

نوع مختلف ..

سيطرة إيجابية ..

إلى حد مدهش ..

وفي نعومة ، وبنفس الرقة والرفق ، راحت الأضواء الدافئة المحيطة به تنحسر ..

وتنحسر ..

وتنحسر ..

ثم فجأة ، وجد نفسه هناك ..

حيث كان من قبل(*) ..

في أعماق جبال (التبت) ..

في قلب ذلك المعبد ..

المعبد البوذي القديم ..

كان يقف في منتصف دائرة واسعة ، صنعها الرهبان بأجسادهم ، وهم يجلسون القرفصاء ، في وضع جامد ساكن ..

(*) راجع قصة (البقعة المظلمة) .. المغامرة رقم (١٤٦) .

رءوسهم ثابتة ..

عيونهم مغلقة ..

وعقولهم منطلقة ..

كان الموقف يشبه تماماً سابقه ..

مع فارق واحد ..

أنه كانت هناك ، إلى جوار (نور) ، وفي منتصف الدائرة تماماً ، جثة ..

جثة كبير الرهبان السابق ، الذي اعتصرت يد مجهولة عنقه ..

يد قوية ..

نحيلة ..

قاسية ..

شيطانية ..

وفي توتر شديد ، تطلع (نور) إلى جثة كبير الرهبان ، وإلى آثار الأصابع النحيلة الطويلة على عنقه ..

وفهم الأمر ..

فهم على الفور ..

« تفكيرك راجح وعبقرى أيها المقدّم .. »

ترددت العبارة فى أعمق أعماق عقله ، كما حدث فى المرة السابقة ، فاعتدل فى حزم ، وغمغم :

ـ الأمر واضح للغاية .

« للأذكياء فقط أيها المقدّم .. » ..

كان قد اعتاد هذا الأسلوب العقلى فى التخاطب معهم ، لذا فقد قال فى حزم ، محاولاً اكتساب الوقت :

ـ أعرف لماذا استدعيتمونى إلى هنا هذه المرة .

« هذه المرة تختلف .. »

جاءه الجواب فى سرعة ، فالتقى حاجباه ، وهو يسأل فى توتر واضح شديد :

ـ وفيم يختلف ؟!

ألقى السؤال ، وذهنه يضع ألف جواب منطقى له ، ويدرس عشرات الاحتمالات ..

إلا احتمالاً واحدًا ..

ذلك الاحتمال ، الذى أجابه به الرهبان ، عبر تلافيف عقله ..

« أنت لست هنا .. »

هتف بكل دهشته :

ـ لست ماذا ؟!

« لست هنا أيها المقدّم .. أنت مازلت هناك ، فى حجرة مكتب كبير الأطباء الشرعيين ، فى (القاهرة) الجديدة .. مازلت تقف ممسكًا جهاز الاتصال المحدود ، فى سبيلك إلى أن تروى لقائدك الأعلى ما حدث ، وتطلب منه أن يتدخل ؛ لمعرفة مصير جسد ذلك الغريب .. »

عاد يكرّر ، بكل حيرته ودهشته :

ـ لست هنا .

« إحضارك إلى هنا كان يستلزم طاقة هائلة ، وقوة لا قبل لنا بها ، فى الوقت الحالى ، لذا فقد تركناك هناك ، وجلبنا عقلك .. عقلك وحده .. »

انعقد حاجبا (نور ؟) بمنتهى الدهشة والتوتر ، وراح يدير عينيه فيما حوله ، وهو يتساءل فى أعماقه : أمن الممكن أن يكون هذا صحيحًا ؟!

أهو ليس هنا بالفعل ؟!

ليس داخل ذلك المعبد البوذى العتيق ؟!

مستحيل !

إنه يرصد كل ما حوله فى وضوح ..

جدران المعبد ..

قبته ..

نقوشه ..

تمثال بوذا الضخم فى نهايته ..

والرهبان ..

وجثة كبيرهم ..

يرصد ويرى كل ما حوله ..

ومن حوله ..

كيف لا يكون هنا إذن ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

هذا مستحيل !

« لاتجعل عقلك يخدعك أيها المقدّم .. إنك لست هنا .. ولكن هذا لايهم الآن .. المهم أن نتعاون مرة أخرى ، لمواجهة ذلك الشىء ، قبل أن يظفر بنا وبكم بلا رحمة .. »

ترددت الكلمات فى أعماق عقله ، وشعر معها بالتوتر ، وهو يتساءل فى قلق شديد :

ـ أهذا ما يسعى إليه ؟! أن يظفر بنا جميعًا ؟!

أتاه الجواب يائسًا بائسًا ، فى أعماق عقله ..

« هذا هدفه فى النهاية ، على كل الأحوال .. »

هزّ (نور) رأسه ، وهو يقول :

ـ إذن فقد عاد .

توتره كان يتصاعد ، ويتصاعد ، فى كل لحظة تمضى ، مع كل ما يتكشّف له من أمور ، وما يتضح له من نتائج ..

فبوسيلة أو أخرى ، عاد ذلك الوغد ..

عاد خصمهم الرهيب ..

عاد أقوى مما كان ..

لينتقم ..

ليقضى على كل من تسببوا فى ضياع حلمه السابق ..

حلم السيطرة على العالم ..

على البشر ..

على كافة العقول ..

بلا استثناء ..

ومن الواضح أنه يتطور ..

ويتطور ..

ويتطور ..

قدراته نفسها تتزايد فى كل لحظة ، وتبلغ مستويات لم تبلغها من قبل قط ، حتى فى أقوى لحظاته ..

مستويات رهيبة ..

مخيفة ..

بشعة ..

فى البداية غرس أصابعه فى كتف (سلوى) ..

ثم اعتصر معصم (مشيرة) ..

والآن سحق عنق كبير الرهبان ..

قوته إذن تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

قوته تقفز إلى مستويات ، تجاوزت قدرات الجميع ..

حتى رهبان (التبت) أنفسهم ..

« نحن لانؤمن بقدرته على العودة .. » ..

ترددت العبارة فجأة ، فى أعمق أعماق مخه ، فرفع عينيه ، وأدارهما فى وجوه الرهبان من حوله ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ ولكنه عاد .. أليس كذلك ؟!

« عقولنا تقول العكس تماماً .. » ..

أدهشه ذلك القول ، الذى نبت فى عقله ، وجعله يهتف :

ـ أيًا كان ما تقوله عقولكم ، فهناك ألف دليل الآن ، على أنه هنا .. هنا بقوته ، وشروره ، ورغبته السادية فى تدمير كل من حوله .

« الواقع أن الأمر ليس بهذه البساطة أيها المقدم .. » ..

ترددت العبارة فى عقله ، حاملة مشاعر القلق والتوتر فى أعماقهم ، فلاذ بالصمت التام ، وأرهف عقله جيداً ..

« منذ بدأ صراعنا معه ، ورصدت عقولنا موجته ، وخزنتها ، وصنعت نوعاً من الرباط المتصل ، بيننا وبينه .. نفس الرباط الذى يربط عقولنا جميعاً ببعضها .. رباط يجعلنا نرى كل ما يراه ، ونسمع كل ما يسمعه ، بل ونشعر حتى بكل ما يشعر به .. »

غمغم (نور) :

ـ لست أتمنى أبدًا وجود رباط كهذا ، بينى وبين وغد مثله .

لم يبد أن تعليقه قد استوقف انسياب المعلومات إلى رأسه ، وهى تتواصل بنفس النعومة ..

« عندما تصاعدت قوته ، شعرنا بهذا ، وأدركناه ، وتآزرنا مع فريقك ، ونجحنا معًا فى نحر قوته ، مما سمح لزميلكم بإطلاق رصاصاته عليه .. »

غمغم (نور) فى توتر :

ـ لم أتصوّر لحظتها أن هذا قد حسم الأمر .

« ولكن عقولنا قالت : إنه قد حسمه .. » ..

لم يهضم عقله العبارة هذه المرة ، وشعر كيانه كله بالرفض والاستنكار لها ، فاحتج قائلاً :

ـ ولكن الدكتور (حجازى) أكّد أنه ظلّ على قيد الحياة ، على الرغم من إصابته البالغة .

« لم يظل كذلك طويلاً .. »

أدهشه القول بشدة ..

وأربكه بحق ..

أدهشه ؛ لأنه يخالف كل ما توحى به الأحداث ..

وأربكه ؛ لأنه قلب كل تصوراته رأسًا على عقب ، وسحق كل استنتاجاته بلا رحمة أو هوادة ..

وبكل دهشته وارتباكه ، غمغم :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

« لقد عاد نصف مخه الآخر إلى نشاطه ، وفجّر طاقاته الكامنة ، وبدأ يسعى لاستعادة السيطرة المنفردة على جسده ، ولقد شعرنا بهذا فى حينه ، وتابعنا تطوّره فى قلق فى البداية ، ثم لم نلبث أن أدركنا أنه قد فقد فى الواقع نقطة تفوّقه الرئيسية ، وأنه لن يعود أبدًا كما كان .. »

هزّ (نور) رأسه فى قوة ، وهو يقول فى إصرار :

ـ ولكنه عاد .

أتاه الجواب هادئًا كالمعتاد ، وتسلّل إلى تلافيف مخه فى نعومة ..

« بل لقى مصرعه .. »

هتف (نور) بكل إصراره :

ـ هذا مستحيل !

« بل هذا ما حدث .. لقد فحصوه جيدًا ، وحصلوا على بعض العينات البيولوجية منه ، ثم صدر قرار بإنهاء حياته .. »

هتف (نور) ، بكل دهشة الدنيا :

- قرار بماذا ؟!

كان الأمر كله يبدو بالنسبة له ، كما لو أنه يتابع أحداثًا ، تدور فى كوكب آخر ، أو فى عالم لا صلة له به ..

لقد اقتحموا حجرة الفحص ..

وهددوا الدكتور (حجازى) ..

واستولوا على جسد ذلك المسخ ..

وحصلوا على عينات بيولوجية منه ..

ثم أصدروا قرارًا بإنهاء حياته !

ما الذى يحدث بالضبط ؟!

ما الذى يسعى إليه العسكريون ؟!

ما هدفهم بالضبط ؟!

وأية عينات تلك التى حصلوا عليها ؟!

ولماذا ؟!

وبكل توتره وحيرته ، تساءل :

- وهل نفذوا قرارهم ؟!

« نعم .. نفذوه فورًا .. »

مع العبارة ، التى ترددت فى رأسه هذه المرة ، ارتسمت صورة ما ..

صورة بدت مهتزة ، مشوشة ، باهتة ..

ثم راحت تتضح ..

وتتضح ..

وتتضح ..

وفجأة ، وبلا مقدمات ، بدا المشهد كله شديد الوضوح ..

كان جسد ذلك المسخ مسجى على منضدة فحص ، داخل حجرة واسعة كبيرة ، ويحيط به فريق من الباحثين ..

وفى كل مكان ، كانت هناك عشرات الأجهزة الرقمية الحديثة ..

أجهزة تسجل معدلات النبض ..

والتنفس ..

واستجابة الأطراف ..

وإشارات المخ ..

المخ المنفرد الجديد ..

وكانت كل المؤشرات تؤكد أن المسخ يستعيد نشاطه ..

وأن قدراته البيولوجية تتحسن ..

وتتحسن ..

وتتحسن ..

كان أمرًا فريدًا مدهشًا ، يخالف كل القواعد العلمية والطبية ..

ولكنه كان يحدث ..

ويتطور مثير ..

جدًا ..

تطور يوحى بأنه لن تمضى أيام قليلة ، إلا ويعود ذلك المسخ إلى الحياة ، وإلى حالة الوعى التام ..

أما تلك العين الثالثة ، فى منتصف الجبهة ، فكانت تتابع ذلك الفريق ، بمنتهى الاهتمام والدقة ..

وفى حيرة متوترة ، غمغم أحد أفراد الفريق الطبى :

- عجبًا ! يفترض ، وفقًا لكل التقارير ، أن هذه العين عمياء ، لايمكنها أن ترانا ، وعلى الرغم من هذا ، فهى تتابعنا بمنتهى الدقة والاهتمام ، كما لو أنها ترانا بكل وضوح .

قالت زميلته بنفس التوتر :

- ربما تحوى خلايا التقاط حرارية ، تتبع حرارة أجسادنا ، على نحو ما .

هز رأسه نفيًا ، وقال :

- مطلقًا .. الفحوص كلها أكدت أنها مجرد عين عمياء .

قال ثالث فى عصبية :

- وجودها وحده ظاهرة فريدة .

غمغمت زميلة :

- الواقع أنها تثير خوفى .

قال رابع :

- لست وحدك .

مع آخر حروف كلماته ، دلف أحد الضباط إلى المكان ، وشدّ قامته ، فى وقفة عسكرية صارمة ، وهو يقول :

ـ القيادة أخبرتنا أن نتائج العينات إيجابية أيها السادة .

تساءلت الطبيبة فى حيرة :

ـ أية عينات ؟!

أما زميلها ، فقال فى توتر :

ـ وما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

لم تكن عبارته قد اكتملت بعد ، عندما دخل جنديان مسلحان إلى الحجرة ، فتبعتهما عيون أفراد الفريق الطبى فى قلق ، والضابط يقول فى صرامة شديدة :

ـ يعنى أن مهمتكم قد انتهت أيها السادة .

هتف آخر ، بمنتهى الدهشة والقلق :

ـ انتهت ؟! ولكن الحالة تتطوّر على نحو جيد للغاية ، ولو أن أمامنا أسبوع آخر ، لأعدنا ذلك الشىء إلى حالة شبه طبيعية .

قال الضابط فى صرامة :

ـ ومن يرغب فى هذا ؟!

ثم أشار إلى أحد الجنديين ، فرفع فوهة مدفعه ، وصوّبها إلى رأس المسخ ، فدارت العين الثالثة نحوه ، فى حركة حادة ، جعلت جسده يرتجف فى عنف ، وجعلته يتراجع مبهوتًا ، فصاح به الضابط ، فى غضب صارم :

ـ تماسك أيها الجندى .

التقط الجندى نفسًا عميقًا ، وهتف ، محاولاً التغلّب على توتره ومخاوفه :

ـ بالتأكيد يا سيدى .. بالتأكيد .

وعاد يصوّب فوهة مدفعه إلى رأس المسخ ، فهتفت الطبيبة فى عصبية ، وهى تتراجع مذعورة :

ـ ما الذى ستفعلونه بالضبط ؟!

أجابها الضابط فى صرامة :

ـ ليس هذا من شأنك يا سيدتى .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف فى قسوة :

ـ ماذا تفعلون هنا بالضبط ؟! لقد أخبرتكم أن دوركم قد انتهى .

ازدرد أحد الأطباء لعابه فى صعوبة ، وتمتم فى توتر :

ـ سيدى .. هذه الحالة ..

قاطعه الضابط بصيحة صارمة :

ـ إلى الخارج .

ثم استدار إلى الجندى الآخر ، صائحًا :

ـ أيها الجندى .

رفع الجندى الآخر فوهة مدفعه نحو فريق الأطباء ، فهتفت الطبيبة مذعورة ومرتاعة :

ـ سأغادر .. سنغادر جميعًا فورًا .

اندفعوا لمغادرة المكان ، فى ارتياع واضح ، حتى خلا تمامًا ، إلا من الجنديين وضابطهما ، وذلك المسخ المسجى على مائدة الفحص ، والذى راحت عيناه الثالثة ترصد ما يحدث ، فى انتباه كامل ، وخاصة عندما ابتسم الضابط فى سخرية ، وهو يقول :

ـ حانت نهايتك أيها الشىء الحقير .

استدارت العين الثالثة عندئذ ، وحدقت فى الضابط مباشرة ، فتراجع بحركة حادة ، وصاح فى الجندى :

ـ الآن .

وضغط الجندى زناد مدفعه ..

وانتفض جسد (نور) فى عنف ، مع بلوغ المشهد هذه النقطة ، قبل أن يتلاشى تمامًا ، و ...

« هل تأكدت بنفسك أيها المقدّم ؟! »

انساب التساؤل فى تلافيف مخه ، فى اللحظة التى بلغت فيها انفعالاته ذروتها ، فهتف :

ـ ألا يمكن أن ..

قبل أن يكتمل تساؤله ، أتاه الجواب عبر عقله مباشرة ..

« مستحيل ! لقد لقى مصرعه فى تلك اللحظة ، وعقلك شاهد الآن كل ما شاهدناه نحن لحظتها ، عبر اتصالنا العقلى الفائق .. »

هزّ (نور) رأسه ، وهو يقول فى توتر :

ـ ما الذى يهاجمنا إذن ؟!

« عقل آخر .. » ..

وصدمه الجواب بعنف هذه المرة ..

عقل آخر ؟!

عقل جبار آخر ؟!

يا للهول !

كيف يمكن أن يكون هناك عقل آخر ، بكل هذه القوة ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

كيف يمكن أن تنبت طفرة وراثية ثانية كهذه ؟!

وبكل مخاوفه ، تساءل :

ـ أأنتم واثقون ؟!

أجابوه في وضوح أكثر ، عبر خلايا مخه الرمادية ..

ـ « ما حدث ليس له تفسير آخر .. هناك عقل جديد .. عقل أكثر قوة ، وأقدر على الانطلاق بلا حدود .. عقل يبدو أنه قد بلغ مرحلة من التطور ، جعلته قادرًا على تجاوز كل احتياجات الجسد الحتمية ، والانطلاق إلى أقصى حدود القوة .. »

تضاعفت حيرته ألف مرة ، وهو يغمغم :

ـ ولكن الأحداث كلها تقول : إنه قد عاد لينتقم .. أي تفسير لديكم لهذا ؟!

« ليس لدينا أي تفسير .. »

ترددت العبارة في ذهنه ، فانعقد حاجباه في شدة ، لتضاف إليها عبارة أخرى باهتة ..

« هذه مهمتكم .. » ..

ومع آخر حروف الكلمة ، عادت تلك الأضواء الملونة تحيط به ، بنفس الدفء والنعومة والرفق ، و ..

« ما المشكلة يا (نور) ؟! .. » ..

استقبلت أذنه السؤال هذه المرة ، بصوت القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فانتفض جسده ، والتقى حاجباه في شدة ، وانتبه إلى أنه مازال داخل مكتب الدكتور (حجازي) ، يمسك جهاز الاتصال المحدود ، والقائد الأعلى يقول في قلق :

ـ (نور) .. أين ذهبت ؟!

أثار السؤال مزيدًا من توتره ، فقال في سرعة :

ـ معذرة يا سيدي .. لقد تشتت ذهني بعض الوقت ، و ...

قاطعه القائد الأعلى في دهشة :

ـ بعض الوقت ؟! أنت توقفت عن الحديث لحظة .. لحظة واحدة يا (نور) ..

لحظة واحدة ؟!

وتضاعفت دهشته ألف مرة ..

بل ألف ألف مرة ..

يا لغرابة العقل البشرى !

كل هذا حدث فى لحظة واحدة !!

لحظة واحدة ألقى خلالها كل تساؤلاته ..

وتابع مشهد اغتيال ذلك المسخ ..

وانتقل بعقله إلى أقصى العالم ..

كل هذا فى لحظة واحدة ..

لحظة واحدة فحسب ..

« ماذا دهاك يا (نور) ؟! »

هتف القائد الأعلى بالسؤال ، فى قلق أكثر ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، واعتدل الدكتور (حجازى) ، متطلعًا إلى (نور) فى قلق مماثل ، وغمغم :

ـ (نور) .. ألست بخير يا ولدى ؟!

انتفض جسد (نور) مرة أخرى ، وعاد حاجباه يلتقيان بشدة ، وهو يقول للقائد الأعلى :

ـ سيدى .. أطلب مقابلتك فورًا ، لأمر شديد الأهمية والخطورة ، إلى أقصى حد .

وكان هذا يعنى أن (نور) قد قرر نقل المعركة كلها إلى مضمار جديد ..

مضمار أكثر خطورة ..

وأكثر حساسية ..

ألف ألف مرة ..

* * *

٨ ـ عسكريون ..

« لست أفهم ما يحدث بالضبط .. » ..

هتف رئيس الفريق العلمى ، فى مركز الأبحاث العسكرية بالعبارة ، فى غضب شديد ، وهو يخضع مرغمًا إلى إجراءات الأمن المشددة ، التى أصدر العميد (ماهر) أوامره بها ، منذ ساعة واحدة ، فانعقد حاجبا هذا الأخير ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ما الذى لا تفهمه بالضبط ؟!

هتف رئيس الفريق فى حدة :

ـ كل شىء .. إنكم تتعاملون معنا كما لو كنا مجرّد .. مجرّد ..

قاطعه العميد (ماهر) ، فى صرامة أكثر :

ـ مجرّد ماذا ؟!

احتقن وجه الرجل ، وهو يلوّح بذراعيه ، وقد اختنقت الكلمات فى حلقه ، وعجز عن النطق بها ، فأجابت زميلته ، فى حدة واضحة :

ـ مجرّد موظفين صغار ، لا شأن لنا .

تطلّع إليها العميد (ماهر) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يبتسم فجأة ابتسامة مقيتة ، قائلاً :

ـ بالنسبة لأمر كهذا ، أنتم بالفعل مجرّد موظفين صغار .. لا شأن لكم .

تفجّر غضب مستنكر ، فى وجوههم جميعًا ، وقال رئيس الفريق ، وقد احتقن وجهه فى شدة :

ـ ستحاسب على هذا القول .

أشار العميد (ماهر) بيده ، قائلاً فى غلظة :

ـ فليكن .. المهم أن نحمى هذا السلاح السرى الخطير أولاً ، وبعدها لا شىء يهم .

صاحت العالمة فى وجهه بغضب :

ـ أنسيت أننا نحن صنعنا هذا الشىء ؟! نحن الذين أنتجناه ، وطوّرناه ، وساعدناه على اكتساب طاقاته وقدراته الجديدة .

مطّ العميد (ماهر) شفتيه ، قائلاً :

ـ اعملوا على حمايته إذن .

اندفع رئيس الفريق ، يقول :

- أنت تعلم أن هذا الشىء لاوجود له ، من الناحية الرسمية ، وأن أحداً لايعلم حتى بأننا قد أجرينا هذه التجربة ، أوقمنا بإنتاج وتطوير هذا الـ ....

قاطعه العميد (ماهر) فى ضجر :

- ما الذى تسعى لإثباته بالضبط ؟!

لوّح رئيس الفريق بيده ، وهو يشير إلى ذلك الشىء ، مجيباً :

- أننا أكثر من يرتبط به ، ويعرف المناسب لصالحه تماماً .

ابتسم العميد (ماهر) فى سخرية ، قائلاً :

- حقاً ؟!

ثم مال نحوه ، مضيفاً فى سخرية أكثر :

- إنكم حتى لاتعرفون ما الذى يفعله ، عندما يطلق تلك الذبذبات القوية .

قالت العالمة فى حدة :

- إنكم لم تمنحونا الفرصة لمعرفة هذا .

أجابها فى سرعة وصرامة :

- كنت أنوى منحكم الفرصة .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يضيف :

- ولكن الأمور تطوّرت في سرعة .

تبادل فريق العلماء نظرة متوترة ، ثم تساءل أحدهم فى قلق :

- أية أمور ؟!

فى الظروف العادية ، لم يكن العميد (ماهر) ليفصح عما لديه أبداً ، إلا أنه ، وتحت ضغط التوتر الشديد ، وجد نفسه يجيب فى توتر :

- بعضهم يشك فى أننا نفعل ما نفعله .

تبادلوا نظرة أخرى ، قبل أن تهتف العالمة :

- مستحيل ! إننا لم نغادر المركز ، منذ بدأنا تجربتنا هذه .

هزّ العميد (ماهر) رأسه ، مغمغماً :

- ولكن أحدهم علم ما يحدث .

كرّرت العالمة فى حزم :

ـ مستحيل !

التقط العميد (ماهر) نفسًا عميقًا ، ثم قال بمنتهى الصرامة :

ـ مستحيل أو غير مستحيل ! هناك شخص ما يعلم .

« وكيف علم ؟! »

ألقى رئيس الفريق السؤال ، فى توتر شديد ، أثار انتباه واهتمام العميد (ماهر) ، فالتفت إليه فى صرامة ، قائلاً :

ـ هل يشغلك السؤال ؟!

أجابه الرجل فى جدية شديدة :

ـ أكثر مما تتصوّر .

كاد العميد (ماهر) يلقى عبارة ساخرة ، فى هذا الشأن ، لولا أن لمح الشغف والاهتمام الشديدين ، على وجوه الجميع ، فأجاب فى حذر :

ـ يبدو أن أحدهم قد واجه شيئًا ما .. أو مرّ بتجربة عنيفة ، جعلتهم يتصورون أن الخصم القديم قد عاد .

ردّدت العالمة ، بمنتهى الدهشة والذعر :

ـ الخصم القديم ؟!

أومأ العميد (ماهر) برأسه إيجابًا ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

ـ نعم .. الخصم القديم ، قبيل مصرعه .

اتسعت عينا رئيس الفريق ، وهو يتمتم فى ذهول :

ـ عاد ؟!

تبادل الكل نظرة صامتة ، مفعمة بالتوتر والقلق ، قبل أن تغمغم العالمة ، بكل ذعر الدنيا :

ـ هذا ما كنت أخشاه .

وتمتم زميل لها :

ـ لقد فعلها .

أما رئيس الفريق ، فقد أدار عينيه بحركة حادة ، نحو تلك الشىء الذى يراعونه ، والذى أنتجوه بتكنولوجيا مبهرة ، وحدق فيه بذعر واضح ، جعل العميد (ماهر) يسأله فى عصبية :

ـ فيم تفكّر يا رجل .

غمغم رئيس الفريق ، وكأنه لم يسمعه :

ـ إذن فقد عاد .

هتف به العميد (ماهر) :

ـ من الذى عاد ؟!

تابع رئيس الفريق ، وكأنه لم يعد يشعر بما حوله :

ـ عاد لينتقم .

هتف العميد (ماهر) ، فى عصبية بالغة :

ـ أيمكن أن يخبرنى أحدكم ، ماذا يحدث هنا ؟!

التفت رئيس الفريق إلى زميلته ، وقال فى قلق رهيب :

ـ تلك الذبذبات الفائقة .

فهمت ما يقصده على الفور ، فأطلقت شهقة قوية ، وهتفت :

ـ رباه ! رباه !

صرخ العميد (ماهر) ، وقد بلغت عصبيته ذروتها :

ـ ماذا يحدث بالضبط ؟!

وهنا فقط ، استدار إليه رئيس الفريق ، وقال فى حزم شديد التوتر والانزعاج :

ـ يجب إنهاء هذه التجربة فوراً .

خُيِّل للعميد (ماهر) أنه لم يسمعه جيدًا ؛ لذا فقد حدق فيه بضع لحظات ، قبل أن يهتف مستنكراً :

ـ إنهاء ماذا ؟!

أجابه رئيس الفريق فى توتر :

ـ هذه التجربة .. يجب أن تنتهى فوراً ، ودون إضاعة لحظة واحدة .

صاح فيه العميد (ماهر) :

ـ هل جننت يا رجل ؟!

هتف رئيس الفريق :

ـ سأكون مجنوناً بالفعل ، لو سمحت باستمرار هذه التجربة الرهيبة .

ثم استدار إلى أفراد فريقه ، وهو يتابع ، فى عصبية شديدة :

ـ لقد أخطأنا منذ البداية يا رفاق .. أخطأنا عندما بدأنا هذه التجربة .. أخطأنا عندما استجبنا لفضولنا العلمى ، وقررنا أن نتحدى الطبيعة على هذا النحو البشع .

واحمرت عيناه على نحو عجيب ، وانتفض جسده فى قوة ،

وكأنه يعانى من انفعال جارف ، وهو يلوّح بذراعيه ، ويميل بجذعه كله ، مكملاً فى ثورة مذعورة :

– لقد أطلقنا الوحش .. أعدناه مرة أخرى إلى الوجود ؛ ليفتك بكل من أزاله منه من قبل .

امتقع وجه العالمة بشدة ، وهى تقول :

– لقد أخطأنا .. لم يكن ينبغى أن نفعل هذا أبدًا .

نقل العميد (ماهر) بصره بينهم فى استنكار ، قبل أن يقول فى حدة :

– ولكنكم فعلتموه .. صنعتم هذا السلاح ، الذى سيمنحنا تفوقًا مدهشًا ، على كل دول العالم ، والذى يفوق القنبلة الذرية ألف مرة .. السلاح الذى سيضعنا على رأس الأمم كلها بلا منازع .

صاح فيه رئيس الفريق :

– ربما نكون قد أنتجنا سلاحًا رهيبًا بالفعل ، ولكنه موجّه إلى صدورنا ورءوسنا نحن ، وليس إلى رءوس أو عقول أعدائنا .

وعادت عيناه تحمرّان على نحو مخيف ، وهو يكمل :

– لابد من إنهاء التجربة .. لابد من إنهائها الآن ، وفورًا ، قبل أن تحدث الكارثة .

صاح به العميد (ماهر) فى غضب :

– على جثتى .

التقط الرجل نفسًا عميقًا ، محاولاً السيطرة على أعصابه الثائرة ، قبل أن يلوّح بكفيه ، قائلاً :

– سيادة العميد .. إنك لا تفهم ما يحدث بالضبط ..

ذلك الشىء انطلق بالفعل من عقاله .. انطلق بكل قوته وطاقاته ؛ لينتقم من كل من أساء إليه فيما مضى .

ردّد العميد (ماهر) فى توتر ، وهو يرمق ذلك الشىء بنظرة مستنكرة :

– فيما مضى ؟! أى قول هذا ؟!

قالت العالمة فى عصبية :

– إنه يتذكّر .

هتف العميد (ماهر) فى حدة :

– مستحيل ! إنه مجرّد .. مجرّد .

قاطعه أحد أفراد الفريق فى توتر :

– لا تجعل المظاهر تخدعك .. هذا الشىء أقوى مما يبدو ..

حتى حواجزكم وأسواركم ، لايمكنها أن تمنعه من الانطلاق بلا حدود .

هزّ العميد (ماهر) رأسه غير مصدّق ، وهو يقول :

ـ مستحيل .. إنه مجرّد .....

قبل أن يتمّ عبارته ، اختطف رئيس الفريق فجأة أسطوانة إطفاء ، وهوى بها على فك العميد ، صارخًا :

ـ حاول أن تفهم .

كانت مبادرة مفاجئة ، باغتت العميد (ماهر) بالفعل ، فتراجع جسده بمنتهى العنف ، وارتطم بالباب ، ليغلقه فى وجه جنوده ، فى نفس اللحظة التى صاح فيها رئيس الفريق ، بأحد العلماء الشبان :

ـ أسرع يا هذا .. أسرع بالله عليك ..

ثم لهث فى عنف ، وكأنما بذل جهداً خرافيًا ، وهو يضيف :

ـ أتلف هذا الشىء .

اندفع الجنود يضربون الباب بأكتافهم من الخارج ، فى محاولة لاقتحام ذلك المعمل الخاص ، المؤمّن ضد كل محاولات

للدخول غير المشروعة ، فى حين التقط العالم الشاب أسطوانة إطفاء أخرى ، واندفع بها نحو ذلك الشىء ، ورئيس الفريق يصرخ :

ـ أتلفه .. مزقه تمزيقًا .. أنقذنا من الجحيم القادم يا هذا .. أنقذنا بأى ثمن .

كان العميد (ماهر) يحاول النهوض فى صعوبة ، ورأسه يدور فى عنف ، عندما اندفع العالم الشاب نحو ذلك الشىء ، ورفع الأسطوانة على ارتفاع ذراعيه ، ليهوى بها عليه بمنتهى العنف ، و ...

وفجأة ، أظلمت الدنيا كلها أمامه ..

أظلمت على نحو مباغت مخيف ..

ثم هبّت رياح قوية فى وجهه ..

رياح جعلته يغلق عينيه لحظة ..

لحظة واحدة ..

وعندما فتحهما ، كان ذلك العملاق يقف أمامه ..

عملاق هائل ، يبلغ ضعف حجمه تقريبًا ، ويقف أمامه بلا ملامح ، فيما عدا فم يحمل ابتسامة ..

ابتسامة ساخرة ..

ظافرة ..

شامتة ..

قاسية ..

شريرة ..

وحشية ..

وشيطانية ..

وارتجف العالم الشاب ..

ارتجف من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ..

ارتجف ..

وارتجف ..

وارتجف ..

وبصوت رهيب ، قال ذلك العملاق :

- تريد القضاء علىّ .. أليس كذلك ؟!

تجمدت الدماء ، فى عروق العالم الشـاب ، وظل ذراعاه يحملان أسطوانة الإطفاء الثقيلة ، وقلبه يخفق فى عنف ..

ويخفق ..

ويخفق ..

وبنفس الصوت ، تابع العملاق :

- يا للحماقة !

وبضربة بسيطة ، ألقى أسطوانة الإطفاء بعيدًا ، ثم رفع يده ، ذات الأصابع النحيلة الطويلة وهو يضيف :

- فمن يحمل لى الموت ، أمنحه أبشع ميتة .

قالها ، ثم هوى بيده ..

هوى بأصابعه الطويلة ..

النحيلة ..

القاتلة ..

وشهق العالم الشاب ..

شهق بمنتهى القوة والألم ، عندما اخترقت الأصابع الرهيبة عنقه ، وفجّرت أنهارًا من الدم بمنتهى العنف ..

وعندئذ .. عندئذ فقط تلاشى الظلام ..

وتفجرّ الرعب ..

بلا حدود ..

فبالنسبة للموجودين فى الحجرة كان المشهد رهيبًا ..

مخيفًا ..

مرعبًا ..

ومحطمًا لأعصاب أقوى الرجال وأشجعهم ..

فالعالم الشاب كان يندفع نحو ذلك الشيء ..

ثم توقف فجأة ..

وأمام عيون الجميع ، طارت أسطوانة الإطفاء من يده ، كما لو أنها قد تلقت ضربة عنيفة ..

ثم اخترق شيء ما عنق الشاب ..

اخترقه بمنتهى القوة ..

والعنف ..

بلا هوادة ..

أو روية ..

أو رحمة ..

وتفجرت دماء العالم الشاب ، وسقط على ركبتيه ، وهو يطلق شهقة تلو أخرى ، في حين تراجعت زميلته ، وهي تصرخ ، بكل رعب الدنيا وهلعها :

ـ لا .. لا ..

أما العميد (ماهر) ، الذي شاهد ما حدث في وضوح ، فقد

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وتجمدت مشاعره كلها تمامًا ، وسط صرخات أفراد الفريق العلمي ، الذين تدافعوا نحو الباب ، محاولين الفرار من المكان ، ورئيسهم يصرخ :

ـ لقد فعلها .. لقد انطلق من عقاله .. لقد تجاوز كل الحدود .

ردد العميد (ماهر) ، في ذهول ما بعده ذهول :

ـ مستحيل ! مستحيل ! مستحيل !

استعاد عقله ، في لحظة واحدة ، كل ما حدث منذ البداية ..

وصول ذلك المسخ ..

أوامر القيادة ..

اتخاذ القرار ..

ومرحلة التنفيذ ..

استعادة عقله بداية التجربة ..

وتطورها ..

وذروتها ..

استعاد مخاطرها ..

ومخاوفها ..

ومعارضاتها ..

وتلك الذبذبات فائقة القوة ، التى أربكت وحيّرت وأقلقت كل العاملين فى المشروع ..

الذبذبات التي ظلت غامضة ..

مبهمة ..

مخيفة ..

حتى أدرك الآن فقط ماهيتها ..

لقد كانت تعبيراً عن انطلاق ذلك الشىء ..

عن تجاوزه لكل الحدود ، وتحطيمه لكل الحواجز ، ومروره عبر كل الموانع ..

على الرغم من كل الإجراءات ..

والنظم ..

وحوافظ الأمن ..

لقد نجحت التجربة ..

نجحت نجاحاً رهيباً ..

وكما قال رئيس الفريق : لقد انطلقت دون ضابط أو رابط ..

انطلق السلاح السرى الرهيب ، نحو صدورهم ..

وأجسادهم ..

وقلوبهم ..

وعقولهم ..

انفجر فى وجوههم ، قبل أن ينفجر فى وجوه الأعداء ..

مرّ كل هذا فى ذهنه ، خلال ثانية واحدة ، وهو يحدّق فى ذلك الشىء ، وفى بركة الدم المحيطة بجثة العالم الشاب ، ويسمع من حوله أفراد الفريق ، وهم يستغيثون ، فى محاولة للخروج من الحجرة ، التى استجابت أجهزة أمنها الإليكترونية للهرج الذى حدث داخلها ، فأوصدت كل مداخلها ومخارجها فوراً ؛ لحماية ذلك السلاح ..

السلاح السرى الجديد ..

وفى انهيار تام ، هتفت العالمة :

ـ أخرجونا من هنا .. أخرجونا من هنا بالله عليكم .

وكاد رئيس الفريق يبكى ، وهو يقول :

ـ كان يجب أن ننهى التجربة .. كان ينبغى أن ننهيها ، عندما كان باستطاعتنا هذا .

انعقد حاجبا العميد (ماهر) ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. ينبغى أن ننهيها .

سحب مسدسه ، وهو ينهض كالمنوّم ، ويتجه نحو ذلك الشيء مباشرة ، فى حين انهار أحد العلماء تمامًا ، وهو يهتف :

ـ انتهى أمرنا .. سيقتلنا جميعًا حتمًا .

لم يسمعه العميد (ماهر) ، وهو يتجه نحو ذلك الشيء ، ويقترب منه ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وبكل الحزم والعزم فى أعماقه ، وعلى الرغم من كل الأوامر الصادرة إليه ، ودون أن يفارق ذهنه مشهد العالم الشاب ، وهو يسقط صريعًا ، رفع العميد (ماهر) فوهة مسدسه ، مغمغمًا :

ـ ينبغى أن ننهيها .. فورًا ..

استدار إليه العلماء فى رعب ، وتمنى كل منهم فى أعماقه أن يتم مهمته ، وأن يطلق النار ؛ لينسف ذلك الشيء بالفعل ، و ...

ولكن فجأة ، لم يعد المكان كما كان ..

لقد أحاط بهم بغتة ظلام رهيب ..

ظلام دامس ، جعلهم يصرخون فى رعب ، وجعل أحدهم يسقط على ركبتيه ، هاتفًا فى انهيار :

لقد ظفر بنا .

ولم يعلّق أحدهم على قوله بحرف واحد ..

فأمام أعينهم مباشرة ، ومن موضع ذلك الشيء ، نهض عملاق رهيب ..

عملاق بلا ملامح ..

نهض يقول ، فى ارتياح شيطانى عجيب :

ـ أخيرًا أيها العميد ..

وارتجف رئيس الفريق ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ..

وشهق العالمان الآخران ، بكل رعب الدنيا ..

أما العالمة ، فقد سقطت فاقدة الوعى ، عندما انحنى العملاق على جسد العميد (ماهر) فى سرعة ، وأمسك كتفه بيسراه ، ثم ضرب عنقه بيمناه ..

وطار رأس العميد (ماهر) ..

طار ليسقط وسط ذلك الظلام الرهيب ، ويتدحرج إلى مالا نهاية ..

وهنا ، أطلق العملاق ضحكته الرهيبة ..

ضحكته الساخرة ..

الظافرة ..

القاسية ..

الشيطانية ..

الوحشية ..

الضحكة التي أعلنت أنه قد عاد بالفعل ..

عاد أقوى مما كان ..

عاد لينتقم ..

بمنتهى العنف ..

ومنتهى الوحشية .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثاني بإذن الله

(عودة الشر)

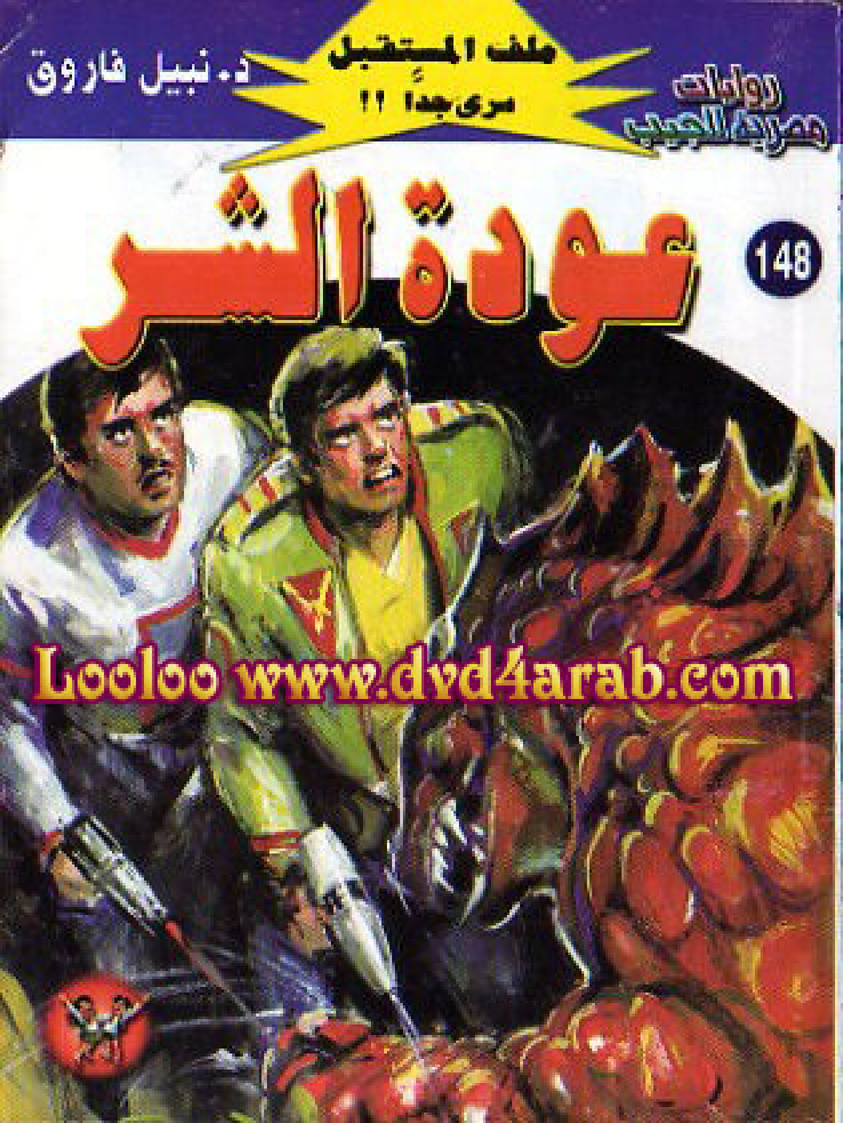
روايات مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري جداً !!
د. نبيل فاروق
148
عودة الشر
Looloo www.dvd4arab.com

١ـ الـوحـش ..

تسلل ضوء القمر فى نعومة ، عبر مجموعة من السحب الكثيفة ، التى راحت تتقشع فى بطء ، لتسمح لاستدارته التامة باحتلال كبد السماء ، فى تلك البقعة الهادئة من أرض (مصر) ، والمتاخمة لحدود (القاهرة) القديمة ، التى ألفتها سنوات الاحتلال البغيضة(*) ..

وفى مشهد مهيب ، سقط ضوء القمر الفضى على مركز الأبحاث العسكرية ، الذى بدا منفردًا ساكنًا ، فى تلك المنطقة المقفرة ، والظلال التى صنعها ضوء القمر تضيف إلى غموضه المعتاد مزيدًا من الغموض والرهبة ..

وعلى الرغم من الصمت والهدوء ، اللذين يميزان المكان ، منذ أصبح منطقة عسكرية محظورة ، محاطة بأسوار إلكترونية عالية ، كانت ممراته وحجراته ومعامله تشهد نشاطًا عنيفًا للغاية فى تلك الليلة بالذات ..

ففى عدد من الممرات ، التى تصل إلى قاعة الأبحاث والتجارب الرئيسية ، كان هناك فريق من الجنود ، المدججين بالسلاح ، ينتشرون فى نظام دقيق مدروس ، وتحفز بلا حدود ،

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

ومدافعهم الليزرية كلها مصوبة إلى باب القاعة ، في حين بدا قائدهم شديد التوتر والصرامة معًا ، وهو يمسك جهاز اتصال داخلي ، ويقول عبر شبكة الاتصالات الداخلية المحدودة :

- لا طائل من كل ما تفعلونه بالداخل .. احتجاز سيادة العميد (ماهر) لن يفيدكم كثيرًا أو قليلاً .. أعلم أنكم مجموعة من أفضل علماء العصر ، ولكنكم تعملون لحساب جهة عسكرية ، وهذا يلزمكم بطاعة الأوامر ، والالتزام بالقواعد ، وإلا تم إنهاء خدمتكم ، وتصفيتكم فورًا .

امتقعت وجوه فريق العلماء ، المحتجز داخل قاعة التجارب ، وتطلعت وجوههم المذعورة إلى ذلك العملاق الرهيب ، الذي يقف في وسط الحجرة بلا وجه ، باستثناء ابتسامة شيطانية رهيبة ، جمدت الدم في عروقهم ، وحبست الكلمات في حلوقهم ، فلم يستطع أحدهم أن ينبس ببنت شفة ..

كانوا أشبه بفئران في مصيدة ، محصورة بين المطرقة والسندان ، فالجنود في الخارج يطالبونهم بالاستسلام والخروج ، وفتح أبواب قاعة الأبحاث والتجارب الرئيسية ، وذلك الوحش الرهيب في الداخل ، يسيطر على الموقف كله ، على الرغم من ثقتهم التامة في أنه ليس عملاقًا حقيقيًا ..

بل مجرد وهم !

وهم قادر على إفنائهم جميعًا في لحظة واحدة ..

وهم قاتل ..

وبحركة غريزية يائسة ، انتقلت عيونهم جميعًا إلى جثة زميلهم الشاب ، الذي قتله ذلك الوحش منذ دقائق قليلة ، دون ذرة واحدة من الرحمة أو الشفقة ، وارتجفت فرائصهم بشدة ورعب ، عندما رصدوا إلى جوارها جثة العميد (ماهر) ، ورأسه الملقى على بعد ثلاثة أمتار من جسده ..

ثم توقفت أبصارهم جميعًا عند ذلك الشيء ، الذي تآزروا جميعًا لتشكيله ، وتطويره ، حتى بلغ ما بلغه ، وصار بوسعه الانتقام من كل من أساء إليه أو بمعنى أدق ، إلى جسده السابق ..

ففي تلك اللحظة ، وحتى وهو يحتجزهم داخل تلك القاعة ، لم يكن له جسد أي جسد ..

كان وحشًا بلا جسد ..

ولكنه وحش كاسر ..

رهيب ..

بشع ..

وحش لم تر الدنيا كلها مثيلاً له ..

قط ..

« لا تضطرونا للجوء إلى وسائل عنيفة .. »

انطلق صوت قائد الرجال ، في صرامة وغضب أكثر ، عبر شبكة الاتصالات الداخلية ، قبل أن يستطرد في غلظة :

ـ ما لدينا من قوة هنا ، يكفي لاقتحام حصن حصين ، وليس مجرد قاعة تجارب ، ولو واصلتم عنادكم وتمردكم ، سأضطر لإبلاغ القيادة ، التي لن تتردد في إصدار الأمر بسحقكم سحقاً .

وخيّل للعلماء ، القابعين في رعب ، داخل قاعة الأبحاث ، أن ذلك العملاق عديم الملامح ، قد أطلق زمجرة ما ..

زمجرة لم تسمعها آذانهم ، ولكن رددتها عقولهم ، وخلاياهم ، وكل ذرة في كينوناتهم كلها ..

ومع تلك الزمجرة ، هوت قلوبهم عند أقدامهم ..

بل تحت أقدامهم ..

بكثير ..

وفي أعماقهم ، لعن كل منهم تلك الأحداث ، التي انتهت بهم إلى هذا الموقف الرهيب المخيف ..

وإن كانوا يجهلون فعلياً الكثير مما حدث ..

يجهلون كيف بدأ ذلك الوحش رحلته ..

كيف انقضّ على العقول بلا رحمة ، ودفع الكل لمهاجمة بعضهم في شراسة ، وكاد يتسبب في تدمير فريق (نور) كله ، لولا أن انضمّ إليهم راهب تبتي ، جاء من أعماق جبال (التبت) ، التي طوّر فيها ذلك الوحش قدراته العقلية المكتسبة ، وحوّلها إلى سلاح جبار ، لا قبل لجيش كامل به ..

والعجيب أن ذلك السلاح الجبار قد انتهى برصاصة ، أطلقها (أكرم) على رأسه مباشرة ..

وبهذا انتهت أحداث رهيبة(*) ..

وبدأت أحداث أكثر رعباً ..

فبعد أن تأكّد الكل من مصرع المسخ الوحشي الرهيب ، فوجئ به الكل يعود إليهم بغتة ..

يعود أكثر عنفاً وشراسة ، و .....

ووحشية ..

وفي هذه المرة ، كان الموقف رهيباً ، مذهلاً ، ومرعباً بحق ..

(*) راجع قصة (بلا جسد) .. المغامرة رقم (١٤٣) .

كل شيء كان يؤكد مصرع ذلك المسخ مزدوج المخ، برصاصات العسكريين، بعد أن أجروا عليه مجموعة غامضة من التجارب ..

مجموعة صنعت وحشًا آخر ..

وحش رهيب، قاس، عنيف، تفوق قوته وقدراته إمكانيات ذلك المسخ ألف مرة ..

على الأقل ..

وفي الوقت الذي راح فيه (نور) وفريقه، مع مجموعة رهبان (التبت)، يبحثون عن سر عودة ذلك الشر، كان الوحش الجديد يسيطر على الموقف كله، بعد أن نمت قدراته إلى حد مذهل، جعلها تتجاوز الحدود ..

كل الحدود ..

وعندما أدرك فريق العلماء، المشرف على وجوده مدى الخطر، وحاول إنهاء التجربة، والقضاء على ذلك الوحش عديم الجسد، انطلقت طاقته الوحشية من عقالها، وانقض على الجميع بلا رحمة ..

على فريق العلماء ..

والعميد (ماهر)، مدير مركز الأبحاث العسكرية ..

وفي لحظات قليلة، لقي أحد العلماء مصرعه، ولحقه العميد (ماهر)، ونهض الوحش الرهيب، بصورته الوهمية العملاقة، ليسيطر على كل شيء ..

كل شيء بلا استثناء(*) ..

« أمامكم دقيقة واحدة، وأبلغ القيادة بهذا التمرُّد .. »

انطلق هتاف قائد الجنود، حاملاً كل الصرامة والقسوة والغلظة هذه المرة، و ...

وانطلق الوحش أيضًا ..

فجأة، انتفضت قلوب وعقول فريق العلماء، عندما رأوه يندفع نحو باب القاعة، ويتجاوزه كظل رهيب؛ ليعود الضوء إلى القاعة ..

ولتنطلق صيحة رعب من الخارج، تحمل صوت قائد الجنود، وهو يصرخ:

- رباه! ما هذا الشيء بالضبط ؟!

(*) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزء الأول قصة (الصحوة الكبرى) .. المغامرة رقم (١٤٧).

وتفجّرت دموع الرعب والفزع ، من عيون طبيبة الفريق ، مع صوت مدافع الليزر ، التي انطلقت في الممرات الخارجية ، ممتزجة بدوي رصاصات تقليدية ، وصرخات رعب وألم ..

وبعدها ساد هدوء رهيب ..

هدوء يحمل رائحة يخشاها كل كائن حي ..

رائحة الموت ..

وبرعب سيطر على كل جوارحهم ، راح العلماء المحتجزون يرتجفون ..

ويرتجفون ..

ويرتجفون ..

ولم يجرؤ أحدهم على النهوض من مكانه ..

أو حتى القيام بحركة واحدة ..

كانوا كلهم يتطلّعون إلى باب القاعة ، بكل رعب وذعر الدنيا ، و ....

تفتح في قوة ، شهقت معها طبيبة الفريق ، قبل أن تسقط فاقدة الوعي ، وانتفضت أجساد الباقين برعب ما بعده رعب ، وهم يحدقون في الممرات الممتدّة أمامهم ، والتي تناثرت فيها جثث الجنود الصرعى ، السابحة في بحار من دمائهم .. وانهار الكل ..

انهاروا تمامًا ، وخاصة عندما أغلق الباب مرة أخرى ، بمنتهى القوة والعنف ، وعاد الظلام يخيّم على القاعة ، وذلك العملاق الوهمي يقف وسطها مرة أخرى ، وصوته الرهيب المخيف يتردّد في عقولهم :

ـ لن أقتلكم .. منذ هذه اللحظة ، وأنتم تعملون من أجلي .

حدّقوا جميعًا في تلك الصورة الوهمية ، بذهول خائف مذعور ، قبل أن يضيف العملاق ، بصوته الذي تردّده عقولهم المنهارة :

ـ أنتم خدمي ..

قالها ، ثم ردّدت أجسادهم كلها تلك الضحكة الوحشية الرهيبة ، التي أطلقها في عقولهم ..

في أعمق أعماق عقولهم ..

ضحكته التى أعلنتهم بضياع حريتهم إلى الأبد ..

وبأنهم قد صاروا مجرد عبيد ..

عبيد لذلك الشيء القابع هناك ..

بلا جسد ..

* * *

« من الواضح أن الموقف خطير للغاية ، يا سيادة الرئيس .. »

نطق القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية العبارة ، فى لهفة توحى بأهمية ، وحساسية ، وخطورة الموقف ، أمام رئيس الجمهورية ، الذى انعقد حاجباه فى حيرة ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ لو أنه كما وصفه (نور) ، فهو بالفعل شديد الخطر ، ويحتاج إلى تفسير حاسم .. وعاجل .

قالها ، ثم ضغط زر الاتصال بمدير مكتبه ، وهو يعتدل ، مكملاً فى صرامة :

ـ أريد مقابلة وزير الدفاع .. فوراً .

وأنهى الاتصال ، دون أن ينتظر رد مدير مكتبه ، وأشار إلى القائد الأعلى ، قائلاً فى حزم :

ـ أخطر ما فى هذه القصة ، هو عبارة « أوامر جهة سيادية عليا » هذه .. المقدّم (نور) كان على حق .. هذا القول لا ينطبق إلا على وزارة الدفاع ومؤسسة الرياسة فحسب ، وما دامت الأوامر فى هذا الشأن ، لم تصدر من هنا ، فلابد أن نسمع ما لدى وزير الدفاع .

بدا القائد الأعلى حازماً ، وهو يقول :

ـ بل أخطر ما فى الأمر هو أن ينكره وزير الدفاع أيضاً .

اعتدل الرئيس فى دهشة ، وهو يتساءل :

ـ ماذا تعنى أيها القائد ؟!

أجابه القائد الأعلى بنفس الحزم :

ـ أعنى أنه لو لم تكن هذه الأوامر قد صدرت من سيادتكم ، أو من وزير الدفاع ، فسيعنى هذا أنه هناك من يدير عملية بالغة الخطورة لحسابه ، مستغلاً كل إمكانيات وقدرات الدولة .

هتف الرئيس ، وقد استوعب خطورة الأمر :

- يا إلهي ! ومن المحتمل أيضًا أن يديرها لحساب آخرين ..

أشار القائد الأعلى بسبابته ، وهو يضيف :

- ولإنتاج سلاح عقلي رهيب ، يمكن بوساطته أن يسيطر على العقول .

ثم مال نحو الرئيس ، مضيفًا بلهجة خاصة :

- كل العقول .

انتفض جسد الرئيس انتفاضة محدودة ، مع ما تعنيه الكلمة الأخيرة ، من أمور يمكن أن تبلغ حد الأهوال ، ثم ضغط زر الاتصال بمدير مكتبه مرة أخرى ، وهو يقول في صرامة :

- هل أبلغت وزير الدفاع ؟!

أجابه مدير المكتب في سرعة :

- إنه في طريقه إلى هنا يا سيادة الرئيس .

لم تمض على قوله هذا دقائق عشر ، حتى كان وزير الدفاع يدلف إلى مكتب الرئيس ، وهو يخلع قبعته العسكرية ، قائلاً في قلق :

- خير يا سيادة الرئيس .. ترى ما سر هذا الاستدعاء العاجل .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يقول في صرامة :

- إنه سؤال واحد يا سيادة الوزير ، ولكن جوابه لا يحتمل التأجيل لحظة واحدة .

بدا اهتمام شديد على وجه الوزير ، وهو ينقل بصره إلى القائد الأعلى ، الذي يشف وجوده عن مدى خطورة الأمر ، وتساءل :

- أي سؤال هذا ، يا سيادة الرئيس ؟!

ازداد انعقاد حاجبي الرئيس شدة ، واكتسى صوته بمزيد من الصرامة والحزم ، وهو يسأله :

- هل تجرون أية تجارب سرية ، بشأن ذلك المسخ مزدوج الرأس ، الذي جشمنا خسائر فادحة ، قبل أن ينسف أحد رجال المخابرات العلمية رأسه ؟!

ارتفع حاجبا الوزير ، في دهشة حقيقية ، وهو يهتف :

- تجارب سرية ؟! ولماذا يا سيادة الرئيس .. ألم يلق ذلك المسخ مصرعه بالفعل ؟!

هزّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- كلاّ .. لم يلق مصرعه ، كما كنا نتصور جميعًا .

بدا الوزير صادقًا للغاية ، وهو يهتف :

ـ حقًا ؟!

تبادل الرئيس مع القائد الأعلى نظرة شديدة التوتر والقلق ، قبل أن يقول الرئيس ، وهو يتراجع فى مقعده فى بطء :

ـ هذا ما كنا نخشاه .

جاء دور وزير الدفاع ، لينعقد حاجباه فى شدة وتوتر ، وهو يقول :

ـ سيادة الرئيس .. من الواضح أنه هناك ما لا يمكننى فهمه أو استيعابه .

أشار إليه القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ لا بأس يا سيادة الوزير .. سأخبرك بكل شيء .

وخلال الدقائق العشرين التالية ، راح الوزير يستمع فى ذهول ، إلى ما يرويه القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، عن لسان (نور) ، وما إن انتهى الأخير من حديثه ، حتى انتفض الوزير ، قائلاً :

ـ هذا أمر بالغ الخطورة أيها السادة ، ولا بد من البحث عن حقيقته فورًا .

سأله الرئيس فى اهتمام شديد :

ـ من يمكنه أن يفعل هذا ؟!

صمت الوزير بضع لحظات ، وهو يدير الأمور كلها فى رأسه ، قبل أن يقول ، فى حزم صارم :

ـ الكثيرون .

بدت عبارته مخيفة ، فى مثل هذه الظروف ، إلا أنه تابع بنفس الحزم :

ـ فكل شخص ، فى رتبة الفريق ، يمكنه إصدار مثل هذه الأوامر ، باعتبارها أوامر سيادية عليا ، صادرة منى شخصيًا ، أو من سيادة الرئيس .

قال الرئيس فى توتر غاضب :

ـ اذكر رقمًا واضحًا .

أشار الوزير بسبابته ، قائلاً بمنتهى الحزم :

ـ هناك وسيلة أكثر حسمًا .

سأله القائد الأعلى فى لهفة :

ـ وما هى ؟!

التقى حاجبا الوزير ، وهو يقول فى حزم شديد :

ـ زيارة مفاجئة ، للمكان الوحيد ، المؤهّل لإجراء تجارب لها مثل هذه الأهمية والخطورة .

ثم مال نحوهما ، مستطرداً :

ـ مركز الأبحاث العسكرية .

بدا الاهتمام على وجه الرئيس ، وهو يتبادل نظرة صامتة مع القائد الأعلى ، قبل أن يقول فى حسم شديد :

ـ فليكن .. سنقوم بهذه الزيارة المفاجئة معاً .. وفوراً .

وكان هذا يعنى مواجهة حتمية ..

مواجهة قد تحمل للجميع مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..

* * *

فركت (مشيرة محفوظ) ، رئيسة تحرير جريدة أنباء الفيديو المرئية ، كفيها فى توتر شديد ، وهى تدير عينيها فى تلك القاعة الخاصة ، التى انتقل إليها الفريق ، وقالت فى عصبية :

ـ كلا .. لايمكنكم سجننا هنا .. هناك الكثير من العمل ، ينتظرنى فى الجريدة ، ولا يمكننى البقاء بعيداً لفترة طويلة .

قال زوجها (أكرم) فى صرامة :

ـ وماذا عن (إلى الأبد) ؟!

تطلّعت إليه ، فى تساؤل حائر متوتر ، فأضاف بنفس الصرامة :

ـ البقاء بعيداً عن العمل ، لفترة طالت أم قصرت ، أفضل من أن يظفر بك ذلك الوغد ، فتبتعدين عنه إلى الأبد .

ارتجف جسدها للفكرة ، وانفرجت شفتاها ، لتنطق بعبارة اعتراض ، إلا أن هذا بدا لها سخيفاً فى ضوء المفهوم الجديد ، الذى أوضحه (أكرم) بعبارة موجزة ، فعادت تطبق شفتيها ، وإن انعقد حاجباها فى توتر ، جعل الدكتور (حجازى) يقول :

ـ يمكننى أن أستوعب توترك تماماً يا سيّدة (مشيرة) ، فأنا أيضاً يربكنى البقاء هنا ، بعيداً عن عملى ، ولكن التجربة الرهيبة ، التى خضتها بنفسى ، تجعلنى أدرك أهمية التواجد ، فى قاعة كهذه .

التقطت (نشوى) عبارته ، لتقول فى حزم :

ـ القاعة التى تقفين فيها الآن يا (مشيرة) ، ليست قاعة

عادية وإنما هى قاعة خاصة جدًا ، تم تزويدها بجدار عازل ، من موجات مضادة لتلك الموجات فائقة القوة والقصر ، التى يطلقها عقل ذلك المسخ ، بحيث يصبح كل الموجودين هنا آمنين ، من محاولاته للسيطرة على عقولهم ، وتسخيرها للقيام بما ينشده ، من أعمال حقيرة وشريرة .

سألتها (مشيرة) فى توتر :

ـ هل تعنين أننا آمنون هنا ؟!

أجابتها (سلوى) :

ـ إلى حد كبير .

حدقت (مشيرة) فيها لحظة ، قبل أن تهز رأسها ، قائلة فى توتر ، لم ينجح فى مفارقتها بعد :

ـ أتمنى هذا .

تنهد (رمزى) ، وهو يقول :

ـ الواقع أنه لا يروقنى كثيرًا أن نبقى هنا ، فى حين يقاتل (نور) و(أكرم) فى الخارج .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى عصبية :

ـ لماذا يتوليان وحدهما الأمور المهمة .

قالت (سلوى) فى حزم :

ـ لا توجد أمور مهمة ، وأخرى غير مهمة يا (رمزى) .. (نور) و(أكرم) يقومان بدورهما فى المهمة ، وعلينا نحن القيام بدورنا هنا .

تساءلت (مشيرة) فى عصبية :

ـ وما دورنا هنا بالضبط ؟! أن نجلس فى انتظارهما ؟! لِمَ لا تقترحين أيضًا أن نعد لهما وجبة ساخنة ، ووعاء من الماء الساخن ، لتهدئة أقدامهما ، عندما يعودان من عملهما مرهقين ؟!

قالت (سلوى) بنفس الصرامة :

ـ فكرة لا بأس بها يا (مشيرة) ، فكثيرًا ما أفعل هذا مع زوجى (نور) ، إذا ما عاد يومًا إلى المنزل مرهقًا مكدودًا .

حدقت فيها (مشيرة) ، هاتفة فى دهشة مستنكرة :

ـ أنت ؟! أنت تفعلين هذا لـ (نور) ؟!

هزت (سلوى) كتفيها ، قائلة :

ـ وماذا فى هذا ؟! أنا زوجة قبل أن أكون عالمة صوتيات واتصالات .

ثم أشارت بيدها ، مستطردة :

– ولكن هذا ليس حديثنا الأمثل الآن ، فالأفضل أن أخبركما طبيعة مهمتكما هنا بالضبط يا (مشيرة) ، ويا دكتور (حجازى) ، والواقع أن هذه القاعة مزوّدة ، كما تريان ، بعدد من أحدث الأجهزة والمعدّات ، لرصد الموجات فائقة القصر ، وتتبّعها ، وتحديد مصدرها .

سألها الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

– وكيف هذا ، مادمتم تؤمنون أن القاعة تمنع وصولها إلى هنا ؟!

أجابته فى حزم :

– القاعة محاطة بالفعل بما نطلق عليه اسم حاجز النيران (Fire Wall) ، ومهمته هى احتجاز كل الموجات فائقة القصر ، ورصدها وتتبعها أيضًا ، وهو نسخة مطوّرة من ذلك الحاجز المستخدم فى شبكات الإنترنت والاتصالات ، وعند أية محاولة للوصول إلى عقولنا ، سيتصدّى الحاجز للموجات فائقة القصر ، ويرصدها ، وينطلق خلفها فى نفس اللحظة .

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه ، قائلاً :

– ما زلت أجهل طبيعة الدور ، الذى يمكن أن نقوم به هنا .

أجابته (نشوى) هذه المرة ، وهى تقول فى حزم :

– دوركما ربما يكون أهم دور هنا يا دكتور (حجازى) ، فأنتما فى الواقع مفتاح حل اللغز .

ردّدت (مشيرة) مبهورة :

– اللغز ؟!

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

– نعم يا (مشيرة) .. لغز عودة ذلك الشر .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى انطلق فجأة أزيز قوى فى القاعة ..

أزيز انتفض معه جسدا (سلوى) و(مشيرة) معًا ، فهتفت الأولى فى ذعر شديد :

– رباه ! إنه هو .

اندفعت (نشوى) نحو أحد الأجهزة فى القاعة ، والذى أضيئت شاشته بضوء أحمر باهت ، وراحت ترسم مجموعة من الأرقام ، فى خطوط مستقيمة ومتقاطعة ، فى سرعة مدهشة ، فى حين امتقع وجه (مشيرة) فى شدة ، وتراجعت فى رعب ، وغمغم الدكتور (حجازى) فى عصبية :

– هو ؟! يا إلهى ! يا إلهى !

وهزت (سلوى) رأسها فى قوة، محاولة نفض انفعالاتها، قبل أن تندفع بدورها نحو جهاز آخر، وتهتف وهى تطالع شاشته :

- (نشوى) .. انظرى .. إنها موجات مذهلة هذه المرة .. لقد تجاوزت كل المنحنيات .

قالت (نشوى) فى انفعال :

- لم تعد منحنيات يا أمى .. إنها تكاد تصبح خطًا مستقيمًا، من شدة قوتها وقصرها .

وتراجعت مضيفة فى توتر شديد :

- يبدو أن قوة ذلك الشىء قد تجاوز كل الحدود هذه المرة .

قال (رمزى)، فى حزم عصبى :

- السؤال هو : ما طبيعة ذلك الشىء بالضبط ؟!

لم يكد يتمّ عبارته، حتى دوت فرقعة مكتومة فى المكان، فوثبت (نشوى) من مقعدها، مع عنف انفعالها، وصرخت (مشيرة) فى رعب .

- ماذا ؟! ماذا حدث ؟!

استدارت إليها (سلوى)، بوجه نافس شحوبه وجوه الموتى، وهى تقول :

- لقد انهار الحاجز .

وارتجف صوتها، مع جسدها كله، وهى تضيف :

- حاجز النيران .

واتسعت العيون عن آخرها فى رعب ..

رعب بلا حدود ..

* * *

٢ ـ حاجز الوهم ..

« ما الذى نفعله هنا بالضبط يا (نور) ؟! »

ألقى (أكرم) سؤاله فى عصبية ، وهو يجلس إلى جوار (نور) ، فى سيارة هذا الأخير ، على مسافة مائة متر فحسب ، من مركز الأبحاث العسكرية ، ثم تحسس مسدسه ، وكأنما يحاول أن يستمد منه بعض الشعور بالقوة ، وهو يتابع :

ـ لست أشعر بالارتياح أبدًا ، وسط أطلال (القاهرة) القديمة هذه ؛ فهى تعيد إلى ذهنى ذكريات وحشية رهيبة(*) ..

وبدلاً من محاولة تهدئته ، قال (نور) فى صرامة ، وهو يتطلع إلى مركز الأبحاث العسكرية ، عبر منظار مقرّب رقمى متطوّر :

ـ من يدرى ؟! ربما تضيف إليها ذكريات أكثر وحشية .

شعر (أكرم) بقشعريرة عجيبة تسرى فى أوصاله ، وهو يتساءل فى عصبية :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

(*) راجع قصة (الحرباء) .. المغامرة رقم (١٠١) .

لم يجب (نور) تساؤله هذه المرة ، وهو يراقب مركز الأبحاث العسكرية باهتمام بالغ ..

والواقع إنه كان يشعر بحيرة لاحدود لها ، تمتزج بتوتر مبهم ، غير واضح المعالم ، وهو يرصد المكان بدقة بالغة ..

فوفقًا لما أكده رهبان (التبت) ، الذين نقلوه إلى عالمهم بسيطرة عقلية مدهشة ، كانت موجات ذلك المسخ تنطلق من هذا المكان ..

من مركز الأبحاث العسكرية ..

وعلى الرغم من هذا ، كان المكان نفسه يبدو هادئًا منتظمًا ، على نحو يوحى بأنه لايواجه أية مشكلات فى داخله ..

وكان هذا يعنى أحد أمرين ، لاثالث لهما ، فإما أن الرهبان قد أخطئوا رصد موجات العقل الرهيبة ، لسبب أو آخر ، أو أن ذلك الشىء قد سيطر تمامًا على الموقف ، وأخفى كل أثر لتواجده داخله ..

كل أثر على الإطلاق ..

وفى الحالتين ، كان هذا يضاعف من تعقيدات الأمر وخطورته ..

ألف ألف مرة ..

« ولماذا لا نطلب زيارة مركز الأبحاث هذا ، رسميًا يا (نور) ؟! »

ألقى (أكرم) السؤال ، لينتزعه من أفكاره فخفض (نور) منظاره الرقمى عن عينيه ، وهو يقول فى حزم :

ـ لأن طلب زيارة رسمية يعنى معرفة ما ننوى فعله ، مما يمنح خصمنا ، أيًا كانت هويته ، الفرصة للتعمية على كل ما يحدث بالداخل ، أو إخفاء كل ما يمكن أن يرشدنا إلى الحقيقة .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وتلفت حوله ، وكأنما يخشى مجرد تواجده ، وسط هذه الأطلال القديمة ، وقال بنفس العصبية :

ـ هل سنكتفى بالجلوس هنا والمراقبة فحسب ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ كلاَّ بالطبع .

وصمت بضع لحظات ، قبل أن يضيف بحزم أكبر :

ـ لدى خطة أخرى ..

لم يكد يتم عبارته ، حتى انتفض جسد (أكرم) فى عنف ، وهو يستلّ مسدسه بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ يا إلهى !

استدار (نور) إليه فى سرعة ، وهو يسحب مسدسه الليزرى بدوره ، قائلاً :

ـ ماذا هناك ؟!

أشار (أكرم) إلى جزء ما من الأطلال ، وهو يقول ، بصوت حمل كل توتر الدنيا :

ـ لقد خُيِّل إلىَّ أننى قد رأيته .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يسأله :

ـ رأيت من ؟! ذلك المسخ ؟!

هزَّ (أكرم) رأسه فى شدة ، واحتبس الصوت لحظة فى حلقه ، قبل أن يجيب :

ـ كلاَّ .. لقد رأيت الـ ... الـ ...

وازدرد لعابه فى عصبية ، قبل أن يكمل ، وهو يلوِّح بمسدسه فى حدة :

ـ الحرباء .

حدّق (نور) فى وجهه بدهشة بالغة ، قبل أن ينقل بصره إلى الأطلال ، وهو يقول فى توتر :

ـ ولكن هذا مستحيل يا (أكرم) .. لقد قضينا على ذلك الوحش منذ فترة طويلة ، وكذلك على توءمه ، ولم يعد هناك احتمال واحد ، لعودة كائن تخليقى كهذا(*) ..

قال (أكرم) بعصبية شديدة :

ـ ولكننى رأيته يا (نور) .. أقسم أننى رأيته ، بشكله الشبيه بسحلية عملاقة ، ذات قوام بشرى ، وهيئة مخيفة ، وعينين مشقوقتين طوليًا .. رأيته يتحرك فى سرعة ، خلف تلك الأطلال هناك .

هزّ (نور) رأسه مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ مستحيل يا (أكرم) ! مستحيل !

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وهو يصوّب مسدسه إلى بقعة ما ، صائحًا :

ـ ها هو ذا .

كان يرى ذلك الوحش المتحوّر الرهيب ، فى وضوح تام ، وهو يخرج من بين الأطلال ، ويندفع نحوه مباشرة ..

(*) راجع قصة (التوءم الرهيب) .. المغامرة رقم (١٠٢) .

أما (نور) ، فلم يكن يرى شيئًا على الإطلاق .

ولكنه استوعب الموقف كله ..

فما يراه (أكرم) مجرّد وهم ..

وهم اختلقه عقله ، أو اختلقته قوة خارجية ، سيطرت على عقله ، وانتزعت مخاوفه من أعمق أعماقه ، ووضعتها أمام عينيه ..

أو بمعنى أدق ، وضعت صورة وهمية منها فى عقله ..

فى أعمق أعماق عقله ..

ولأنه يرى هذا ، كما لو أنه حقيقة ، كان من الطبيعى أن يصوّب (أكرم) مسدسه إليه ..

وأن يطلق النار ..

ورصاصة واحدة ، تنطلق من مسدس (أكرم) التقليدى ، كانت كافية لإفساد المهمة كلها ..

رصاصة واحدة ، تدوى فى تلك الأطلال الصامتة الساكنة ، ستبدو أشبه بطلقة مدفع عملاق ، فى عالم من الصمت المطبق ..

لذا ، فقد انقض (نور) علـى (أكرم) ، وضرب مسدسه من يده ، هاتفًا :

ـ لا يا (أكرم) .. لا تفعلها .

جن جنون (أكرم) ، عندما طار مسدسه من يده ، والوحش المتحوِّر الرهيب يواصل الانقضاض عليه فى مشهد مخيف ، فاستدار إلى (نور) فى ثورة ، صائحًا :

ـ ماذا فعلت أيها التعس ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى اتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يحدق فى عينى (نور) مباشرة ..

فقد كانت عيناه تبـدوان ، فـى عقل (أكرم) ، أشبه بعين ذلك الوحش المتحوِّر الرهيب ..

كانتا مخيفتين ، مشقوقتين طوليًا ، و ...

وبكل عنفه وتوتره وذعره ، انقض (أكرم) على (نور) ، صائحًا :

ـ آه .. هو أنت إذن .

مرة أخرى ، استوعب (نور) الموقف كله ، وأدرك أن رفيقه وصديقه قد سقط ضحية وهم خارق ، وأنه لا يدرك فعليًا مـا يُقدم عليه ؛ لذا فقد انحنى فى سرعة ، متفاديًا لكمته ، وهو يقول :

ـ معذرة يا صديقى .

ثم اعتدل يلكمه فى فكه بقوة ، مستطردًا :

ـ ولكن الأمر لا يحتمل .

كانت لكمته قوية ، تكفى لإسقاط (أكرم) فى غيبوبة عميقة ، إلا أن هذا الأخير استقبلها فى راحته ، التى تصدت لها كجدار من الصلب ، وعلى نحـو يفوق قوتها وقدرتها الفعلية ، وهـو يقول فى صرامة غاضبة شرسة :

ـ لن يمكنك خداعى .

وهوى على (نور) بلكمة ساحقة ، مستطردًا :

ـ أنا أعرف جيدًا من أنت .

حاول (نور) تفادى هذه اللكمة كسابقتها ، إلا أنها أصابت صدره بمنتهى العنف ، ودفعته مع قوتها خارج سيارته ، ولـم يكد يسقط أرضًا ، حتى انقضَّ عليه (أكـرم) كوحش كاسر ، وهو يطلق صرخة رهيبة ..

وقبل أن يتحـرك (نـور) مـن مكانـه ، كـان (أكرم) يجثم على صدره ، ويقبض بكفيه القويتين على عنقه ، وهو يقول فى شراسة ، لم يبلغ مثلها فى وعيه قط :

ـ لن تنتصر علىَّ أبدًا .. هل تفهم ؟! لن تنتصر .

حاول (نور) أن يقاوم ..

أن يزيحه من صدره ..

أو يبعد كفيه عن عنقه ..

أو حتى يصرخ فى وجهه ..

إلا أن (أكرم) كان يبدو كالوحش الكاسر، فى قوته وملامحه الشرسة، وهو يعتصر عنق (نور) ..

ويعتصره ..

ويعتصره ..

بلا رحمة ..

* * *

فى جنون إليكترونى عجيب، راحت شاشات الأجهزة الحديثة، فى تلك القاعة الخاصة ترسم عشرات الخطوط المستقيمة، والمنحنيات فائقة القصر، وتطلق فى الوقت نفسه أزيزاً متصلاً، يعلن أن الأمور تتجاوز كل قدراتها، وأن برامجها الرئيسية كلها قد توقفت عن العمل ..

وبكل رعب الدنيا، صرخت (مشيرة):

ـ ماذا يحدث هنا ؟! ماذا يحدث ؟!

كانت (سلوى) و(نشوى) تصلان على الأجهزة التى أصيبت بالجنون، فى محاولة مستميتة للسيطرة على الموقف، فى حين تراجع الدكتور (حجازى)، ليلصق ظهره بالجدار، وذهنه يستعيد ذكريات مخيفة ..

أما (رمزى)، فقد اندفع نحو (مشيرة)، وأمسك كتفيها فى قوة، وهو يقول فى حزم:

ـ اهدئى يا (مشيرة) .. اهدئى .. لن يستطيع ذلك الشىء أن يؤذيك، إلا لو سمحت له بهذا .

صرخت (مشيرة) فى انهيار:

ـ لو سمحت له ؟! أى قول أحمق هذا يا (رمزى) .. ذلك الشىء يمكنه أن يقتلع عقلك من قلب جمجمتك، ويلقى به فى أعماق الجحيم، حتى ولو أحطت نفسك بجيش جرار لحمايتك .

صاح بها:

ـ لست أتحدث عن جيش، وإنما عن إرادة .. إرادتك .

صرخت، وجسدها يرتجف بمنتهى العنف:

ـ أية إرادة ؟! إننا نتحدث عن وحش .. وحش كاسر، لا قبل لأية قوة فى الأرض به .

انعقد حاجبا (سلوى) فى شدة، مع العبارة الأخيرة، التى صرخت بها (مشيرة)، وبدا لها أنها محقة تمامًا، كما تؤكد هذا كل أجهزة الرصد والتتبع فى المكان، والتى أصابها جنون مطبق، تعجز بكل خبرتها ومهارتها عن السيطرة عليه ..

أما (نشوى)، فقد راحت أصابعها تتقافز بسرعة مدهشة، على أزرار الكمبيوتر، فى محاولة يائسة؛ لاستعادة السيطرة على برنامج الحماية، وإعادة تنشيط جدار النار ..

ولكن الأمر كان عسيرًا بالفعل ..

وإلى أقصى حد ..

فتلك الموجات فائقة القصر، كانت تنتشر من جهاز إلى آخر، بسرعة رهيبة مخيفة، وتسيطر على الموقف كله، وتهيمن على المكان، و ...

وفجأة، انطلق أزيز آخر، من كل الأجهزة ..

أزيز قوى، ولكنه يختلف تمامًا عن الأزيز الأول ..

وبكل الدهشة والحيرة، هتفت (سلوى):

ـ رباه ! هناك موجة أخرى .

انتفض جسد الدكتور (حجازى) بمنتهى العنف هذه المرة، وهو يهتف:

ـ موجة أخرى ؟!

وانهارت (مشيرة) تمامًا، وهى تردد:

ـ مستحيل ! مستحيل !

ولكن (نشوى) صاحت:

ـ إنها موجة مضادة .

استدار إليها (رمزى)، وأصابعها مازالت تتقافز فوق أزرار الكمبيوتر، فى سرعة عجيبة:

ـ نعم .. هناك موجة مضادة، فائقة القصر أيضًا .. ليست بنفس قوة الموجة الأولى، ولكنها تعمل فى الاتجاه العكسى.

اتسعت عينا (مشيرة)، دون أن تنبس ببنت شفة، وانعقد حاجبا (رمزى) فى شدة، فى حين غمغم الدكتور (حجازى)، فى توتر شديد:

ـ لم يمكننى استيعاب المقصود من هذا .

أجابته (سلوى) فى انفعال:

ـ يكفى أن تعلم أن تلك الموجة المضادة ، قد جعلتنا نستعيد السيطرة على الأجهزة .

كان الأمر واضحًا هذه المرة ، على شاشات الأجهزة ، التى عادت تعمل على نحو هادئ ، وإن لم تتوقَّف تلك الأرقام المصفوفة ، من التحرك فوقها ، على نحو سريع ..

ثم انطلق أزيز هادئ آخر ..

أزيز يُعلن عودة جدار النار للعمل ..

ومع انطلاق ذلك الأزيز ، اختفت الموجتان فانقتا القصر ، من على شاشات الأجهزة ..

كل الأجهزة ..

وعاد كل شىء يعمل فى هدوء وانتظام ..

فيما عدا عقول الموجودين داخل القاعة ..

فبالنسبة إليهم ، كانت تجربة رهيبة ، تعنى أن ما كان يكفى لحمايتهم سابقًا ، من خصمهم العقلى الرهيب ، لم يعد يكفى لإنقاذهم ، من ذلك الخطر الجديد ، الذى تجاوزت قوته كل الحدود ، إلى الحد الذى كاد يفتك بهم ، داخل ما تصوَّروه حصنًا إليكترونيًا منيعًا ..

لولا تلك الموجة المضادة ..

الموجة التى أنقذتهم من مصير بشع ..

والتى تطرح بدورها ألف سؤال جديد ..

على الأقل ..

* * *

على الرغم من أن (نور) رجل مخابرات ، تدرَّب طويلاً على قواعد الدفاع عن النفس ، إلا أن (أكرم) ، الجاثم على صدره ، فى تلك اللحظة ، والذى يعتصر عنقه بقبضتين قويتين ، لم يكن بالخصم الهيِّن ..

لقد كان مقاتلاً صنديدًا ، اكتسب خبرات قتالية عشوائية ، عبر حياة قاسية ، صقلتها حربه المستميتة ؛ للبقاء على قيد الحياة ، خلال الفترة الوحشية ، التى أعقبت الاحتلال(*) ، ثم أضاف إليها خبرات قتالية مدروسة ، عند التحاقه فيما بعد ، بالمخابرات العلمية المصرية(**) ..

وكان هذا يعنى أنه خصم لا قبل لـ (نور) به ..

(*) راجع قصة (رمز القوة) ... المغامرة رقم (٨١) .

(**) راجع قصة (الحرباء) ... المغامرة رقم (١٠١) .

وأنه سيواصل اعتصار عنقه ، حتى يسلبه حياته ..

ولكن (نور) كان يمتلك نقطة قوة كبيرة ..

مسدسه الليزرى ..

وربما كان هذا أمله الوحيد ..

أن يصيب (أكرم) ..

أو يقتله ..

المشكلة أن الزاوية ، التى يجثم بها (أكرم) على جسده ، مع الحالة العجيبة ، التى يمر بها ، لم يكن تمنح (نور) سوى خيار واحد ..

أن يقتل (أكرم) ..

أو يقتله (أكرم) ..

ويا له من موقف !

أن تصبح حياة أقرب صديق لك ورفيق لمغامراتك ، هى الثمن الوحيد لحياتك !

وبكل مرارة الدنيا ، تمزق قلب (نور) ، وهو يغمغم ، بصوت متحشرج ، مختنق منهار :

ـ إنك لا تمنحنى أى خيار .

كانت الدنيا قد غامت أمام عينيه ، والألم يحطم عنقه ، والمرارة تملأ نفسه ، وأنفاسه تذوى وتتلاشى ، ويده تميل بمسدسه الليزرى ، نحو صدر (أكرم) ، و ....

وفجأة انتفض جسد (أكرم) بشدة ، وهو يحدق فى وجهه ، هاتفاً :

ـ يا إلهى ! (نور) ؟!

ثم أفلت عنق (نور) ، وتراجع فى ذعر شديد ، مستطرداً :

ـ رباه ! ماذا أفعل ؟! ماذا أفعل ؟!

سعل (نور) فى شدة ، وهو يعتدل جالساً ، ويصوب مسدسه الليزرى بحركة غريزية ، نحو صديقه ، الذى بدا مذعوراً ذاهلاً ، وهو ينهض ، قائلاً :

ـ ماذا يحدث بالضبط يا (نور) .. كيف أصبحنا فى هذا الموقف ؟!

كان (نور) يشعر بآلام شديدة فى عنقه ، وهو ينهض فى بطء ، مواصلاً تصويب مسدسه إلى (أكرم) ، متسائلاً فى حذر :

ـ ألا تذكر شيئاً ؟!

حملت عينا (أكرم) لمحة من الذعر ، وهو يتلفت حوله ، قائلاً :

ـ كل ما أذكر هو أن الحرباء القديمة قد ظهرت مرة أخرى ، وحاولت مهاجمتنا ، ثم انتحلت شخصيتك ، و .....

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف مذعوراً :

ـ رباه ! إنه هو يا (نور) .. لقد سيطر على عقلى ، ودفعنى إلى مهاجمتك .. يا إلهى ! يا إلهى !

تساءل (نور) فى أعماقه ، فى قلق بالغ : تُرى أهو استمرار للخدعة نفسها ، عندما قرأ ذلك الشىء عقله ، وأدرك أنه سيقدم فعليًا على قتل (أكرم) ؛ للدفاع عن حياته ؟!

أم أن (أكرم) قد تجاوز سيطرته بالفعل ؟!

ومن الناحية المنطقية ، ووفقًا للخبرات السابقة ، كان الاحتمال الأول هو الأرجح ، ولكن مشهد (أكرم) ، مع الذعر الواضح فى عينيه ، يشيران إلى أن الاحتمال الثانى هو الصحيح ..

ولكن هذا يطرح سؤالاً آخر ..

كيف تجاوز (أكرم) تلك السيطرة العقلية الفائقة ؟!

كيف ؟!

ولماذا ؟!

قبل أن ينطلق عقله ، بحثًا عن جواب السؤالين ، هتف (أكرم) فجأة ، وهو يشير إلى مركز الأبحاث العسكرية :

ـ انظر يا (نور) .. يبدو أنهم يستقبلون زائرًا ، على أعلى درجة من الأهمية .

استدار (نور) فى سرعة ، يتطلع إلى حيث يشير (أكرم) ، وانعقد حاجباه فى شدة ، مع رؤية تلك الحوّامة الصامتة ، التى تهبط فى منتصف ساحة مركز الأبحاث العسكرية ..

ووفقًا لموقعه الأمنى ، كان من السهل عليه أن يتعرّف تلك الحوّامة الصامتة على الفور ..

فقواعد ونظم الأمن ، لم تكن تسمح باستخدام ذلك الطراز ، من الحوّامات عديمة الصوت ، إلا لعدد محدود للغاية ..

ثم إن تلك الحوّامة بالذات ، كانت تحمل شعارًا ، لا يمكن أن تخطئه العين شعار يشير إلى أنها تقل وزير الدفاع المصرى شخصيًا ..

ورؤية حوامة الوزير ، وهى تهبط فى ساحة مركز الأبحاث العسكرية ، فى ساعة متأخرة كهذه ، كان يطرح بدوره عددًا من الأسئلة ..

أسئلة بالغة الأهمية والخطورة ..

إلى أقصى حد ممكن ..

* * *

لم تكد حوّامة وزير الدفاع ، تهبط فى ساحة مركز الأبحاث العسكرية ، فى تلك الساعة المتأخرة ، حتى اتخذ صف من الجنود وقفة حازمة ، فى نفس الوقت الذى تقدّم فيه ضابط يحمل رتبة العميد ، نحو الحوّامة مباشرة ، وأدى التحية العسكرية فى قوة ، قائلاً :

ـ مرحبًا بك فى مركز الأبحاث العسكرية ، ياسيادة الوزير ، ومرحبًا بضيفك المهم .. لقد بذلنا قصارى جهدنا ، للقيام بكل ما يلزم لاستقبالكم على النحو اللائق ، خلال الدقائق العشر ، ما بين إعلامنا بالزيارة ، ووصول حوامتكم إلينا .

انعقد حاجبا القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين قال الوزير فى صرامة ، وهو يغادر الحوّامة :

ـ إنه تفتيش مفاجئ أيها العميد .

أشار العميد بيده ، قائلاً :

ـ على الرحب والسعة يا سيادة الوزير .. المركز كله فى شرف استقبالك ، ورهن إشارتك .

قالها ، ثم اصطحبهما على الفور ، إلى منطقة العمل فى مركز الأبحاث العسكرية ، وهو يتابع :

ـ ستجدان أن كل شىء هنا يسير على ما يرام ، وفقًا لبرامج الأبحاث ، الذى تم اعتماده من قبل سيادتكم ، وكل الأبحاث والتجارب تحقق تقدُّمًا ملحوظًا ، و ....

قاطعه القائد الأعلى ، فى حزم شديد :

ـ وماذا عن التجارب ، حول ذلك المسخ ؟!

بدت الدهشة على وجه العميد ، وهو يقول :

ـ المسخ ؟! أى مسخ ، وأية تجارب يا سيدى ؟!

أجابه الوزير هذه المرة ، فى صرامة قاسية :

ـ التجارب الخاصة بذلك المسخ مزدوج الرأس ، الذى فتك بالعديد من رجالنا ، ودمّر مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية .

توقف العميد ، وهو يقول ، فى مزيج من الدهشة والحيرة :

ـ عجبًا ! ألم يلحق ذلك المسخ مصرعه ، ياسيادة الوزير ؟!

تجاهل الوزير سؤاله تمامًا ، وهو يسأله بنفس الصرامة :

ـ هل تستطيع أن تؤكد ، أن أحد إلا يجرى تجاربه ، على ذلك المسخ .. أعنى على جثته ، أو أى جزء منه ؟!

أجابه العميد فى سرعة :

ـ بما لا يدع مجالاً للشك يا سيادة الوزير .. إننى أتفقد كل قاعات مركز الأبحاث طوال الوقت ، ومن المستحيل أن يتم إجراء أية أبحاث هنا ، دون أن أكون على علم تام بها .

سأله الوزير بنفس الصرامة :

ـ هل تتحمل أية نتائج ، يمكن أن تترتب على تأكيدك ؟!

شد العميد قامته ، وقال فى حزم عسكرى :

ـ إننى مستعد لتحمل المسئولية كاملة ، لو ثبت عكس هذا يا سيادة الوزير ، وأمام سيادتكم المركز كله ، يمكنكم تفقد كل شبر منه .

أجابه القائد الأعلى ، فى حزم صارم :

ـ سنفعل .

اصطحبهما العميد بالفعل ، لتفقد كل شبر فى المكان ، حتى بلغوا قاعة الأبحاث والتجارب الأساسية ، ففتحها العميد أمامهما فى هدوء واثق ، وهو يقول :

ـ ها هى ذى القاعة الرئيسية والأخيرة ، وفيها أفضل مجموعة من علمائنا ، يجرون أبحاثهم حول نوع من الدروع الجديدة ، المقاومة للانفجارات .

تطلع الوزير والقائد الأعلى إلى أسطوانة زجاجية كبيرة ، فى منتصف القاعة تمامًا ، أحاط بها فريق العلماء ، الذى بدا شديد الانهماك فى عمله ، حتى أن أحدهم لم يرفع رأسه لحظة واحدة ، ليلقى نظرة على الوزير ، أو القائد الأعلى ..

أما تلك الأسطوانة الزجاجية ، فقد كانت تحوى داخلها جسمًا معدنيًا ، أشبه ببيضة كبيرة ، تُجرى العلماء أبحاثهم عليها ..

وفى حزم ، حمل لمحة من الحيرة ، غمغم الوزير :

ـ عظيم .. كل شىء على ما يرام بالفعل .

ابتسم العميد ، قائلاً :

ـ أتمنى أن تكونا قد اطمئنتما على حسن سير العمل هنا .

غمغم القائد الأعلى ، وهو يشعر بتوتر شديد ، لم يستطع تفسير سببه :

ـ بالتأكيد .

اصطحبهما العميد مرة أخرى إلى الساحة ، حيث حوّامة الوزير ، الذى ألقى نظرة أخيرة على المكان ، وعلى صف الجنود ، الذى يقف لوداعه ، قبل أن يسأله العميد :

ـ وجهك يبدو مألوفًا أيها العميد .. ذكرنى باسمك .

ارتسمت ابتسامة على شفتى العميد ، وهو يشد قامته ، ويعقد كفيه خلف ظهره ، مجيبًا :

ـ العميد (ماهر) ياسيادة الوزير .

هزّ الوزير رأسه ، قائلاً :

ـ آه .. لقد تذكّرتك .

ارتفعت الحوّامة ، حاملة الوزير والقائد الأعلى ، والعميد يتابعها ببصره ، مع ابتسامته الهادئة الغامضة ..

وما أن ابتعدت الحوّامة ، إلى الحد الكافى ، حتى تلاشت الصورة الوهمية للعميد (ماهر) فورًا ، وتغيّر شكل الساحة كلها ، مع انهيار حاجز الوهم ، الذى صنعه ذلك العقل الوحشى الجبار ..

وفى كل أنحاء الساحة ، بدت الصورة الحقيقية ..

صورة المكان ، الغارق فى الدماء ، وجثث الجنود المتناثرة فى كل أرجاء الساحة ..

أما داخل قاعة الأبحاث التجارب الرئيسية ، فقد انهار العلماء ، وهم يرتجفون فى رعب ، بعدما رأوه من القدرة الرهيبة ، لذلك الشيء البشع ، الذى أشرفوا على إنتاجه ، ليصبح سجانهم والمسيطر عليهم تمامًا ..

ذلك الشيء ، الذى تخلى عن هيئته الوهمية ، الشبيهة بالبيضة الكبيرة اللامعة ، ليستعيد شكله الأصلى ..

شكله ، الذى بدا عجيبًا ..

مخيفًا ..

رهيبًا ..

بحق ..

* * *

٢ ـ سرى للغاية ..

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو ينهى محادثته مع القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، عبر هاتفه الخاص المؤمن ، وبدا للجميع ، فى القاعة الخاصة للفريق ، غارقًا فى صمت وتفكير عميقين ، فسأله (رمزى) فى خفوت ، وكأنما يخشى تحطيم الصمت ، الذى سيطر على المكان كله :

ـ هل أسفرت زيارة وزير الدفاع ، لمركز الأبحاث العسكرية عن شىء يا (نور) ؟!

رفع (نور) عينيه إليه ، وكأنما أدهشه وجوده ، قبل أن يعتدل ، مجيبًا فى حزم متوتر :

ـ لاشىء .. القائد الأعلى يؤكد أن كل شىء على ما يرام هناك ، وأنه قد تفقد كل قاعات الأبحاث والتجارب بنفسه ، مع وزير الدفاع ، ولم يجد أية تجارب ، حول تلك المسخ .

غمغم الدكتور (حجازى) فى دهشة :

ـ عجبًا !

أما (مشيرة) ، فقالت فى عصبية :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجابها (نور) فى سرعة :

ـ قد لا يعنى شيئًا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى غموض :

ـ وقد يعنى كل شىء .

تطلع إليه الجميع ، فى دهشة وحيرة ، وقال (رمزى) ، فى شىء من الحذر :

ـ لم نعهد هذا التناقض فى رأيك يا (نور) .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

ـ لا يوجد أى تناقض يا (رمزى) .. الأمر يمكن أن يشير بالفعل إلى المعنيين ، لو نظرنا إليه من زاوية أو أخرى .

ثم بدأ يتحرك فى المكان ، متابعًا فى تركيز :

ـ فبالنسبة إلينا ، لا توجد ذرة واحدة من الشك ، فى أن ذلك الشر قد عاد ، على نحو أو آخر .. ما واجهناه يؤكد هذا ، ورهبان (التبت) يؤيدوننا فى القول ، ولكنهم يجزمون ، فى

الوقت ذاته ، أنه ليس الشر نفسه .. هناك اختلاف ، من وجهة نظرهم ، بين خصمنا السابق الرهيب ، وبين ذلك الذى نواجهه الآن .

غمغمت (نشوى) :

ـ من نواجهه الآن أكثر قوة بكثير .

التفت إليها (نور) ، قائلاً فى حزم :

ـ المصطلح الأكثر دقة هو ما نواجهه الآن ، وليس من نواجهه الآن .

هتفت (سلوى) فى دهشة :

ـ (نور) .. أتعنى أن خصمنا ليس بشريًا ؟!

هزّ (نور) رأسه فى بطء ، وبدا شاردًا إلى حدٍ ما ، وهو يجيب :

ـ هناك عبارة استوقفتنى كثيرًا ، فى لقائى العقلى مع رهبان (التبت) .. عبارة تحدّثوا فيها عن أن قوة ذلك الشر قد تضاعفت كثيرًا ، وكلّما تحرّر من متطلبات الجسد .

بدا الاهتمام الشديد على (رمزى) والدكتور (حجازى) ، فى حين تساءلت (مشيرة) بصوت مرتجف :

ـ رباه ! إنه غير آدمى إذن يا (نور) .. أليس كذلك !!

قال (أكرم) فى صرامة :

ـ لو أن هذا صحيح ، فسأشعر بالأسف الجم فى الواقع ، إذ إن كونه بلا جسد ، يعنى أنه لن يتذوّق رصاصاتى .

التفت إليه (نور) ، وهو يقول :

ـ احذر حديثك يا صديقى ، فلو أنه يستطيع الاتصال بعقلك الآن ، لاستفزّته عبارتك كثيرًا .. لاتنس أنك الشخص الذى قتله برصاصاته .

هزّ (أكرم) كتفيه ، وقال فى حدة :

ـ الدكتور (حجازى) قال : إن رصاصاتى لم تقتله .

قال الدكتور (حجازى) فى سرعة :

ـ ولكنها كانت سبب نهايته .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، فى حين قالت (نشوى) فى حزم :

ـ اطمئن يا (أكرم) .. إنه ليس على اتصال عقلى ، أو حتى غير عقلى بك ، فى هذه اللحظة بالتحديد .

استدار إليها الجميع متسائلين ، فقالت (سلوى) ، تكمل حديث ابنتها :

ـ لقد قمنا ، (نشوى) وأنا ، بتطوير حاجز النار ، الذى يحمى قاعتنا الخاصة هنا ، وضاعفنا من قوته مرتين على الأقل ، باستخدام تقنيات بالغة التطوّر ، وبمعاونة برنامج كمبيوتر خاص جدًا ، ابتكرته (نشوى) بنفسها .

تنحنحت (نشوى) ، وقالت فى رصانة ، جعلتها أشبه ما تكون بوالدها (نور) :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكننى استخدمت التكنولوجيا نفسها أيضًا ، من خلال ميكرو كمبيوتر دقيق للغاية ، تم زرعه فى جهاز حماية خاص جدًا ، ابتكرته أمى .

مع آخر قولها ، التقطت (سلوى) صندوقًا صغيرًا ، وفتحته أمام عيون الجميع ، وهى تقول :

ـ ها هو ذا .

تطلّع الجميع فى حيرة واهتمام ، إلى مجموعة من سدادات الأذن ، تراصت داخل الصندوق الصغير ، و(سلوى) تتابع :

ـ يكفى أن يضعه أحدكم فى أذنه ، فينطلق حول عقله حاجزًا نيرانيًا آخر ، يمكن أن يحميه من محاولات السيطرة العقلية .

وأضافت (نشوى) فى حزم :

ـ من أكبر قدر منها على الأقل .

همهمت (مشيرة) فى خفوت :

ـ هل يعنى هذا أننا نستطيع مغادرة المكان ؟!

نطقتها فى خيبة أمل واضحة ، جعلت (أكرم) يتطلّع إليها فى دهشة ، قبل أن تقول (سلوى) فى حزم :

ـ ليس بعد .

وأضافت (نشوى) :

ـ لقد أخبرتك من قبل يا (مشيرة) ، أنك والدكتور (حجازى) مفتاحنا لحل اللغز ..

شعر (أكرم) بدهشة عارمة ، عندما نطقت (نشوى) عبارتها ، وأدار عينيه بحركة آلية ، ليتطلّع إلى زوجته (مشيرة) ، ولكن عينيه ارتطمتا فى طريقهما ، بوجه (نور) ..

وتضاعفت دهشته ألف مرة ..

فـ (نور) أيضًا كان يتطلّع إلى (نشوى) و(سلوى) فى حيرة ..

حيرة تعنى أنه لم يفهم معنى هذه العبارة !

لم يفهم لماذا يكون الدكتور (حجازى) و(مشيرة) هما مفتاح الحل !!

وضاعف هذا من فضول (أكرم) ، ومن رغبته فى معرفة التفاصيل ، فعاد يستدير بسرعة إلى (نشوى) ، التى تابعت :

ـ وبخاصة بعد أن أثبت التفتيش المفاجئ ، الذى قام به وزير الدفاع ، والقائد الأعلى ، أنه لاتوجد أية تجارب حول ذلك المسخ أو بقاياه ، فى أى مكان فى مركز الأبحاث العسكرية .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، مع قولها الأخير هذا ، فى حين تساءل الدكتور (محمد حجازى) فى توتر :

ـ وفيم يمكن أن نفيدك يا (نشوى) ؟!

أشارت (نشوى) بسبابتها ، وهى تقول فى حزم :

ـ العسكريون ينفون تمامًا صلتهم بما حدث يا دكتور (حجازى) ، وأنت تؤكد أنهم من اختطف ذلك المسخ من المشرحة ، ومن الناحية الرسمية ، سيكون قولك موازيًا لقولهم ، ومن الأرجح أن المسئولين سيميلون إلى تصديق العسكريين .

تمتم الدكتور (حجازى) فى أسى :

ـ هذا ما يحدث دائمًا .

أضافت (نشوى) ، بمنتهى الحزم :

ـ إلا إذا كان لدينا دليل حاسم ، يثبت العكس .

تطلّع (أكرم) فى اهتمام إلى (نور) ، الذى بدا منتبهًا بشدة إلى ما تقوله ابنته ، على الرغم من أنه لم يحاول التدخل مطلقًا ، وهى تقول للدكتور (حجازى) ، متابعة :

ـ لقد رأيت ذلك الضابط ، الذى اقتحم المشرحة ، ودفع جنوده إلى تهديدك بأسلحتهم ، وكذلك الضابط الأكبر رتبة ، والذى عنفه على ما فعل ، ثم جعلك تقسم على ألا تروى القصة لأحد .

تألقت عينا (نور) ، على نحو يوحى بأنه قد استوعب ما تعنيه ابنته ، فى حين سألها الدكتور (حجازى) ، فى حذر شديد :

ـ لست أظننى أنسى وجهيهما أبدًا .. ولكن بم يمكن أن يفيد هذا ؟!

التفتت تشير بيدها إلى الكمبيوتر ، قائلة :

- لدى هناك برنامج بسيط ، يمكنه تشكيل ملامحهما ، لو أنك تجيد وصفهما ..

اعتدل الدكتور (حجازى) ، وبدا وقد استعاد ثقته بنفسه كاملة ، وهو يقول فى حزم :

- أجيد وصفهما ؟! إنها مهنتى يا بنيتى .. أنسيت أننى كبير الأطباء الشرعيين فى (مصر) ، وأن جزءًا من عملى هو إعادة تكوين الملامح ، التى شوّهتها الإصابات أو الحروق ؟!

ضغطت (نشوى) أزرار جهاز الكمبيوتر ، وهى تقول :

- عظيم .. دعنا نبدأ إذن .

جذب الدكتور (حجازى) مقعدًا ، وجلس جوارها أمام الكمبيوتر ، وراح يصف ملامح الرجلين بمنتهى الدقة ، وهى تستخدم برنامجها لرسمهما ، فى حين اتجه (أكرم) نحو (نور) ، وسأله هامسًا :

- لقد أدهشتك عبقرية ابنتك .. أليس كذلك ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يهمس بدوره :

- إنها تتميّز بشخصية قيادية قوية .

سأله (أكرم) فى اهتمام :

- وهل تعتقد أن خطتها ستؤتى ثمارها ؟!

صمت (نور) لبعض لحظات ، قبل أن يجيب فى شىء من الغموض .

- سترى .

انعقد حاجبا (أكرم) فى دهشة ، ثم سأله فى اهتمام :

- (نور) .. إننى أعرفك جيدًا يا صديقى .. قل لى بالله عليك : ما الذى يقلقك إلى هذا الحد ؟!

صمت (نور) بعض الوقت ، قبل أن ينتحى به جانبًا ، ويقول فى حزم :

- اسمعنى جيدًا يا (أكرم) .. كلانا يعلم أنه ، لو كان خصمنا الحالى ، هو امتداد لخصمنا السابق الرهيب ، فأنت ستصبح الهدف الأول لانتقامه ، باعتبارك الشخص الذى أنهى وجوده فى الحياة ، وعلى الرغم من هذا ، فهو لم يهاجم عقلك بالوسيلة نفسها ، التى هاجم بها عقول الآخرين ، ولم يحاول حتى قتلك مباشرة ، كما فعل مع راهب (التبت) ، وإنما دفعك إلى حالة من الوهم ، جعلتك تحاول قتلى بيديك .

غمغم (أكرم) فى مرارة :

- لم أكن لأسامح نفسى قط ، لو أننى نجحت فى هذا يا (نور) .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .

انعقد حاجبا (أكرم) ، فى حيرة متسائلة ، فتابع (نور) فى حزم :

ـ إنه لا يسعى لقتلك ، وإنما لتدميرك .

ردد (أكرم) ، فى لهجة حملت لمحة من الذعر :

ـ تدميرى ؟!

أجابه (نور) بنفس الحزم :

ـ نعم يا صديقى .. تدميرك .. ذلك الشىء يعبث بك ، كما يعبث القط بالفأر ، قبل أن يلتهمه بلا رحمة .. إنه يهاجم كل من أحببت .. كل شخص تربطه بك مشاعر ما ..

لهذا هاجم (مشيرة) ، ثم دفعك لمحاولة قتلى .. كان يسعى لدفعك إلى هذا ، حتى تستعيد وعيك ، فتجد أنك قد قتلت صديقك وزميلك بيديك ، فتنهار ، وتتحطم ، وينتهى بك الأمر إلى التدمير والضياع .. وعندئذ .. عندئذ فقط يظفر بك .

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، والفكرة البشعة تلتهم عقله فى عنف ، قبل أن يقول :

ـ ولكن .. ولكنه لم يكمل عمله يا (نور) .. كان يمكنه أن يواصل السيطرة على عقلى لدقيقة واحدة إضافية ، وكنت ستصبح بعدها جثة هامدة ، ويتحقق هدفه ..

فرد (نور) :

ـ بالضبط .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستطرد فى حزم :

ـ السؤال الآن هو : لماذا لم يكمل مهمته ؟!

بدت الحيرة على وجه (أكرم) ، قبل أن يقول فى حذر خافت :

ـ ربما لأن هذا ليس هدفه الفعلى يا (نور) .

قال (نور) فى سرعة :

ـ أو لأن شيئاً آخر احتاج إلى كل تركيزه وقدراته .. شىء انتزع انتباهه منا إليه .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف :

ـ شىء مثل وصول حوامة وزير الدفاع .

انتفض جسد (أكرم) هذه المرة ، وتراجع خطوة ، وهو يحدق فى عينى (نور) مباشرة ، وهم بقول شىء ما ، و ...

«لقد انتهينا ..»

انتزعت (نشوى) الجميع بعبارتها ، فالتفت الكل إليها ، فيما عدا (أكرم) ، الذى ظلّ جامدًا فى مكانه لحظة ، قبل أن يتبع الكل ، مغمغمًا :

ـ ماذا يدور فى عقلك يا (نور) ؟!

كانت (نشوى) تشير ، فى تلك اللحظة ، إلى الوجهين المرسومين على شاشة الكمبيوتر ، واللذين أضيفت إليهما تأثيرات خاصة ، جعلتهما يبدوان كوجهين حقيقيين ، وهى تقول :

ـ لقد توصلنا إليهما .

وهزّ الدكتور (حجازى) رأسه ، قائلاً فى توتر ، وهو يستعيد ذكرى تلك اللحظات البغيضة :

ـ لولا أننى صنعت الوجهين بنفسى ، لقلت إنها صورة حقيقية لهما .

قال (نور) ، وهو يطالع الشاشة فى اهتمام :

ـ لايمكننى تمييز أيهما .. من الواضح أنهما ليسا من القيادات العليا ، التى يمكننى تعرّفها .

قالت (نشوى) فى حزم :

ـ لاداعى لأن ترهق ذهنك ، فى محاولة هذا .

وبدأت أصابعها تجرى على لوحة الأزرار ، مضيفة :

ـ سنبحث عنهما ، فى سجلات القوات المسلّحة نفسها .

هتفت (مشيرة) ، فى دهشة مستنكرة :

ـ ولكن هذا مستحيل ! سجلات القوات المسلحة سرية ومحظورة تمامًا ، والدخول إليها يستلزم شفرة شديدة التعقيد ، كما أن أية محاولة لاقتحامها تعدّ انتهاكًا لأسرار عليا ، وعقوبتها لن تقل عن الـ ....

قاطعتها (سلوى) مبتسمة :

ـ رويدك يا (مشيرة) .. نحن رجال أمن ، ونعلم كل هذا جيدًا .

صاحت (مشيرة) مستنكرة :

ـ كيف تجازفون إذن ؟!

قال (نور) فى هدوء عجيب ، أدهش (أكرم) كثيرًا :

ـ لاتوجد مجازفة هنا يا (مشيرة) .. نحن الفريق الأول ، فى المخابرات العلمية المصرية ، ووضعنا الأمنى يمنحنا بعض الصلاحيات ، التى لاتُمنح للمدنيين .

حدقت (مشيرة) مبهورة ، وهى تقول :

ـ أتعنى أنه من حقكم دخول شبكة المعلومات العسكرية ؟!

أجابها فى تحفُّظ :

ـ إلى حد ما .

لم يرق لها الجواب غير الحاسم ، إلا أن عينيها راحتا تراقبان أصابع (نشوى) فى اهتمام ، وهى تتحرك على أزرار الكمبيوتر ، لإدخال شفرة شبكة المعلومات العسكرية ، و ....

« الآن فقط ، أدركت لماذا أحبطتك فكرة الخروج من هنا .. »

نطقتها (أكرم) فى حزم ، وهو يدفع جسده ، بينها وبين شاشة الكمبيوتر ، ولوحة مفاتيحه ، فقالت فى عصبية ، وهى تحاول إزاحته عن طريقها :

ـ ليس الآن يا (أكرم) .

بدا لها جسده صلبًا ثابتًا ، وهو يقول فى صرامة :

ـ بل الآن يا (مشيرة) .

أدركت أنه قد فهم ما تحاول فعله ، فزفرت فى عصبية ، قائلة :

ـ لست أفعل أكثر مما تفعلون .. إننى أحاول القيام بعملى فحسب .

قال بمنتهى الصرامة :

ـ ليس هنا .

أجابته فى حدة :

ـ لست هنا بإرادتى .. أنتم تحتجزوننى بحجة حمايتى من ذلك الخطر ، الذى لم تحددوا هويته بعد .

قال (نور) هذه المرة ، فى صرامة قاسية :

ـ نحن نفعل هذا من أجلك يا (مشيرة) ، ومن أجل زوجك وزميلنا (أكرم) ، ولكن ينبغى أن تعلمى جيدًا أن كل مايدور هنا سرى للغاية ، ونشره بأية وسيلة من الوسائل دون الحصول على إذن مسبق ، يعرِّضك لعقوبة السجن ، والإيقاف التام عن ممارسة العمل الإعلامى ، بأية صورة من الصور .

قالت فى عصبية شديدة ، وهى تشيح بوجهها :

ـ إنه قانون سخيف ، من بقايا عهد ديكتاتورى بائد ، لايؤمن بحرية المواطن ، فى معرفة كل ما يحدث فى وطنه الأم .

قال بنفس الصرامة :

ـ حماية الأمن القومى ليست ديكتاتورية يا (مشيرة) ، ولاتوجد وسيلة واحدة ، فى الكون كله ، تتيح لنا نشر حقائقنا الأمنية لمواطنينا ، دون أن تعلم بها الخصوم فى الوقت ذاته .

كان منطقه سليمًا تمامًا ، إلا أن عنادها وكبرياءها جعلاها تغمغم فى عصبية :

ـ يا للسخافة !

وقبل أن يتدخّل (أكرم) ؛ لتأييد قول (نور) ، أطلق كمبيوتر (نشوى) صفيرًا صغيرًا ، ثم قالت هى فى حزم :

ـ ها هى ذى المعلومات .

أدار الكل عيونهم إلى شاشة الكمبيوتر ، و(نشوى) تتابع :

ـ الضابط الذى اقتحم المشرحة ، واختطفت جسد ذلك المسخ الرهيب ، هو المقدّم (سالم عبد المنعم) ، من القوات الخاصة لمكافحة الإرهاب ، وهذه كل بياناته .

سألها (نور) فى اهتمام :

ـ وماذا عن الأكبر رتبة ؟!

أشارت بيدها إلى جزء من الشاشة ، دون أن تجيب ، فانعقد

حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقرأ تلك العبارة ، التى راحت تتألق ، تحت صورة الضابط الآخر ..

عبارة تقول :

ـ معلومات بالغة السرية ، وغير متاحة .

وعلى الرغم من أن أحدهم لم ينبس ببنت شفة ، وهم يحدقون جميعًا فى تلك العبارة ، إلا أنهم أدركوا كلهم بلا استثناء ، أن ما يرونه أمامهم يعنى أن الأمر خطير بالفعل ..

خطير إلى حد يتجاوز قدراتهم ..

إلى أقصى درجة ..

* * *

ارتجف صوت قائد الفريق العلمى ، فى مركز الأبحاث العسكرية ، وهو يهمس فى توتر مذعور :

ـ لم يعد بإمكانى احتمال كل هذا .. إننى سأنهار حتمًا .. هذا الشىء البغيض يعاملنا كالعبيد ، حتى نبقى عليه ، ونساعده على تنمية قدراته .

همست طبيبة الفريق فى رعب :

ـ اصمت يا رجل بالله عليك ، وإلا أصبح مصيرنا كمصير

أولئك الجنود المساكين ، الذين تملأ جثثهم ممرات المركز ، وتفوح منهم رائحة موت رهيبة .

غمغم عضو آخر فى الفريق :

ـ من يدرى ؟! ربما كان مصيرهم أفضل من مصيرنا .

تطلّعت الطبيبة فى رعب ، إلى ذلك الشىء ، الذى يتوسّط قاعة التجارب والأبحاث الرئيسية ، والذى بدا لها رهيبًا بحق ، وتمتمت :

ـ اصمتوا بالله عليكم .. اصمتوا .

لاذ الجميع بالصمت ، وراحوا يواصلون عملهم ، الذى أجبرهم عليه ذلك الشىء الرهيب ، قبل أن يتمتم مسئول الاتصالات فى عصبية :

ـ ولكن كيف ؟! كيف زار القائد الأعلى للمخابرات العلمية المكان ، مع وزير الدفاع ، ولم يريا تلك الجثث ، المنتشرة فى كل مكان ، والدماء التى تسيل أنهارًا ؟! هل أصابهما العمى لم ماذا ؟!

اختلس قائد الفريق نظرة إلى ذلك الشىء الرهيب ، قبل أن يهمس :

ـ نعم .. أصابهما نوع من العمى ، الذى فرضته سيطرة ذلك الوحش على عقليهما ، فلم يريا إلا ما أرادهما أن يرياه .

ارتجف صوت الطبيبة ، وهى تهمس فى رعب :

ـ لقد تزايدت قدراته على نحو مخيف .

تمتم مسئول الاتصالات :

ـ بالتأكيد .. موجاته الآن تنطلق فى شكل خط مستقيم مباشرة ، ولا تتدرّج شدتها ، كما كان يحدث فى السابق ، وهذا يعنى أنه قد بلغ حدًا رهيبًا .

هزّ أحد أفراد الفريق رأسه فى مرارة ، وهو يقول :

ـ من كان يتخيّل هذا ؟!

زفر قائد الفريق ، وقال :

ـ نعم .. من كان يتخيّل أن نصنع هذا الشىء ، ثم يستعبدنا هو فيما بعد .

غمغم مسئول الاتصالات :

ـ « من أعان ظالمًا ، سلّطه الله عليه »(*) .

تمتم قائد الفريق :

ـ صدقت .

(*) حديث شريف .

ران عليهم الصمت ، لبضع دقائق أخرى ، وهم يمارسون عملهم ، قبل أن يختلس أحدهم نظرة إلى ذلك الشىء الرهيب ، ثم يهمس فى خفوت شديد :

ـ ماذا لو أفسدنا الأمر ؟!

اتسعت عينا الطبيبة فى ارتياع ، وهى تهتف :

ـ اصمت بالله عليك .. اصمت .

ولكنه تابع فى إصرار ، ولده الضغط الشديد ، الذى كاد يحطم أعصابه :

ـ صحيح أنه يمتلك قدرات رهيبة ، ولكن كل هذا مرهون بما نقوم به ، ولو أننا أوقفنا عمل الأجهزة لعدة دقائق فحسب ، فمن الممكن أن ...

قاطعته الطبيبة ، فى رعب شديد :

ـ اصمت يا رجل .. اصمت .

واصل الرجل فى عناد :

ـ دعونا نقوم بمحاولة واحدة ، و .....

قبل أن يتم عبارته ، انطلقت زمجرة قوية ، فى عقولهم جميعًا ..

زمجرة انخلعت لها قلوبهم ، واتسعت معها عيونهم عن آخرها ، وهم يلتفتون فى سرعة وارتياع ورعب ، نحو ذلك الشىء الرهيب ..

وبكل رعب الدنيا ، رأوا عملاقًا وهميًا ، ينهض من ذلك الموقع ، الذى يحتلّه الشىء ..

عملاق بلا ملامح ..

عملاق رهيب ، اتجه نحو عضو الفريق المتمرّد مباشرة ، فتراجع الرجل بمنتهى الرعب ، وهو يصرخ :

ـ لا .. لا .. الرحمة .. الرحمة ..

ولكن ذلك العملاق قبض على عنقه فجأة ، ورفعه منه على الأرض ، حتى مستوى وجهه ، وقال بصوت وحشى رنّان :

ـ واصلوا عملكم فى صمت .

قالها ، ثم أفلت عنق الرجل ، الذى سقط أرضًا ، وراح يسعل بمنتهى العنف ، والطبيبة ترتجف كطير مبتل فى طقس شديد البرودة ، وهى تقول بكل رعب الدنيا :

ـ قلت لك : اصمت .. قلت لك : اصمت .

وزمجر العملاق الوهمي مرة أخرى ، فى أعماق عقلها ، فكاد قلبها يهوى تحت قدميها ، وهى تحدّق فيه ، وهو يعود مرة أخرى ، فى بطء شديد ، إلى ذلك الشىء ، و ...

وقبل أن يبلغه ، توقف فجأة ..

ثم استدار بحركة عنيفة ..

حركة ، جعلتهم جميعًا يطلقون صرخة رعب هائلة ..

ومع صرختهم ، اندفع العملاق الوهمي ناحيتهم ..

وصرخ قائد الفريق ، وهو يسقط على ركبتيه :

ـ لا .. لا .. إننا لم نفعل شيئًا ..

ولكن ذلك العملاق الوهمي تجاوزهم جميعًا ، واندفع نحو جدار القاعة ، ثم تلاشى فيه على نحو مفزع ..

ومع تلاشيه ، انطلقت كل الأجهزة فى القاعة ، تعمل على نحو عنيف محموم ..

وعلى كل الشاشات ، ارتسم ذلك المنحنى فائق القوة والقصر ، والذى تحول إلى خط مستقيم متصل ..

وفى رعب بلا حدود ، هتفت الطبيبة :

ـ ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

حدّق قائد الفريق فى إحدى الشاشات ، وهو يقول بصوت مرتجف منهار :

ـ لقد انطلق ليقوم بعمل ما .

وأضاف آخر ، وهو يحدّق فى شاشة أخرى .

ـ عمل من أعماله الوحشية .

وفى عقولهم جميعًا ، انطلق سؤال واحد ، فى وقت واحد .

تُرى ماذا سيفعل الوحش هذه المرة ؟!

وبقى سؤالهم بلا جواب ، وإن كانوا يثقون جميعًا ، فى أن ذلك الوحش قد انطلق ليقوم بعمل رهيب وحشى .. للغاية .

* * *

٤ ـ الــدم ..

لأكثر من نصف ساعة كاملة ، جلس القائد الأعلى للمخابرات العلمية خلف مكتبه صامتاً ، يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وينطلق بعقله ، مستعيداً كل لحظة ، من جولته مع وزير الدفاع ، داخل مركز الأبحاث العسكرية ..

كان كل شيء يوحى بأن الأمور تسير على ما يرام ، وعلى الرغم من هذا ، كان هناك توتر عجيب ، يسرى فى كيانه ، كلما حاول استعادة تلك الذكريات القريبة ..

توتر حاول أن يتخلص منه مرة ..

ومرة ..

ومرات ..

وفى كل مرة كان الأمر يبدو كما لو أن عقله يحوى بقعة مظلمة عجيبة ، تمنعه من رؤية الأمور فى وضوح لسبب ما ..

سبب مجهول ..

وكان هذا يضاعف من توتره ..

ألف مرة ..

ولأن عقله قد عجز عن استيعاب الأمر ، أو فهم سر ذلك التوتر ، فقد التقط سماعة هاتفه الخاص ، والمتصل بالرئيس وكبار قادة الدولة مباشرة ، وضغط رقماً واحداً ، فلم تمضى ثوان معدودات ، حتى سمع صوت وزير الدفاع ، يقول فى توتر :

ـ أراهن أنك تتصل بى ، بسبب زيارتنا لمركز الأبحاث العسكرية .

اعتدل القائد الأعلى ، وهو يسأله :

ـ قل لى يا سيادة الوزير .. هل شعرت بالفعل أن كل الأمور هناك على ما يرام ؟!

ـ لقد رأيت كل شىء بنفسك .

أجابه القائد الأعلى ، وذلك التوتر المبهم يعاوده فى شدة :

ـ نعم .. رأيت الأمور تسير على نسق طبيعى ، وعلى الرغم من هذا ، أشعر فى جزء ما داخلى ، أن هناك أمراً ما .

قال الوزير ، وقد تسللت نبرة عصبية إلى صوته :

ـ نحن عسكريون يا رجل ، ولا شأن لنا بمشاعرنا وعواطفنا ، إننا نتعامل مع الحقائق وحدها .

غمغم القائد الأعلى :

ـ هذا صحيح .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ من الناحية النظرية .

أجابه الوزير ، فى صرامة عصبية :

ـ والعملية أيضًا .. لقد قمنا بزيارة مفاجئة للمكان ، بناءً على أوامر سيادة الرئيس ، ولقد شاهدت بنفسك أن الأمور كلها منتظمة ، ولم يكن لديهم الوقت لإخفاء أى شىء .

قال القائد الأعلى فى تردُّد :

ـ ربما كانوا على استعداد مسبق .

أجابه الوزير فى حدة :

ـ أنت تعلم أن هذا مستحيل !

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وهو يشعر بتوتر لامثيل له ..

لقد كان الوزير على حق تمامًا ..

من الناحية المنطقية على الأقل ..

لقد كانت الزيارة مفاجئة بحق ، وانطلقت من مقر الرياسة إلى مركز الأبحاث العسكرية مباشرة ..

لم تكن هناك وسيلة واحدة إذن ، يمكنهم بوساطتها تزييف الأمر وتمويهه ..

ولم تكن لديهم الفرصة أيضًا ..

لماذا إذن يشعر بهذا التوتر ؟

ولماذا يبدو له أن وزير الدفاع أيضًا يشاركه هذا الشعور ؟

لماذا ؟!

لماذا ؟!

« أمازلت معى ؟! »

ألقى الوزير سؤاله هذا ، فى عصبية واضحة ، عبر الهاتف الخاص ، فاعتدل القائد مرة أخرى ، وهو يقول ، فى حزم متوتر :

ـ أنت تشعر بالتوتر نفسه .. أليس كذلك ؟!

صمت الوزير لحظة ، ثم قال فى حزم :

ـ قلت لك إنه لا شأن لنا بمشاعرنا الشخصية .

شجعت هذه العبارة القائد الأعلى، على أن يقول فى إصرار :

ـ ولكنك تشعر به .. أليس كذلك ؟!

عاد الوزير إلى صمته بضع لحظات، قبل أن يقول فى توتر :

ـ وماذا فى هذا ؟!

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ لا يعنى لك هذا شيئاً ؟! أن نذهب معًا إلى مكان ما، ونخوض تجربة واحدة، وتبدو لنا كل الأمور على خير ما يرام، وعلى الرغم من هذا، يشعر كلانا بالتوتر ذاته ؟!

قال الوزير، وتوتره يتصاعد :

ـ هل تنصح بزيارة مفاجئة أخرى ؟!

هزّ القائد الأعلى رأسه، قائلاً :

ـ لست أعتقد أن هذا يمكن أن يفيد .. الزيارة الثانية لن تسفر عن أكثر مما أسفرت عنه الزيارة الأولى.

غمغم الوزير، وقد بدا توتره واضحاً جلياً هذه المرة :

ـ ماذا تقترح إذن ؟! أعنى للتخلُّص من هذا التوتر السخيف.

تراجع القائد الأعلى مرة أخرى فى مقعده، وقال :

ـ أعتقد أن أفضل ما نفعله، هو أن تراجع قائمة التجارب والأبحاث العسكرية، على الكمبيوتر؛ فقد يرشدنا هذا إلى الجهة، التى تجرى التجارب التى نبحث عنها.

قال الوزير فى حدة :

ـ ليس لدينا دليل واحد، على إجراء مثل هذه التجارب.

أجابه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ ونحن ليس لدينا لمحة من الشك، فى أن أحدهم يجريها، فى مكان ما.

صمت الوزير بضع لحظات، قبل أن يقول فى حسم، لم يفارقه التوتر :

ـ فليكن .. سأطلب مراجعة هذه القائمة فوراً.

تمتم القائد الأعلى :

ـ عظيم.

وأنهى الاتصال، وهو يضع إحدى ساقيه فوق الأخرى، ويعود إلى تفكيره العميق، و .....

وفجأة، لمحها ..

بقعة صغيرة حمراء ، على الحافة السفلى لكعب حذائه الأبيض .. وفى اهتمام شديد تطلّع القائد الأعلى إلى تلك البقعة ، ثم لمسها بسبّابته فى حذر ، قبل أن يغمغم :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

رفع سبّابته إلى أنفه لحظة ، ثم تابع فى توتر :

ـ أيمكن أن ..

ودون أن يتم تساؤله ، ضغط زر جهاز الاتصال الخاص المحدود ، وقال :

ـ دكتور (جلال) .. أريدك فى مكتبى فوراً .

أجابه رئيس مركز الأبحاث العلمية على الفور :

ـ أنا فى طريقى إليك ، أيها القائد الأعلى .

غمغم القائد الأعلى ، قبل أن ينهى الاتصال :

ـ أنا فى انتظارك .

ثم عاد يتطلّع مرة أخرى إلى تلك البقعة ، فى كعب حذائه ..

بقعة الدم ..

* * *

«كنتم تقولون إن باستطاعتكم دخول شبكة المعلومات العسكرية .. »

نطقت (مشيرة) تساؤلها فى لهفة وفضول ، وهى تتطلّع إلى شاشة الكمبيوتر فى اهتمام ، فغمغم (أكرم) فى ضيق :

ـ مازلت أصر على أن مكانك ليس هنا يا (مشيرة) .

رمقته بنظرة غاضبة ، قبل أن تعاود التطلّع إلى الشاشة ، والاستماع إلى (نور) ، وهو يسأل ابنته فى اهتمام :

ـ هل تم تحديد الجهة ، التى وضعت حظراً على المعلومات الخاصة بهذا الضابط ؟!

هزّت (نشوى) رأسها ، قائلة :

ـ كلاّ بالطبع .. كل ما تعلنه شبكة المعلومات ، هو أن بيانات هذا الشخص محظورة ، وسرية للغاية فحسب .

هتفت (مشيرة) :

ـ ألم أخبركم ؟!

رمقتها (نشوى) بنظرة لامبالية ، قبل أن تقول :

ـ ولكن هذا لايعنى أن الوصول إليها مستحيل !

اتسعت عينا (مشيرة) فى ذهول ، وهى تهتف :

ـ حقاً ؟!

ابتسمت (سلوى) فى زهو ، وهى تقول :

ـ يبدو أنك تجهلين مدى براعة ابنتنا يا (مشيرة) .

قالت (مشيرة) فى شىء من البرود :

ـ هكذا أطالعها بنفسى .

أما (نور) ، فسأل ابنته فى اهتمام :

ـ لقد شاركت فى إعداد برنامج تأمين شبكة المعلومات العسكرية .. أليس كذلك ؟!

أجابته (نشوى) ، وأصابعها تتحرك فى سرعة ، على أزرار الكمبيوتر :

ـ بلى .. ولقد تركت به باباً خلفياً كالمعتاد :

هتفت (مشيرة) بمنتهى الدهشة :

ـ باب خلفى ؟!

أجابها (رمزى) هذه المرة ، قائلاً :

ـ نعم يا (مشيرة) .. المقصود بالباب الخلفى ، هو وسيلة سرية ، خاصة بمصممّ أى برنامج ، تتيح له الدخول إليه ، فى أية لحظة ، حتى ولو تم تأمينه بكود شفرى شديد التعقيد .. باختصار ، إنه كود يخص المصممّ ، يمكنه تجاوز أى كود آخر ، ويطلق عليه اسم (شفرة المصممّ) .

تساءلت (مشيرة) فى لهفة :

ـ أتعنى أن هذا موجود فى كل البرامج ؟!

أجابتها (نشوى) :

ـ إلى حد ما(*) .

تطلعت (مشيرة) فى لهفة إلى شاشة الكمبيوتر ، وقد اشتعل فضولها الصحفى لمعرفة هوية ذلك الضابط المجهول ، ولكن (أكرم) أمسك كتفيها فى حزم ، بناءً على إشارة من (نور) ، وقال فى صرامة :

ـ عزيزتى (مشيرة) .. كم يروق لى أن أتحدث معك بعض الوقت ، فنحن زوجان ، ولكننا لا نلتقى إلا لماماً .

(*) حقيقة .

انعقد حاجباها ، وهى تقول فى عصبية :

ـ إنك تحاول منعى من معرفة الأمر .. أليس كذلك ؟!

دفعها (أكرم) أمامه فى رفق ، وهو يقول :

ـ ما زال ذكاؤك يبهرنى يا عزيزتى .

بدت غاضبة ساخطة ، وهى تسير مع زوجها (أكرم) ، إلى الركن البعيد من القاعة ، فى حين أنهت (نشوى) عملها بضغطة زر أخيرة ، وهى تقول فى حماس :

ـ الآن يمكننا التجول ، عبر شبكة المعلومات العسكرية كلها ، مهما بلغت سرية بعض مواضعها .

قال (رمزى) فى قلق :

ـ ولكن كل برامج الأمن المتطورة ، يمكنها تسجيل أية محاولة لدخولها ، حتى للمسموح لهم بهذا .

هزت (نشوى) رأسها ، قائلة :

ـ ليس عندما تدخلها من الباب الخلفى .

لم ينتبه (نور) كثيرًا لحديثهما ، وهو يتابع حركة المعلومات على الشاشة ، التى عادت ترسم صورة تلك الضابط الكبير ، و ....

وانعقد حاجباه بشدة ..

بمنتهى الشدة ..

فأسفل الصورة ، ظهرت عبارة مستفزة للغاية ..

عبارة تقول :

ـ تم محو جميع البيانات .

وفى دهشة بالغة ، هتفت (نشوى) :

ـ مستحيل ! هذا لايمكن أن يحدث .. كل مواطن (مصرى) لابد أن تكون لديه معلومات ما .. من المستحيل أن يتم محو المعلومات ، وإلا لأصبح صاحبها بلا هوية .

غمغم الدكتور (حجازى) فى عصبية :

ـ رجل يحمل رتبة عسكرية بلا هوية ؟! أعتقد أن هذا لايمكن أن يحدث ، إلا ...

قاطعه (نور) فى حزم ، قائلاً :

ـ إلا فى حالات خاصة للغاية .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وسألته (سلوى) فى حيرة :

ـ مثل ماذا ؟!

لم يجب (نور) تساؤلها، الذى تلهّف الكل لسماع إجابته، وإنما انعقد حاجباه بشدة، وغرق فى التفكير بضع لحظات، قبل أن يقول فى صرامة غامضة:

- ما ذكره الدكتور (حجازى)، يشير إلى أن المقدّم (سالم عبد المنعم)، والذى اقتحم المشرحة، واختطف جسد ذلك المسخ الرهيب، كان يعرف الضابط الأكبر رتبة جيدًا؛ لذا فنحن نستطيع الوصول إلى الضابط الأكبر رتبة، والذى نجهل كل شىء عنه، عن طريق الضابط الأصغر رتبة.

وصمت لحظة، ثم أضاف بمنتهى الحزم:

- لو تحركنا فى الوقت المناسب.

سأله (رمزى)، فى دهشة قلقة:

- ماذا تعنى يا (نور)؟!

ولم يجب (نور) سؤاله..

بل ولم ينطق بحرف واحد..

فقط أشار إلى (أكرم)، والتقط واحدة من سدّادات الأذن، التى تحوى برنامج الحماية العقلية المتطوّرة، وألقاها إلى

(رمزى)، قبل أن يلتقط أخرى، ويدسّها فى أذنه، ثم يندفع نحو باب القاعة الخاصة..

وبدون كلمة واحدة أيضًا، اندفع (أكرم) خلفه، وهو يدسّ السدّادة الخاصة به فى أذنه، ويتحسّس مسدسه فى حماس..

وداخل القاعة، ساد صمت رهيب مهيب..

صمت غامض، يحمل ألف سؤال..

وسؤال..

* * *

ابتسمت زوجة المقدّم (سالم)، وهى تستقبل زوجها، قائلة فى شىء من الدلال:

- متأخر كعادتك.

غمغم (سالم)، وهو ينزع سترته العسكرية، ويلقيها على أقرب مقعد إليه:

- تعلمين أن عملنا لا يرحم.

التقطت سترته، وطوتها فى عناية، وهى تسأله فى حنان:

- هل تشعر بالجوع؟!

أجابها ، وهو يلقى جسده المجهد على الأريكة ، وينزع حذائيه ، فى إجهاد واضح :

- إننى أتضور جوعًا .

هتفت فى حماس :

- دقائق ونتناول الطعام معًا .

تمتم (سالم) ، وهو يسبل جفنيه :

- عظيم .

كان يشعر بإرهاق شديد ، بعد يوم شاق ، من التدريبات العنيفة التى شارك فيها رجاله ، فى وحدة القوات الخاصة ، لذا فلم يكد يسبل جفنيه ، حتى تراخى جسده كله ، وتسلل النوم من عينيه إلى جسده كله ، حتى بلغ عقله ، فغاب فى سبات عميق ..

وحتى فى أعمق أعماق نومه ، لم تفارقه طبيعة عمله لحظة واحدة ..

لقد راح يحلم بأنه يقف مع رجال فرقته ، فى ساحة تدريب القوات الخاصة لمكافحة الإرهاب ، وأنه يلقى إليهم تعليماته الصارمة المعتادة ، والكل يستمع إليه ، و ...

وفجأة ، أظلمت الدنيا كلها ..

غابت الشمس ، واكتست السماء بالغيوم الداكنة ، وبدا الطقس باردًا أكثر مما ينبغى ..

ثم ظهر ذلك العملاق ..

عملاق هائل مخيف ، بدأ حركته من الطرف البعيد لساحة التدريب ، وراح يتجه نحوه مباشرة ، فى خطوات واسعة عملاقة ..

وخفق قلب (سالم) فى عنف ..

خفق فى حلمه ..

وفى واقعه ..

وبكل توتره ، صاح فى رجاله ؛ ليستعدوا بأسلحتهم ، لمواجهة ذلك العملاق الرهيب ..

أو بمعنى أدق ، أراد أن يصيح بهم ..

ولكن صيحته احتبست فى حلقه ..

وتجمدت ..

وواصل العملاق اقترابه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

والعجيب أن أحداً من أفراد الفرقة لم يشعر باقترابه أبداً ..

جميعهم ظلوا واقفين فى ثبات عسكرى صارم ، ينتظرون أوامر قائدهم ، والعملاق يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وعندما أصبح خلفهم تماماً ، كاد (سالم) يطلق صرخة قوية ..

صرخة ارتياع ..

فالعملاق الضخم لم تكن له ملامح ..

أية ملامح ..

وقفزت يد المقدم (سالم) فى سرعة إلى مسدسه ..

ثم انتفض جسده فى عنف ..

فلم يكن يحمل مسدساً ..

أو أى سلاح آخر ..

والعملاق يعبر صفوف جنود فرقته ..

ويتجاوزهم .. ويتقدم نحوه ..

ويتقدم ..

ويتقدم ..

ويتقدم ..

و ...

« هل تعتقد أننا سنجده فى منزله يا (نور) ؟! »

ألقى (أكرم) السؤال ، وهما يقفان أمام باب منزل المقدم (سالم) ، فأجابه (نور) فى حزم ، وهو يضغط زر جرس المنزل .

ـ جنود فرقته أخبرونا أنه قد عاد إلى منزله ، فمن الطبيعى إذن أن نجده هنا .

مرت لحظة من الصمت والانتظار ، قبل أن ينبعث صوت زوجة (سالم) ، عبر جهاز الاتصال المنزلى ، وهى تتساءل :

ـ من الطارق ؟؟!

أدار (نور) وجهه نحو آلة التصوير ، فى جهاز الاتصال ؛ ليسمح لزوجة (سالم) برؤيته فى وضوح ، وهو يجيب :

- المقدّم (نـور) ، مـن المخـابرات العلميـة يـا سيّدتى .. أريد التحدّث قليلاً مع سيادة المقـدّم (سـالم) ، لو أنه فى المنزل .

هتفت الزوجة فى حماس :

- المقدّم (نـور) ، بطل التحرير(*) .. أنـا أعرفك جيّدًا بالطبع .. إنه لشرف لنا ، أن تأتى إلى منزلنا هنا .

وبضغطة زر ، فتحت باب المنزل ، وظهرت خلفه بابتسامة ترحاب ، وهى تقول :

- سيسعد (سالم) أن يستقبلك بالتأكيد .

غمغم (نور) ، وهو يصافحها فى احترام :

- أتعشّم هذا يا سيّدتى .. أتعشّم هذا .

أفسحت الطريق أمام (نور) و(أكرم) ، وهى تقول :

- لقد عاد من العمل مرهقًا اليـوم ، وهو يستريح قليلاً ، ولكننى لست أعتقد أنه سيرفض استقبال بطل مثلك ، فى أى وقت .

همس (أكرم) مبتسمًا :

- للشهرة فوائدها يا (نور) .. أليس كذلك ؟!

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

أشار إليه (نور) أن يصمت ، وهو يقول للزوجة فى احترام :

- هل يمكنك إبلاغه أننا هنا يا سيّدتى ؟!

أجابته الزوجة ، وهى تندفع نحو حجرة المعيشة :

- بالطبع يا سيادة المقدّم .. بالطبع .

التقط (أكرم) نفسًا عميقًا ، وهو يسأل (نور) فى اهتمام :

- هل تعتقد أنه سيخبرنا بهوية ذلك الضابط ، صاحب الرتبة الكبيرة يا (نور) ؟!

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يجيب فى توتر :

- سيسعدنى لو أنه استطاع أن يخبرنا أى شىء يا (أكرم) .

هتف (أكرم) فى دهشة :

- ما الذى تشير إليه بالضبط ؟!

لم يكد يتم تساؤله ، حتى ارتفعت صرخـة الزوجـة ، من حجرة المعيشة ، وهى تصيح :

- (سالم) .. ماذا أصابك ؟! ماذا أصابك يا (سالم) ؟!

تبـادل (نـور) و(أكـرم) نظرة سريعة ، ثم اندفعا معًا نحو حجرة المعيشة ، فى نهاية الرواق ..

وهناك ، توقفا لحظة ، فى توتر بالغ ..

فعلى الأريكة ؟! المواجهة للباب تمامًا ، كان المقدم (سالم) يجلس ، وقد اتسعت عيناه ، واكتسى وجهه بزرقة مخيفة ، وزوجته تهزه فى قوة ، صارخة بكل رعبها :

– أجبنى يا (سالم) .. أجبنى بالله عليك .

صاح (نور) فى (أكرم) ، وهو يندفع نحو رجل العمليات الخاصة :

– اتصل بالدكتور (حجازى) فورًا .

أسرع (أكرم) يجرى الاتصال ، فى حين أزاح (نور) الزوجة ، التى راحت تصرخ فى رعب :

– ماذا أصابه ؟! ماذا أصابه ؟!

غمغم (نور) فى توتر :

– إننى أحاول معرفة هذا يا سيدتى .

رددت الزوجة فى رعب هائل ، ووجهها يمتقع على نحو مخيف :

– لقد عاد مرهقًا ، ولكن ليس إلى هذا الحد .. ليس إلى هذا الحد .

صاح بها (نور) ، وهو يفحص جثة (سالم) :

– اهدأى يا سيدتى .. أرجوك .

كان يدرك جيدًا أن ما يطالبها به مستحيل ؛ ما دام هو نفسه يعجز عن السيطرة على أعصابه ، إلا أنه كان يرغب فى تهدئة الموقف بالفعل ، حتى يمكنه معرفة ما حدث .

وفى توتر شديد ، أدار رأس (سالم) ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ..

أما الزوجة نفسها ، فقد انتفض جسدها بمنتهى العنف ، وهى تتراجع كالمصعوقة ، وتطلق صرخة ..

صرخة رعب هائلة ..

فهناك ، حول عنق المقدم (سالم) ، كانت هناك آثار واضحة ..

آثار أصابع عملاقة ..

قوية ..

قاتلة ..

ووحشية ..

* * *

٥ ـ العمــــلاق ..

« إنها بقعة دم بالفعل ، أيها القائد الأعلى .. »

انعقد حاجب القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى شدة ، عندما نطق الدكتور (جلال) العبارة ، وأشار بيده ، وهو يسأله فى توتر :

ـ هل قمتم بفحص البصمة الجينية بها ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا سيدى ، وراجعنا نتائج الفحص عبر شبكة المعلومات الجينية للكمبيوتر ، ووجدنا أنها تخص جندى الحراسات الخاصة (وائل رءوف) ، وهو شاب فى الثانية والعشرين من عمره ، يقيم فى ....

قاطعه القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ أين يعمل بالضبط ؟!

راجع الدكتور (جلال) البيانات فى سرعة ، على شاشة جهاز الكمبيوتر الصغير فى يده ، قبل أن يجيب :

ـ آخر موقع لعمله ، هو مركز الأبحاث العسكرية الرئيسى .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهو يكرّر فى توتر أكثر :

ـ مركز الأبحاث العسكرية ؟! عجبًا !

غرق فى التفكير بضع لحظات ، احترم الدكتور (جلال) صمته خلالها ، فلم ينبس ببنت شفة ، حتى اعتدل القائد الأعلى ، وقال فى حزم :

ـ اتصل فورًا بوزارة الدفاع ، وأخبرهم أننا نرغب فى فحص جندى الحراسات الخاصة (وائل رءوف) ؛ لأسباب تتعلق بالأمن القومى .

قال الدكتور (جلال) فى دهشة :

ـ أمن قومى ؟! إنها مجرد بقعة دم يا سيدى ، وربما أصيب الشاب المسكين خلال عمله ، و ....

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

ـ السؤال هو : كيف وصلت دماؤه إلى حذائى ، على الرغم من أننى لم أر بقعة دم واحدة ، خلال تفقدى لمركز الأبحاث العسكرية ؟!

بدت الحيرة على وجه الدكتور (جلال) ، وهو يغمغم :

ـ إنه تساؤل منطقى بالفعل .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ والأمر الوحيد الذى يمكن أن يحسمه ، هو أن نفحص ذلك الجندى بأنفسنا .

وعاد يتراجع فى مقعده ، متمتمًا :

ـ لو أنه على قيد الحياة .

تفجّرت ملامح الدكتور (جلال) بالدهشة ، وهو يتساءل :

ـ لو أنه ماذا ؟! ماذا تعنى بالضبط يا سيّدى ؟!

بدا القائد الأعلى شاردًا ، فى تفكير عميق ، وهو يجيب :

ـ لاتشغل نفسك بالأمر يا دكتور (جلال) .. إنها مجرّد فكرة ، قد تتنافى مع المنطق السليم تمامًا ، و ....

بتر عبارته بغتة ، وبدا وكأن استغراقه فى التفكير قد بلغ مرحلة شديدة التركيز ، شفت عنها ملامحه المتوترة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ أريد المقدّم (نور) .. فورًا .

لم يكد يلقى عبارتـه الحازمـة ، حتى انبعث صوت قائد أمن المبنى ، وهو يقول ، عبر جهاز الاتصال الداخلى :

ـ سيادة المقدّم (نور) يطلب مقابلتك ، يا سيادة القائد الأعلى .

ارتفع حاجبا القـائد الأعلـى فـى دهشـة ، فـى حين هتف الدكتور (جلال) مبهورًا :

ـ رباه ! أى توافق زمنى هذا ؟!

اعتدل القائد الأعلى بحركـة سريعـة ، وضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول فى حزم :

ـ إننى فى انتظاره .

سأله الدكتور (جلال) ، عندما أنهى الاتصال :

ـ هل تعتقد أن (نور) يمكنه حسم الأمر يا سيّدى ؟!

صمت القائد الأعلى لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

ـ (نور) أفضل رجل مخابرات لدينا .

التقط الدكتور (جلال) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ بالتأكيد أيها القائد الأعلى .. بالتأكيد .

لم تمـض دقائق خمس ، علـى قولـه هذا ، حتـى كـان (نور) يدلف حجرة القائد الأعلـى ، وهو يـؤدى التحيـة العسكرية ، قائلاً :

ـ المقدّم (نور) ، فى خدمتك يا سيّدى .

أشار إليه القائد الأعلى بالاسترخاء ، وهو يقول :

ـ لقد طلبت مقابلتى ، فى نفس اللحظة التى أردت فيها رؤيتك أيها المقدّم .

قال (نور) فى احترام :

ـ أنا رهن إشارتك يا سيّدى .

اعتدل القائد الأعلى فى مجلسه ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ دعنا نبدأ بك أوّلاً يا (نور) .. ماذا لديك ؟!

شد (نور) قامته ، فى حركة غريزية تلقائية ، وهو يقول :

ـ الكثير يا سيّدى .

وفى دقة وحسم ، روى (نور) للقائد الأعلى ، ولمدير مركز الأبحاث العلمية ، كل ما حدث ..

أخبرهما بتسلّله و(أكرم) ، لمراقبة مركز الأبحاث العسكرية ..

وبحث (نشوى) عن الضابطين ، مخترقة شبكة المعلومات العسكرية ، فائقة السرية ..

ثم روى لهما ما حدث هناك ..

فى منزل المقدّم (سالم) ..

واستمع إليه الاثنان بكل الاهتمام ، وتوترهما يتصاعد تدريجيًا ، حتى هتف الدكتور (جلال) ، عندما انتهى (نور) من روايته :

ـ رباه ! هذا يثبت أن ذلك الشر قد عاد بالفعل ، وإنه يزيح عن طريقه كل من أساء إليه ، بأى حال من الأحوال ، فى حياته السابقة .

بدا (نور) حازمًا ، وهو يقول :

ـ معذرة يا دكتور (جلال) ، ولكن لا توجد حياة سابقة ، وحياة حالية .. المرء يحيا مرة واحدة فحسب ، ولو أننا نواجه خطرًا ما ، يحمل ذاكرة ذلك المسخ السابق ، بوسيلة نجهلها ، فهذا لن يعنى أبدًا أن خصمنا قد عاد إلى الحياة .. الله سبحانه وحده يحيى ويميت .

غمغم القائد الأعلى :

ـ ونعم بالله أيها المقدّم ، ولكن الدكتور (جلال) يقصد أن ما حدث للمقدّم (سالم) ، فى عقر داره ، هو دليل جديد حاسم ، على أن ما نواجهه ليس وهمًا .

غمغم (نور) فى توتر :

ـ إنه ليس كذلك بالتأكيد يا سيّدى ..

دفع للقائد الأعلى تقرير الأبحاث العلمية أمامه ، وهو يقول :

ـ وكذلك نقطة الدم هذه .

تساءل (نور) ، فى حذر غريزى ، وهو يلقى نظرة على التقرير :

ـ أية نقطة يا سيدى ؟!

شرح له القائد الأعلى الأمر فى كلمات حاسمة موجزة ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ لو أردت رأيى يا (نور) ، فهناك شىء لا نفهمه يحدث هناك .. داخل مركز الأبحاث العسكرية شىء يتعلق بذلك المسخ ، الذى اختطفت جهة مجهولة جسده ، و .....

قاطعه (نور) فى توتر ، دون أن ينتبه إلى ما فى هذا من تجاوز للقواعد والنّظم العسكرية :

ـ ليست مجهولة تمامًا يا سيدى .

بدت دهشة متسائلة ، على وجه الدكتور (جلال) ، فى حين تساءل القائد الأعلى فى اهتمام ، دون أن يبالى بتجاوزه :

ـ ماذا تقصد بالضبط أيها المقدّم ؟!

شد (نور) قامته مرة أخرى ، وهو يجيب :

ـ أقصد أن القيادات الأمنية العليا كلها تعلم ، ما الذى يعنيه

محو بيانات ضابط عظيم الرتبة ، من شبكة المعلومات العسكرية السرية .. فئة واحدة فقط يمكن أن يحدث معها هذا .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ (نور) .. هل تدرك خطورة ما تشير إليه ؟!

أما القائد الأعلى ، فسأله فى توتر شديد :

ـ ما تقوله بالغ الخطورة أيها المقدّم ؛ فهناك فئة أمنية واحدة ، فى (مصر) كلها ، لا يمكنك الحصول على بياناتها ، مهما بلغت صلاحياتك .

قال (نور) فى حزم :

ـ أعلم هذا جيّدًا يا سيدى ، وأظن أن ذلك الضابط ، الذى نبحث عنه ، واحد من هذه الفئة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف بكل الحزم :

ـ مخابرات رياسة الجمهورية .

ومرة أخرى ، اتسعت عينا الدكتور (جلال) ..

بمنتهى الذعر ..

* * *

لم تبد (مشيرة محفوظ) ، فى حياتها كلها ، أشبه بصورة للذعر المجسّم ، كما بدت فى تلك اللحظة ، داخل القاعة الخاصة المؤمنة للفريق ، وهى تحدّق فى وجه (رمزى) ، قبل أن تهتف بصوت مرتجف ، من فرط الانفعال :

- مستحيل !

ثم تراجعت بحركة حادة ، وكأنما تنجو بنفسها من خطر داهم ، ولوّحت بذراعها ، هاتفة :

- لن أكرّر تلك التجربة مرة أخرى .. مستحيل ! مستحيل وألف مستحيل !

حاول (رمزى) تهدئتها ، وهو يقول :

- الأمر هذه المرة يختلف تماماً يا (مشيرة) ، ولقد اتخذنا كل الاحتياطات اللازمة لحمايتك ، ولتأمين سلامتك تماماً ، بحيث لا يمكن أن يجد لك الوغد سبيلاً واحداً إلى عقلك .

صرخت فى عنف :

- مستحيل ! مستحيل ! مستحيل !

صاحت بها (سلوى) فى صرامة :

- تماسكى يا (مشيرة) .. إننا نفعل هذا من أجلك أيضاً .

وإلا فستقضين عمرك كله مرتجفة ، خشية أن ينقض ذلك الوحش على عقلك ، ويفعل به ما فعله فى المرة السابقة .. أو ربما أسوأ مما فعله .

حدّقت فيها (مشيرة) فى رعب هائل ، وقد امتقع وجهها بشدة ، فالتفت (رمزى) إلى (سلوى) ، وقال فى صرامة شديدة :

- هل يمكننى أن أمارس عملى ، دون أن يدس أحدكم أنفه فيه ؟!

تضرّج وجه (سلوى) بحمرة الخجل ، وهى تدرك ما ارتكبته من خطأ ، وانكمشت على مقعدها ، متمتمة :

- معذرة .

أما (رمزى) ، فقد أمسك كتفى (مشيرة) فى رفق ، وهو يقول بصوت عميق ، محاولاً تهدئتها :

- اسمعينى جيّداً يا (مشيرة) .. سأشرح لك الأمر كله ، وأخبرك لماذا أريد أن أخضعك للتنويم المغناطيسى هذه المرة .

سالت الدموع من عينيها ، وهى ترتجف فى شدة ، قائلة :

- لن يمكننى خوض هذه التجربة الرهيبة يا (رمزى) .. صدقنى .. لن يمكننى هذا أبداً .

قال فى رفق :

ـ أعلم هذا يا (مشيرة) ، ففى المرة السابقة ، كان ذلك الوحش قد زرع بقعة احتياطية فى رأسك .. تماماً مثل ذلك الباب الخلفى ، الذى تتركه (تشوى) فى كل برنامج تقوم بتصميمه ، حتى يمكنها الدخول إليه وقتما تشاء .. ولكن نظريتى ، كخبير نفسى محترف ، تقول : إن تلك البقعة قد زالت بمصرع زارعها .

ارتجفت أكثر ، وهى تقول :

ـ وماذا لو أنه لم يلق مصرعه كما تتصوّر ؟!

قال فى هدوء رقيق :

ـ مستحيل يا (مشيرة) .. الكل أكّد مصرعه ، حتى رهبان (التبت) ، فى اتصالهم العقلى الفائق مع (نور) ، والدكتور (حجازى) نفسه أكّد هذا ، عندما قال : إنه حتى لو بقى على قيد الحياة ، بعد ما فعله به (أكرم) ، فلن يمكنه استعادة قدراته الفائقة أبداً ..

قالت ، وهى تحاول السيطرة على ذعرها وتوترها :

ـ ما الذى نواجهه الآن إذن ؟!

أجابها ، وهو يبتسم ابتسامة هادئة ، فى محاولة لإزالة رعبها :

ـ هذا ما نحاول معرفته منك يا (مشيرة) .

ثم أشار إلى رأسها ، مضيفاً :

ـ من أعماق رأسك .

انتفض جسدها كله فى عنف مرة أخرى ، وعادت تحدّق فى وجهه بذعر :

ـ رأسى أنا ؟! ولماذا أنا ؟! ألم تقل إن ما زرعه فى رأسى قد انتهى بمصرعه ؟!

قال محافظاً على هدوئه وتماسكه :

ـ ما زرعه فى رأسك انتهى ، ولكن ما اكتسبته أنت من رأسه ما زال هناك ، فى بقعة مجهولة من تلافيف مخك ، وكل ما سيفعله التنويم المغناطيسى ، هو أن يضىء تلك البقعة المجهولة ، ويسمح لنا بانتزاع كل ما تحويه من معلومات وبيانات ، حول ذلك الخصم السابق .

سألته مرتعدة :

ـ وماذا ستفعل بمعلومات وبيانات ، عن خصم لقى مصرعه بالفعل .. كما تقولون ؟!

تنهّد فى عمق ، وترك كتفيها ، وهو يعتدل ، قائلاً :

ـ لدى نظرية فى هذا الشأن .

رددت ، وقد امتزج خوفها بفضول عجيب :

ـ نظرية ؟!

أومأ برأسه إيجاباً ، وقال :

ـ نعم .. نظرية يا (مشيرة) .. نظرية تقول : إنه ما دام الشىء الجديد المجهول ، الذى نواجهه الآن ، يحمل ذاكرة خصمنا البشع القديم ، فمن المحتمل جداً أن يحمل صفاته وسماته النفسية أيضاً ، ولو صحت نظريتى هذه ، ستساعدنا معرفة تلك السمات ، عن طريق انتزاعها مما اختزنه عقلك منه ، خلال فترة تواصلكما العقلية الطويلة ، على تحديد طبيعة ما نواجهه الآن ، ونواياه ، ودوافعه لفعل ما يفعل .

صمتت بعض الوقت ، وراحت ارتجافتها تهدأ تدريجياً ، وهى تقول :

ـ وهل تعتقد أن هذا سيساعد على التخلُّص منه ؟!

أومأ برأسه إيجاباً ، وقال :

ـ إلى حد كبير .

طال صمتها هذه المرة ، وبدا من الواضح أنها تفكّر فى عمق ، حتى إن (سلوى) قد مالت على أذن ابنتها ، قائلة :

ـ أراهنك أنها تدرس مدى فائدة هذا لعملها الصحفى .

قالت (نشوى) ، فى هدوء ورصانة :

ـ هذا لا يسىء إليها ، فمن دواعى الفخر أن يخلص المرء فى عمله .

اعتدلت (سلوى) ، متمتمة :

ـ أنت على حق .

فى نفس اللحظة ، التى تمتمت فيها بالعبارة ، كانت (مشيرة) تشدّ قامتها ، وقد استعادت تماسكها وحزمها ، وهى تقول :

ـ فليكن .

كاد (رمزى) يطلق صيحة انتصار ، ولكنه كتم كل مشاعره فى أعماقه ، وهو يسألها فى هدوء ، بذل جهداً خرافياً لافتعاله :

ـ هل توافقين على الخضوع للتنويم المغنطيسى إذن ؟!

أجابته فى حزم مدهش ، يتناقض تماماً مع ذعرها السابق :

ـ بالتأكيد .

ثم استدركت ، فى شىء من الصرامة :

ـ ما دمتم تؤكدون أن هذا آمن .

أجابتها (سلوى) هذه المرة ، قائلة :

ـ أنت داخل قاعة مؤمنة بجدار نيران مضاعف ، وستضعين فى أذنك واحدة من السدادات ، التى تحوى برنامج التصدّى للموجات العقلية فائقة القصر ، وهذا يعنى أنك ستكونين طوال الوقت ، تحت حماية مزدوجة ، يستحيل اختراقها .

غمغمت (مشيرة) :

ـ أتعشّم هذا .

أطلق الدكتور (حجازى) تنهيدة كبيرة ، وهو يقول :

ـ وأنا أيضًا .

استدار إليه (رمزى) بنظرة عتاب ، ثم عاد ببصره إلى (مشيرة) ، قائلا :

ـ على بركة الله .

قادها فى رفق إلى مقعد وثير ، وجلس أمامها فى هدوء ، وتطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول فى صوت عميق ، بدا وكأنه يأتى من بئر سحيقة ، فى أعمق أعماق الأرض :

ـ انظرى إلىّ يا (مشيرة) ، واتركى جسدك يسترخى فى هدوء ..

تطلّعت إليه (مشيرة) مباشرة ، وجسدها يرتجف ، مع استعادتها لتجربتها السابقة ، فى الخضوع للتنويم المغناطيسى ، والتى أطلقت وحشًا مجهولاً ، من أعمق أعماقها(*) ..

وفى البداية ، بدأت داخلها مقاومة غريزية للأمر ..

ثم بدأت عينا (رمزى) تتسعان ..

وتتسعان ..

وتتسعان ..

ومع اتساعهما ، راحت مقاومتها تتلاشى ..

وتتلاشى ..

وتتلاشى ..

وأخيرًا ، استرخى جسدها كله ، وسرى فيه خدر ناعم رفيق ، امتزج بصوت (رمزى) ، وهو يقول فى عمق :

ـ والآن اتركى العنان لعقلك ، ودعيه ينطلق بلاحدود ، ولنغص معًا فى أعمق أعماقه .

(*) راجع قصة (القسم الرهيب) .. المغامرة رقم (١٤٥) .

بدا لها وكأن كيانها كله يغوص فى عينى (رمزى) ، وأن عقلها ينطلق من عقاله بالفعل ..

وينطلق ..

وينطلق ..

ومن كل مكان حولها ، سمعت صوت (رمزى) يقول بنفس العمق :

ـ ستعود ذاكرتك الآن إلى لحظة بعينها .. اللحظة التى امتزج خلالها عقلك بعقله .. لقد استوعب عقله عقلك ، واستوعب عقلك عقله .. سنغوص معًا إذن فى عقله هو .. فى ذكرياته .. ومشكلاته ، وتعقيداته .. سننتزع كل ما تركه فى تلافيف مخك .

راحت الأحداث والذكريات تمتزج فى عقلها ، ثم لم تلبث أن انفصلت عن بعضها فى وضوح ..

ولسبب مجهول ، تصاعدت فى أعماقها موجة من الكراهية ..

كراهية لكل الناس ..

وكل البشر ..

ودون أن تدرى ، وجدت نفسها تقول :

ـ كلكم لا تستحقون الحياة .

انتفض جسد الدكتور (حجازى) ، مع ذلك الصوت الرهيب ، الذى خرج من بين شفتى (مشيرة) ..

كان صوتًا خشنًا ..

قاسيًا ..

وحشيًا ..

واتسعت عينا (سلوى) فى ارتياع ، فى حين أطلقت (نشوى) شهقة ذعر ، فرفع (رمزى) يده ، يدعوهم جميعًا للصمت ، قبل أن يسأل (مشيرة) ، بنفس الصوت الهادئ العميق :

ـ ولماذا ؟!

تطلعت إليه (مشيرة) ، بنظرة مقت مخيفة ، وكأنما تقمصتها روح شريرة ، وهى تقول :

ـ ستدفعون جميعكم ثمن ما فعلتموه بى .

سألها (رمزى) ، وهو يدرك أنه يتحدث فعليًا إلى ما انتزعه عقلها ، من شخصية ذلك المسخ الرهيب :

ـ ألهذا تسعى لإخضاعنا ، والسيطرة علينا ؟!

ارتسمت ابتسامة ساخرة وحشية ، على شفتى (مشيرة) ، وهى تقول :

ـ إخضاعكم والسيطرة عليكم ؟!

كان صوتها هذه المرة وحشياً شرساً ، حتى إن الدكتور (حجازى) قد شعر بقشعريرة باردة كالثلج ، تسرى فى أوصاله ، وهو يتمتم :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

لم يكد يطلق تمتمته ، حتى انطلق أزيز قوى فى المكان ، فانتفض جسد (سلوى) و(نشوى) ، والأخيرة تهتف :

ـ رباه هناك محاولة لاختراق حاجز النيران .

التفتتا مع الدكتور (حجازى) إلى شاشات الأجهزة ، التى ارتسمت عليها منحنيات فائقة القصر والقوة ، تتحرك بسرعة مخيفة ، وهتفت (نشوى) :

ـ يا إلهى ! هذه الموجات أقوى من سابقتها .

ردت (سلوى) فى ارتياع :

ـ أقوى بكثير .

أما (رمزى) ، فقد بذل جهداً خرافياً للسيطرة على أعصابه ، حتى لا يفقد سيطرته على عقل (مشيرة) ، فى هذه المرحلة

الحرجة ، خاصة وهى تميل نحوه ، وتتطلع إلى عينيه مباشرة فى تحد ، مكملة عبارتها السابقة ، فى شراسة ووحشية أكثر :

ـ إننى لا أسعى لإخضاعكم ، والسيطرة عليكم أيها الأحمق .

كانت (مشيرة) تنطق هذه العبارة ، بذلك الصوت المخيف ، وتلك الابتسامة المتحدية الساخرة ، على الرغم من أن كل ذرة فى عقلها الباطن كانت ترتجف ، بمنتهى الرعب والفزع ، مع ذلك العملاق الوهمى ، الذى تكون فى خيالها ، وراح يحتل كيانها كله ..

وصاحت (سلوى) ، فى تلك اللحظة :

ـ الأجهزة كلها أصيبت بالجنون ، كما حدث فى المرة السابقة !!

وهتفت (سلوى) مرتاعة :

ـ جدار النار المضاعف يشارف على الانهيار .

واتسعت عينا الدكتور (حجازى) ، وهو يتراجع ، مغمغماً فى رعب :

ـ رباه ! قوة ذلك الشىء تتضاعف فى كل مرة .. تتضاعف على نحو مخيف .

أما (مشيرة) ، فمع كل ما يلتهب فى أعماقها ، اكتسبت نظراتها بريقًا وحشيًا عجيبًا ، وقسا صوتها إلى حد مخيف ، وبدت لهجتها رهيبة إلى أقصى درجة ، وهى تقول ، متطلعة إلى عينى (رمزى) مباشرة ، بتلك النظرة الساخرة ، المتحدية ، الشرسة :

- إننى أسعى إلى إفنائكم .. إفنائكم جميعًا ..

وبلا استثناء .

انطلقت ، مع آخر حروف كلماتها ، فرقعة مكتومة فى القاعة ، تشير إلى انهيار حاجز النيران المزدوج الذى يحمى أفراد الفريق داخل القاعة المؤمنة ..

وفى اللحظة نفسها ، انطلقت ضحكة من حلق (مشيرة) ..

بل من أعمق أعماق عقلها ..

من ذلك العملاق عديم الملامح ، المسيطر على كيانها كله ..

ضحكة ارتجفت لها قلوب الجميع ..

ضحكة رهيبة ..

وحشية ..

مميتة ..

ضحكة تعنى أن العملاق قد أزاح كينونتها الأصلية من أعماقها ، واحتل عقلها كله ..

بل واحتل القاعة أيضًا ، بكل ما فيها ..

ومن فيها .

* * *

٦ ـ كل العقــــول ..

هدوء عجيب ، ذلك الذى خيّم على تلك المنطقة ، من جبال (التبت) ..

هدوء بدا متناسقًا تمامًا ، مع الطبيعة القاسية ، التى حفرت سماتها ، على كل شبر من المنطقة ..

على الجبال ..

وقممها المكسوّة بالجليد ..

والصمت الرهيب ..

وذلك المعبد البوذى القديم ..

المعبد الذى بدا أشبه بلوحة نمطية جامدة ، تحيط بها إطار من الجبال العالية ..

جبال ترتفع إلى ما يفوق عشرين ضعف ارتفاع المعبد نفسه ..

ولو أنك راقبت ذلك المعبد ، دون أن تبعد بصرك عنه ، لثلاثة أيام متصلة ، لما رصدت به لمحة واحدة توحى بالحياة ..

حتى مدخلته القديمة كستها الثلوج ، على نحو يوحى بأنها لم تستخدم منذ فترة طويلة ..

طويلة للغاية ..

والعجيب أنه ، وعلى الرغم من كل هذا ، كانت هناك حياة بالفعل ، داخل ذلك المعبد القديم ..

بل أكثر من حياة ..

ففى ساحة المعبد ، كانت هناك مجموعة من الرهبان ، يبدون متشابهين على نحو عجيب ، برءوسهم الصلعاء ، وأجسادهم النحيلة ، ووجوههم الشاحبة ، وملابسهم البرتقالية الخشنة ، التى تكشف أكثر مما تستر ، على الرغم من برودة الطقس الرهيبة من حولهم .

وكان من الواضح أنهم لا يشعرون حتى بتلك البرودة ..

أو بأى شىء مما يدور حولهم .

ففى جلستهم القرفصائية المميّزة ، التى اتخذوا فيها دائرة كاملة الاستدارة ، على نحو عجيب ، حول مركز الساحة بالضبط ، كانوا أشبه بتماثيل من الرخام ، مغلقة الأعين ، جامدة الملامح ، بشكل يجعلهم أقرب إلى الجثث المجمدة ، منهم إلى الأحياء ..

ومع نبضات قلبهم المنخفضة ، التى لا تتجاوز ربع ما ينبض به أى شخص عادى ، وأجسادهم التى لا تبدو منها حركة واحدة ، مهما طال الوقت ، كان من الممكن أن يتصورّهم المرء من الموتى ..

إلا أن قلوبهم كانت تعمل بطاقة مدهشة ..

طاقة تتجاوز قدرات ألف عقل ..

على الأقل ..

ومع جلوسهم مجتمعين ، فى دائرة متكاملة ، كانت طاقة عقولهم تتضاعف ثلاث مرات ..

تتضاعف لتنطلق بعيدًا ..

بعيدًا جدًا ..

ففى جلساتهم هذه ، كانوا يرصدون ما يحدث ، على بعد آلاف الكيلومترات منهم ..

ويتابعون ..

ويشاركون أيضًا ..

ولولا طبيعتهم النفسية المدرّبة ، لقلنا إنهم كانوا يشعرون بقلق بالغ رهيب ..

قلق قادر على التهام أى عقل طبيعى ..

أو غير طبيعى ..

فما ترصده عقولهم كان يشير إلى أن قوة خصمهم الرهيب تتضاعف فى كل يوم يمضى ..

وتتضاعف ..

وتتضاعف ..

ومع الشر الرهيب ، الذى يملأ كيانه ، كان تضاعف قوته خطير ..

خطير إلى أقصى حد ..

ولكنهم كانوا يثقون كثيرًا فى قدرات (نور) وفريقه ..

يثقون فيهم إلى أقصى حد ..

وفى جلستهم هذه ، فى تلك اللحظة ، كانت عقولهم ترصد تطوّرًا بالغ الخطورة ..

تطوّر قد يؤدى إلى تدمير الفريق كله ..

بلا رحمة ..

لذا ، كان من الضرورى أن يتدخلّوا ..

وبأقصى قدرتهم ..

ودون أن ينطق أحدهم بحرف واحد ، تحركت أيديهم من حجورهم ، ثم امتدت على جانبى أجسادهم ..

وتلاقت الأيدى ؛ لتُغلق الدائرة ..

وتشابكت الأصابع ..

وانطلقت العقول ..

انطلقت بطاقة هائلة .

طاقة جبَّارة ، اخترقت الزمن والمسافة ، لتتفجَّر هناك ..

فى قلب تلك القاعة الخاصة ..

قاعة فريق (نور) ..

وفى تلك اللحظة ، كان الفريق يواجه موقفًا رهيبًا ..

فمع انهيار حاجز النيران المضاعف ، جلجلت ضحكة (مشيرة) ، الغارقة فى أعماق حالة التنويم المغنطيسى ، حاملة ذلك الصوت الرهيب ، بكل شراسة ووحشية ..

وصرخت (سلوى) :

ـ رباه !! أيقظها يا (رمزى) .. أيقظها بالله عليك ، وأخرجها من هذا الجحيم .

كان (رمزى) يبذل جهدًا خرافيًا ؛ للسيطرة على أعصابه ، وهو يواجه (مشيرة) ، قائلا بصوته العميق :

ـ سنعود الآن يا (مشيرة) .. سنغادر منطقة ذكريات ذلك المسخ .. سنعود معًا إلى ذاكرتك أنت ذاكرة (مشيرة محفوظ) ، رئيسة جريدة (أنباء الفيديو) .. سنعود معًا ، و ...

قاطعته (مشيرة) بضحكة وحشية ساخرة ، وبذلك الصوت المخيف ، وهى تقول :

ـ بل عد وحدك أيها الأحمق .

وقبل حتى أن تتم قولها ، نهض من جسدها ذلك العملاق الرهيب ..

وكان مشهدًا لا يمكن أن تنساه عين ، حتى آخر العمر ..

لو بقى هناك عمر ..

ففى عقول الجميع ، بدا وكأنه ظلٌ هائلٌ ، قد برز من جسد (مشيرة) ، التى تواصل ضحكتها الرهيبة ..

ثم نهض واقفًا ..

وسقطت قلوبهم من أجسادهم ..

وبمنتهى العنف ..

فالعملاق الرهيب احتل ركن القاعة بأكمله ، حتى قارب سقفها المرتفع ، وبدا بشع الخلقة إلى حد رهيب ، بوجهه الخالى من الملامح ، إلا من ابتسامة وحشية مخيفة ..

وعندما استقر واقفًا هناك ، انهارت (مشيرة) ..

انهار جسدها تمامًا ، وسقطت من مقعدها الوثير إلى الأرض فاقدة الوعى والشعور ..

وهنا .. هنا فقط انتقلت تلك الضحكة الوحشية الرهيبة إلى صاحبها الأصلى ..

إلى العملاق ..

فى هذه المرة لم تسمع آذانهم تلك الضحكة ..

بل سمعتها عقولهم ..

وارتجفت لها أجسادهم ..

وانخلعت معها عقولهم ..

وفى صوت رهيب ، رددت أمخاخهم عبارة العملاق :

ـ أنتم لا تستحقون الحياة .

ثم بدأ العملاق يتجه نحوهم ..

وامتدت يداه الرهيبتان نحو أعناقهم ..

و ....

وفجأة ، أطلقت الأجهزة أزيزًا قويًا آخر ..

أزيز استقبال الموجة الثانية ..

موجة فائقة القصر أيضًا ..

ولكن فى الاتجاه المضاد ..

وتوقَّف العملاق فجأة ..

وانطلقت من حلقه زمجرة غاضبة ..

زمجرة سمعتها عقولهم أيضًا ، لتمتزج بذلك الصوت الآخر ، الذى رصدته آذانهم ..

صوت أجهزة المكان ، وهى تستعيد قدرتها على العمل ، وتتوقَّف عن جنونها الإلكترونى الرهيب ..

وزمجرة العملاق فى عقولهم مرة أخرى ، وصورته تتلاشى ..

وتتلاشى ..

وفى الوقت ذاته ، كانت الموجة المضادة تتصاعد ..

وتتصاعد ..

وتتصاعد ..

ومع زمجرة غاضبة أخيرة ، تلاشى العملاق الرهيب من المكان دفعة واحدة ، على نحو مباغت ..

وانطلق أزيز جديد ، يعلن عودة الآلات كلها للعمل ..

وعودة حاجز النيران المضاعف أيضًا ..

ولكن وجوه جميع من بالقاعة ، لم تعد إلى ما كانت عليه ..

لقد ظلت شاحبة ، ممتقعة ، جاحظة العيون ، جافة الحلوق ، مفغورة الأفواه ..

فالتجربة كانت رهيبة على العقول ..

كل العقول ..

ولقد طال الصمت بعدها لدقيقة كاملة ..

دقيقة ظلوا خلالها جميعًا يحدقون فى وجوه بعضهم ، قبل أن تغمغم (نشوى) ، قاطعة حاجز الصمت الرهيب :

ـ هل تعلمون ما يعنيه هذا ؟

انتفض جسد الدكتور (حجازى) مع سؤالها ، وكأنما انتزعه صوتها من ذهوله ورعبه ، وقال :

ـ بالتأكيد .

وأضافت (سلوى) ، بصوت ارتجفت كل نبرة منه :

ـ يعنى أن كل ما نفعله عديم الجدوى ..

انتفض جسد (رمزى) هذه المرة ، واندفع نحو (مشيرة) الفاقدة الوعى ، وهو يهتف فى ذعر :

ـ إسعاف .. اطلبوا فريق إسعاف فورًا :

أسرعت (نشوى) تطلب فريق الإسعاف الخاص ، فى حين ألقى الدكتور (حجازى) جسده ، على أقرب مقعد إليه ، وراح يلهث فى عنف ، كمن توقف على التو بعد العدو لمسافة طويلة ، وغمغمت (سلوى) فى يأس :

ـ وما الفارق ؟

ثم تلفتت حولها فى خوف ، وكأنها تتوقع عودة ذلك العملاق الرهيب ، فى أية لحظة ..

وفى نفس اللحظة هناك ، فى أعماق جبال (التبت) ، وفى قلب ذلك المعبد البوذى القديم ، تفرقت أصابع الرهبان ، وبدت وجوههم فى أضعاف شحوبها التقليدى ، قبل أن تسقط رءوسهم على صدورهم ، وتخمد حركتهم تمامًا ، وإن واصلت قلوبهم نبضاتها الخافتة الضعيفة كالمعتاد ..

كانت عقولهم قد بلغت الحد الأقصى من الإجهاد، مع ما بذلوه؛ للحيلولة بين ذلك العملاق الوهمى، وفريق (نور) ..

وكان من المحتم أن تهدأ عقولهم قليلاً، على الرغم مما فى هذا من خطر ..

خطر داهم ..

ورهيب ..

* * *

اعتدل (أكرم) فى انتباه واهتمام، عندما غادر (نور) منطقة القائد الأعلى للمخابرات العلمية، وسأله عندما اتجه نحوه:

ـ ما الذى قرّره القائد ؟!

أشار (نور) بيده، قائلاً:

ـ المشكلة أن وزير الدفاع يرفض تمامًا هذا الأمر، ويصرّ على أن مركز الأبحاث العسكرية على ما يرام، وأن شكوكنا نحوه تتجاوز حدود المنطق الطبيعى.

سأله (أكرم) فى اهتمام:

ـ ألا يمكنكم الحصول على تصريح من السيّد رئيس الجمهورية للقيام بتفتيش مفاجئ آخر على مركز الأبحاث العسكرية ؟!

هزّ (نور) رأسه، قائلاً:

ـ القائد الأعلى يسعى لهذا ولكننى أظن أن أى تفتيش آخر لن يفيد.

ثم انعقد حاجباه، وهو يضيف:

ـ الأمر يحتاج إلى زيارة من نوع آخر.

ورفع عينيه إلى (أكرم)، مكملاً فى حزم:

ـ زيارة غير رسمية.

حدّق (أكرم) فى وجهه بمنتهى الدهشة، متسائلاً:

ـ هل تفكّر فيما أظنه يا (نور) ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا، فأطلق (أكرم) من صدره، زفرة متوترة، وهو يقول فى عصبية:

ـ هذا جنون مطبق يا (نور) .. فاقتحام منطقة عسكرية محظورة، فى ظل نظم الأمن الحديثة الدقيقة، أمر شبه مستحيل.

قال (نور) فى هدوء :

ـ صدقت .

ثم تألقت عيناه، وهو يضيف فى خبث :

ـ إنه جنون مطبق .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة، وهو يحدق فيه مرة أخرى، ثم عادا ينخفضان، وهو يبتسم فى شىء من الجذل، قائلاً فى خفوت :

ـ ومن الممتع أن يمارس المرء شيئاً من الجنون، بين كل حين وآخر؛ لتنشيط دورته الدموية على الأقل .

تطلقها، ثم تحسس مسدسه فى شىء من الحماس، فابتسم (نور)، قائلاً :

ـ هيا بنا .

بدا كلاهما أكثر نشاطاً وحيوية، وهما يغادران المبنى، ويتجهان نحو سيارة (نور)، التى قفز (أكرم) إلى مقعد قيادتها، وهو يقول فى حماس :

ـ سأقود أنا هذه المرة .

غمغم (نور)، وهو يتخذ المقعد المجاور :

ـ فليكن .

لم يكد يستقر داخل السيارة، حتى ضغط عدة أزرار، ليبدأ تشغيل نسخة من برنامج الحماية العقلية، فابتسم (أكرم)، قائلاً :

ـ ستكون مفاجأة قوية لذلك الوغد، لو أنه داخل مركز الأبحاث العسكرية بالفعل .

تمتم (نور) فى حزم :

ـ إنه هناك .

تطلع إليه (أكرم) فى دهشة، وهو يدير محرك السيارة، وسأله فى حيرة :

ـ كيف تبدو واثقاً هكذا ؟!

صمت (نور) لدقيقة كاملة تطلق (أكرم) خلالها بالسيارة، دون أن يحاول دفعه إلى الإجابة، حتى قال (نور)، فى لهجة بدت شديدة الغموض :

ـ لست أدرى .

سأله (أكرم) فى اهتمام :

ـ أهو مجرّد شعور داخلى ؟!

تنهّد (نور) فى عمق ، قبل أن يجيب :

ـ بل هو أقرب إلى اليقين .

قال (أكرم) ، واهتمامه يتزايد :

ـ اليقين يحتاج إلى دلائل .

قال (نور) فى سرعة :

ـ بالتأكيد .

وعاد إلى صمته بضع لحظات ، قبل أن يضيف :

ـ هناك دلائل حتمًا ، فى مكان ما من عقلى .. دلائل ربما يجهلها عقلى الواعى ، ولكنها تصرخ بقوة ، فى عقلى الباطن ، لتطلق فى أعماقى يقينًا عجيبًا ، بأن الخطر كله ينبع من هناك ..

والتقط نفسًا عميقًا ، ثم أكمل :

ـ من مركز الأبحاث العسكرية .

ران عليهم صمت عميق ، بعد أن نطق (نور) عبارته الأخيرة ، وكأنما لا يجد كلاهما ما يقوله ..

وبعد دقيقة كاملة ، قال (أكرم) فى حزم :

ـ إننى أثق فى حدسك دومًا يا (نور) .

تمتم (نور) :

ـ أتمنى لو أثق فيه مثلك يا صديقى .

قال (أكرم) فى حزم :

ـ افعل يا (نور) .

هزّ (نور) رأسه فى صمت ، ثم استرخى فى مقعده ، وأسبل جفنيه ، وأطلق لعقله وذاكرته العنان ..

لماذا يملأ ذلك اليقين نفسه حتمًا ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

أهو شىء رآه ..

أم سمعه ..

أم أنه شىء غرسه رهبان (التبت) فى عقله ، فى أثناء اتصاله الفائق بهم ؟!

وكعادته ، كلما واجه حيرة كهذه ، راح يشحن ذاكرته ، ويستعيد كل ما مر به وبطريقه منذ البداية ..

يستعيد كل موقف ..

كل مشهد ..

كل جملة ..

بل وكل حرف ..

وفى صبر دءوب ، راح عقله يستعيد كل هذا مرة ..

ومرة ..

ومرات ..

وفى كل مرة كان يتوقَّف عند مشهد ما ..

أو عبارة ما ..

ومع توقُّفه كان يعيد دراستها ..

وتقييمها ..

أو يعيد استعراض المشهد كله ..

أو جزء منه ..

وكانت ذاكرته الفوتوغرافية المدرَّبة تعاونه ..

وتؤازره ..

ومع استعراضه لكل الأحداث ، توقَّف عند مشهد بعينه ..

مشهد هبوط حوَّامة وزير الدفاع ، فى ساحة مركز الأبحاث العسكرية ..

توقَّف عنده طويلاً ..

واستعرض كل لمحة فيه ..

وهنا تألَّق ذهنه فجأة ..

تألَّق على نحو جعله يفتح عينيه ، ويعتدل بحركة حادة على مقعده ، فهتف (أكرم) فى حماس :

ـ لقد توصَّلت إلى أمر ما يا (نور) .. أليس كذلك ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بل توصَّلت إلى سر اليقين يا (أكرم) .

لم يكد ينطقها ، حتى ضغط (أكرم) فرامل السيارة ، وهو ينحرف بها إلى جانب الطريق ، هاتفًا :

ـ حقًا ؟!

قال (نور) ، وقد انتقلت إليه عدوى الحماس :

ـ هل تذكر تلك اللحظة ، التى هبطت فيها حوّامة وزير الدفاع ، فى ساحة مركز الأبحاث العسكرية ؟!

تنهّد (أكرم) ، قائلاً :

ـ وكيف يمكننى أن أنساها ؟! إنها اللحظة التى أفقت فيها من سيطرة ذلك الحقير ، لأدرك الجريمة البشعة ، التى كدت أرتكبها .

هتف (نور) :

ـ بالضبط !

بدت دهشة متسائلة ، على وجه (أكرم) ، فتابع (نور) فى حزم :

ـ قل لى بالله عليك : لماذا تخلّى خصمنا عن سيطرته على عقلك ، وأزال غلاف الوهم ، الذى أحاطه به ، قبل أن تكمل المهمة ، التى دفعك إليها ؟!

هزّ (أكرم) كتفيه ، قائلاً :

ـ لقد ألقيت هذا السؤال من قبل يا (نور) ، و ....

قاطعه (نور) فى حماس ، قبل أن يتم عبارته :

ـ لأنه كانت أمامه مهمة أخرى ، أكثر حساسية وخطورة .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ أية مهمة ؟!

أشار (نور) بسبّابته ، مجيباً :

ـ حوّامة وزير الدفاع .

تساءل (أكرم) فى حيرة :

ـ وماذا عنها ؟!

أجابه (نور) ، وحماسه يتصاعد :

ـ لقد وصلت دون موعد سابق ، وعلى نحو مفاجئ تماماً ، وكان ينبغى أن يستقبلها بوسيلة تبعد الشبهات تماماً عن المكان ، وهذا يحتاج إلى طاقة هائلة ، لفرض صورة وهمية على العقول ..

وبدا صوته حازماً قوياً ، وهو يضيف :

ـ كل العقول .

ازداد انعقاد حاجبى (أكرم) ، وهو يدرس الأمر فى ذهنه بعناية ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ إنه تفسير جيّد يا (نور) ، ولكن ربما ...

قاطعه (نور) مرة أخرى ، وهو يقول :

- استعد معى مشهد هبوط حوّامة الوزير ياصديقى .. لقد كان هناك حارسان ، فى برجى المراقبة ، فى ركن مركز الأبحاث .. هل تذكرهما ؟!

أجابه (أكرم) فى اهتمام :

- بالتأكيد .

قال (نور) فى سرعة :

- حوّامة الوزير من طراز خاص جداً ، ونادر جداً ، وهى تتميّز بكونها صامتة تماماً ... ماذا ستفعل بشأنها إذن ، لو أنك أحد حراس مركز أبحاث عسكرى مهم ، وأبلغك قائدك فجأة ، أن حوّامة وزير الدفاع شخصياً فى طريقها إلى المكان ، خلال عشر دقائق على الأكثر ؟!

بدا تردّد حذر على وجه (أكرم) ، وهو يقول فى بطء :

- لست أدرى ما واجبات الحارس ، فى برج للمراقبة ، فقد كنت أتصوّر أن هذا العمل قد انتهى تماماً ، مع انتشار وسائل الرصد والمراقبة الإليكترونية ، ولكننى أظن أننى كنت سأنتظر قدومها ببصرى على الأقل ..

هتف (نور) :

- بالضبط .

ثم تابع بمنتهى الحزم :

- ولكن حارسى البرجين لم يفعلا هذا .

عاد حاجبا (أكرم) ينعقدان ، فى حيرة متوترة ، فأضاف (نور) :

- لم يتطلّعا إلى الحوّامة .. بل ولم يلقيا نظرة واحدة عليها ، وكأنما لا يباليان بظهورها الصامت المباغت .. لم يحاولا التأكّد حتى من أنها حوّامة وزير الدفاع ، وليست أية حوّامة أخرى .

تضاعفت حيرة (أكرم) ، وهو يقول :

- وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

جاء جواب (نور) بسرعة ، وهو يقول :

- يعنى أنهما ليسا حارسين حقيقيين .

سرت ارتجافة مكتومة ، في جسد (أكرم) بأكمله ، وحاجباه يرتفعان في دهشة بالغة ، في حين تابع (نور) ، في حزم صارم :

ـ بل كنا حارسين وهميين .. كنا جزءًا من لعبة كبيرة ، صنعها ذلك الشيء ، الذي يهاجمنا بقدرات تتطور بسرعة مخيفة .

ومال نحو (أكرم) ، مستطردًا :

ـ لعبة الوهم .

واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ..

اتسعتا بدهشة ما بعدها دهشة ..

وانطلق عقله إلى هناك ..

إلى ذكريات تلك اللحظة الرهيبة ..

اللحظة التي استعاد فيها وعيه ؛ ليجد أصابعه حول عنق (نور) ..

صحيح أن هذا قد أصابه بتوتر عنيف ، لم يفارقه لفترة طويلة ، إلا أنه ما زال يذكر ذلك المشهد جيدًا ، كما لو أنه يراه الآن ..

مشهد هبوط حوّامة وزير الدفاع ، في ساحة مركز الأبحاث العسكرية ..

ما زال يذكره بكل التفاصيل ..

الحوّامة ..

والشعار الخاص على جانبها ..

والحارسان الجامدان ، و .....

وفجأة ، ارتفع أزيز جهاز (نور) الخاص للاتصالات ..

وانتفض جسد (أكرم) في قوة ..

أما (نور) ، فقد التقط جهاز اتصاله الخاص في سرعة ، وهو يقول في اهتمام ، وحمل لمحة من التوتر :

ـ ماذا هناك يا (نشوى) ؟!

أجابته (نشوى) ، بصوت لم يفارقه توتره وانفعاله بعد :

ـ أبي .. لقد مررنا هنا بتجربة رهيبة .. رهيبة إلى أقصى حد .

سألها (نور) ، بكل ما ولّده قولها في نفسه من انفعالات :

ـ أأنتم جميعًا بخير ؟!

أجابته بنفس التوتر المنفعل :

ـ الأمر لا يتعلق بنا يا أبى ، ولكن بتطور جديد ، لابد وأن تراه بنفسك .. تطور خطير .. خطير إلى أقصى حد .

وانتفض قلب (نور) هذه المرة ..

بل كيانه كله ..

بعنف .

* * *

٧ ـ السيطرة التامة ..

بدا اهتمام بالغ ، على وجه الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ، وهو يلف إلى حجرة القائد العام ، قائلاً :

ـ خير يا سيادة القائد الأعلى .. لقد هرعت إلى هنا ، فور استدعائك العاجل لى .

أشار القائد الأعلى إلى شاشة الكمبيوتر الخاص به ، وهو يقول :

ـ وزير الدفاع أرسل إلينا قائمة بكل التجارب والأبحاث العسكرية ، التى تجريها كل الجهات التابعة لوزارة الدفاع ، وأريدك أن تراجعها بنفسك .

قالها ، وضغط زراً صغيراً أمامه ، فخرجت من طابعة فائقة السرعة عدة أوراق على الفور ، ناولها إلى الدكتور (جلال) ، مستطرداً :

ـ أريد رأى خبير علمى ، فى هذا الشأن .

غمغم الدكتور (جلال) ، وهو يلتقط الأوراق فى اهتمام :

ـ بالتأكيد .

واتخذ مقعداً بواجـه مكتب القائد الأعلى ، وراح يراجع الأوراق فى اهتمـام وإمعان ، والقـائد الأعلـى يراقبـه فـى صمت ، دون أن يحـاول مقاطعتـه بحرف واحد ، حتى رآه يطوى الورقة الأخيرة ، فاعتدل يسأله فى اهتمام شديد :

ـ أبها ما يريب ؟!

هزّ الدكتور (جلال) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ مطلقًا .. ليس بها حرف واحد ، عن أية تجارب ، تتعلق بتلك المسخ ، من قريب أو بعيد .

سأله القائد الأعلى :

ـ أتعتقد أنهم قد أعطونا كل ما لديهم ؟!

تطلّع إليه الدكتور (جلال) فى قلق ، وهو يسأله :

ـ ما الذى يدور فى ذهنك بالضبط ياسيّدى ؟!

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ أظن أنه لو أن أحدهم يجرى بعض التجـارب السرية ، فى أروقة وزارة الدفاع ، فلن يدرجها فـى القائمـة الرسمية للتجارب حتمًا .

تساءل الدكتور (جلال) فى حيرة :

ـ وكيف يمكننا كشف الأمر ، فى هذه الحالة ؟!

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، قائلاً فى حزم :

ـ ليس هذا بالأمر العسير .

ثم تراجع فى مقعده ، مستطرداً :

ـ لقد أسندت هذه المهمة ، لأمهر خبيرة كمبيوتر أمنيـة لدينا .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ (نشوى نور الدين) ؟!

أشار القائد الأعلى بسبّابته ، مجيبًا :

ـ بالضبط .

هزّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

ـ اختيـار موفّق ياسيّدى ، فمع خبيرة مثل (نشوى) ، لايمكنك أن تخفى أية معلومة ، داخل كل شبكات المعلومات المعروفة .

غمغم القائد الأعلى :

ـ أتفهم هذا .

ثم سأله فى اهتمام :

ـ ماذا عن ذلك الجندى (وائل رءوف) ؟! هل أبلغتهم رسمياً ، برغبتنا فى فحصه ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه (إيجاباً) وقال :

ـ بالطبع يا سيدى القائد الأعلى ، ولكنهم يرفضون هذا فى شدة ، ويقولون : إن واجباته الحالية ، تمنعه من مغادرة موقعه ، أياً كانت الأسباب .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول فى غضب :

ـ من يرفض هذا بالضبط ؟! وزير الدفاع ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ كلا ، ولكنه رئيسه المباشر ، العميد (ماهر) .. رئيس مركز الأبحاث العسكرية الحالى .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهو يغمغم فى حدة :

ـ مركز الأبحاث العسكرية مرة أخرى .

ثم اكتسب صوته صرامة آمرة ، وهو يضيف :

ـ أرسل إليهم استدعاء عاجلاً ، وأخبرهم أنها أوامر أمنية عليا ، لا تقبل الجدل أو المناقشة ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف بنفس اللهجة :

ـ وأخبرهم أننا نطلب استدعاء العميد (ماهر) أيضاً .

قال الدكتور (جلال) فى حسم :

ـ فوراً يا سيدى .

واتجه نحو الباب مباشرة ، قبل أن يتوقف فجأة ، ويستدير إلى القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ سيدى القائد .. صحيح أن قائمة التجارب الرسمية لا تحوى حرفاً واحداً ، عما يمكن أن يشير إلى ذلك المسخ الوحشى ، إلا أنه هناك تجربة أخرى أيضاً ، لم يرد عنها حرف واحد ، فى القائمة الرسمية نفسها .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام حائر :

ـ أية تجربة تلك ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ التجربة التى قلت : إنكما قد شاهدتماها هناك .. فى قاعة التجارب والأبحاث الرئيسية ..

وحمل صوته كل اهتمام ، وهو يضيف :

ـ التجربة الخاصة بتلك الدروع الجديدة ، المقاومة للانفجارات .

وفى هذه المرة ، انعقد حاجبا القائد الأعلى بمنتهى الشدة ..

فما كشفه الدكتور (جلال) فى هذه اللحظة ، كان يلقى ظلالاً جديدة تماماً ، على الموقف كله ..

ظلال داكنة قاتمة ..

جداً ..

* * *

بدت طبيبة الفريق العلمى ، فى مركز الأبحاث العسكرية ، شديدة الشحوب والإرهاق ، وهى تتراجع عن جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، قائلة فى تهالك :

ـ سألقى حتفى حتماً ، لو استمرت الأوضاع على هذا النحو .

قال أحد أعضاء الفريق ، فى عصبية واضحة :

ـ ينبغى أن يدرك هذا .. إنه يقتلنا دون أن يدرى ، خلال سباقه المحموم للتفوق .

غمغم عضو آخر فى صوت متحشرج :

ـ التفوق على من ؟!

أجابه الأول ، فى عصبية أكثر :

ـ هذا لن يصنع فارقاً كبيراً .. إنه يقتلنا فى كل الأحوال ، ولابد أن يعلم أننا ، لو لم نحصل على قسط كاف من الراحة فستنهار تماماً ، وعندئذ لن يجد من يخدمه ، أو من يبقى على وجوده .

اختلس قائد الفريق نظرة إلى ذلك الشىء الرهيب ، الذى بدا وكأنه يتابع كل ما يقولون ، وقال بصوت مرتجف :

ـ ربما لايدرك هذا ، لأنه لايحتاج إلى النوم .

تمتمت طبيبة الفريق :

ـ إنه لاينام قط ، فلو نام لحظة واحدة ، لفسدت كل الأمور الأخرى .

تضاعفت عصبية عضو الفريق ، وهو يهتف :

ـ ولكننا نحن نحتاج إلى النوم .. وإلى الراحة أيضاً .

كان يبدو فى حالة رثة للغاية ، بلحيته النامية ، ومعطفه

الرث ، وعينيه المحمرتين الجاحظتين ، حتى إن قائد الفريق قد شعر بالشفقة نحوه ، فالتقط نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ ولكننا لم نطالبه بهذا .

سألته الطبيبة فى توتر :

ـ لم نطالبه بماذا ؟!

أجابها بصوت مرتجف :

ـ لم نطالبه بالنوم ، أو ساعات الراحة .

قال عضو الفريق ، وصوته يعلو فى حدة :

ـ وهل تعتقد أنه سيستجيب لنا ؟! هراء يا رجل .. إننا بالنسبة إليه عبيد .. مجردُ عبيد .. أو حتى آلات صمّاء ، تعمل طوال الوقت ، دون كلل أو ملل ، لخدمته وتطويره فحسب .

ثم استدار بجسده كله إلى ذلك الشىء ، صائحًا :

ـ إنه سيقتلنا ، دون حتى أن يدرى أنه قد فعل .. بل ودون أن يبالى بنا لحظة واحدة .

امتقع وجه الطبيبة أكثر ، وهى تهتف فى خفوت :

ـ رباه ! هل جننت يا رجل ؟!

قال قائد الفريق ، فى توتر بلغ مداه :

ـ لقد أصابه انهيار عصبى حاد .

صرخ عضو الفريق بقوة :

ـ نريد أن ننام .. أن نتمتع بقدر من الراحة .. هل تفهم ؟!

نريد أن ننام .. ننام ..

وجلت قلوبهم جميعًا مع صرخته ، وشحبت وجوههم فى شدة ، وتصوّروا أن ذلك العملاق الوهمى سينهض من قلب الشىء الرهيب ، كما يحدث فى كل مرة ..

وأنه سينتقم من عضو الفريق الثائر ..

وبمنتهى العنف ..

والقسوة ..

والوحشية ..

وفى أذهانهم جميعًا ، تصاعد مشهد العميد (ماهر) ، ورأسه يطير إلى الركن فى عنف ..

وارتجفت قلوبهم ..

وارتجفت ..

وارتجفت ..

ولكن شيئاً لم يحدث ..

ذلك العملاق لم ينهض ..

ولم ينقض ..

ولم ينتقم ..

لقد ظل كل شيء هادئاً ..

ساكناً ..

صامتاً ..

وفى حذر شديد ، غمغمت طبيبة الفريق :

ـ أين هو ؟!

أجابها قائد الفريق ، وهو يشير إلى ذلك الشيء الرهيب ، فى منتصف القاعة :

ـ ها هو ذا أمامك .

هزت رأسها فى عصبية ، قائلة :

ـ لست أقصد هذا .

ثم أضافت فى خفوت ، أقرب إلى الهمس :

ـ أقصد أين هو .. عملياً ؟!

التفت إليها عضو الفريق الثائر ، وهتف فى انفعال :

ـ أتعنين أنه ليس هنا ؟!

ثم عاد يستدير إلى ذلك الشيء ، صارخاً :

ـ ليس هنا .

وانطلق فجأة يضحك ..

ويضحك ..

ويضحك ..

ضحكات هستيرية عجيبة ، رددتها جدران القاعة فى قوة ..

رددتها ..

ورددتها ..

ورددتها ..

وعلى الرغم من هذا ، لم ينهض العملاق ..

لم ينهض أبداً ..

ولأنه لم ينهض ، تألقت عينا عضو الفريق ، وهو يهتف :

ـ وربما لن ينهض أبداً .

قالها ، وأطلق ضحكة هستيرية أخرى ، ثم اندفع نحو جهاز الكمبيوتر الرئيسى ، الذى يدير التجربة كلها ، وانقضّ عليه بكل قوته ، و ...

وفجأة ، انتفض جسده فى عنف ..

وارتسمت على الشاشات صورة ذلك المنحنى فائق القوة ، والذى بدأ مباشرة كخط مستقيم ..

ومع ظهور ذلك الخط المستقيم ، ارتفع جسد عضو الفريق عالياً ، على نحو مباغت ، فصرخت الطبيبة فى رعب :

- إنه هنا .. إنه هنا .

وتراجع الباقون ، بوجوه شاحبة مذعورة ، فى حين تطوّح جسد عضو الفريق فى عنف ، وهو يطلق صرخة رهيبة ، قبل أن يرتطم جسده بجدار القاعة ، بمنتهى القوة والشدة ..

وجحظت عينا عضو الفريق ..

وتفجّرت الدماء من رأسه ..

وصرخت الطبيبة ..

وصرخت ..

وصرخت ..

ومع صرخاتها ، توقفت صرخات عضو الفريق تماماً ..

ثم سقط أرضاً ..

وبنفس العنف والقوة ..

سقط جثة هامدة ، جاحظة العينين ، والدماء تنزف من مواضع شتى منها ، لتصنع حولها بركة من الدماء ..

بركة راحت تتسع ..

وتتسع ..

وتتسع ..

وانهارت طبيبة الفريق تماماً ..

انهارت ، وهى تدرك أنه لم يعد باستطاعتها احتمال المزيد .. لم يعد باستطاعتها هذا أبداً ..

وفى غمرة انهيارها ورعبها ، سمعت قائد الفريق يهتف :

- رباه ! انظروا ..

واستدارت مع الآخرين ، نحو الشاشة التى يشير إليها قائدهم .. واتسعت عيونهم فى ارتياع ..

ففى هذه المرة ، لم تكن الموجات متناهية القصر ترسم خطًا مستقيمًا كالمعتاد ..

بل كانت ترسم منحنيات متقاربة ..

ومعكوسة ..

منحنيات تتجه إلى أسفل ، وليس إلى أعلى ..

وكان هذا يعنى أن قدرة ذلك الشىء الرهيب قد تزايدت هذه المرة ؛ لتتجاوز كل الحدود المقبولة ..

وغير المقبولة ..

وأنه قد انطلق هذه المرة ؛ ليقوم بمهمة تحتاج إلى طاقة هائلة ..

ومع طاقة كهذه ، كان يمكنه القيام بأمور رهيبة ..

ومذهلة ..

ووحشية ..

للغاية ..

* * *

«ماذا أصاب (مشيرة) بالضبط ؟! »

هتف (أكرم) بالسؤال فى غضب ثائر ، داخل القاعة الخاصة للفريق ، وهو يجلس إلى جوار ذلك الفراش الصغير ، الذى تم وضعه فى ركن القاعة ، والذى ترقد فوقه (مشيرة) الفاقدة الوعى ، فربت (رمزى) على كتفه ، فى محاولة لتهدئته ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا (أكرم) .. إنها فاقدة الوعى فحسب ، ولقد فحصتها أنا والدكتور (حجازى) جيدًا ، قبل أن يقوم فريق الإسعاف بمنحها العلاج المناسب ، وأؤكد لك أنها ستستعيد وعيها بعد قليل .

التفت إليه (أكرم) ، قائلاً فى شراسة :

ـ وعيها فحسب يا (رمزى) ، ولكنها لن تشفى من آثار تجربتها الثانية العنيفة بسهولة .

قلب (رمزى) كفيه ، وهو يقول :

ـ لم أتصور قط أن يحدث هذا .. كان المفترض أن يحميها

حاجز النيران المضاعف ، وأن تمنع سدادة الأذن المبرمجة أية محاولة لاختراق عقلها ، ولكن ذلك العملاق الوحشي الرهيب فاجأنا بقواه غير المتوقعة ، والتي فاقت كل الحدود ، و ....

صاح (أكرم) في غضب :

- كان ينبغي أن تخبرني أولاً .

زفر (رمزي) في توتر ، وتراجع في مقعده بحركة عصبية ، وقد يأس من محاولة تهدئة (أكرم) ، في حين قال (نور) في صرامة :

- رويدكم يا رفاق .. أريد استيعاب ما تقوله (نشوى) .

عقد (أكرم) حاجبيه في غضب شديد ، وأشاح بوجهه عنهم ، في حين سأل (نور) ابنته :

- ما ذلك الشيء الرهيب ، الذي توصلت إليه يا (نشوى) ؟!

ازدردت (نشوى) لعابها ، محاولة تهدئة انفعالها ، وهي تقول :

- قبل أن يهاجمنا ذلك العملاق الرهيب بقليل ، وصلتني

رسالة سرية من القائد الأعلى ، تحوي قائمة التجارب والأبحاث ، التي تتم في كل الأماكن ، التابعة لوزارة الدفاع ، مع أمر بمراجعتها ، والتأكد من أنه لا توجد أية تجارب أخرى ، يتم إجراؤها في أي مكان ، خارج تلك القائمة .

وتوقفت لتزدرد لعابها مرة أخرى ، قبل أن تتابع في انفعال :

- وبعد أن استعدنا السيطرة على الآلات هنا ، عقب تلك الموجة المضادة ، التي أنقذتنا من العملاق الوهمي ، والتي لم أحدد مصدرها أو هويتها بعد ، قمت بتنفيذ أوامر القائد الأعلى ، واخترقت شبكة المعلومات العسكرية السرية ، عبر الباب الخلفي نفسه ، ورحت أراجع القائمة .

سألها (نور) في اهتمام :

- وهل وجدت أنها غير صحيحة ؟!

هزت رأسها نفيًا ، وقالت :

- بل كانت صحيحة وسليمة تمامًا .

ثم تزايد انفعالها ، وهى تضيف :

ـ ولكنها لاتحوى كل التجارب .

سألها ، وقد انتقل إليه انفعالها :

ـ كانت توجد تجارب أخرى .. أليس كذلك ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت فى توتر :

ـ تجربة واحدة فحسب .

انعقد حاجباه ، دون أن ينطق بحرف واحد ، فتابعت فى خفوت ، يشير إلى خطورة الأمر الشديدة :

ـ تجربة تتم لحساب مؤسسة الرياسة .

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يكرّر :

ـ يا إلهى مؤسسة الرياسة ؟

أومأت برأسها إيجابًا مرة أخرى ، قبل أن تقول بنفس الخفوت ، والكلمات ترتجف على شفتيها :

ـ نعم .. إنها تجربة شديدة السرية ، حتى إنهم قد أحاطوها

بثلاثة أكواد شفرية معقّدة ، وبأحدث نظام أمنى إليكترونى ، حتى إننى قد احتجت إلى ثلث ساعة كاملة ؛ للعبور إليها ، على الرغم من أننى قد استخدمت أصعب وأعقد برامجى ، وأكثرها تطورًا وحداثة .

سألها بكل اهتمامه :

ـ وما طبيعة هذه التجربة بالضبط ؟

التقطت نفسًا عميقًا ، وهى تجيب :

ـ هذا أخطر ما فى الأمر يا أبى ..

ثم استدارت لتضغط أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وهى تضيف فى توتر شديد :

ـ والأفضل أن تنظر بنفسك .

ظهرت بيانات التجربة بسرعة على الشاشة ، فانعقد حاجبا (سلوى) فى شدة ، فى حين أضافت (نشوى) :

ـ إنهم يطلقون عليها اسم (المخ) .

وانعقد حاجبا (نور) بشدة ..

بمنتهى منتهى الشدة ..

فما يراه أمامه كان رهيبًا ومذهلاً بحق ..

إلى أقصى درجة يمكن أن يتصورها عقل ..

أى عقل ..

* * *

فى هدوء شديد كعادتها ، راحت الشمس تتوارى ، خلف قمم جبال (التبت) ، ليتسلل قليل من ضوئها الذهبى المحتضر ، عبر الغيوم الكثيفة ، ويسقط على قمة ذلك المعبد البوذى القديم ، المقام فوق قمة متوسطة ، تحيط بها قمم الجبال العالية ، المكسوة بثلوج كثيفة ..

ومع غياب الشمس ، بدأ الرهبان ينهضون ..

ارتفعت رءوسهم مرة أخرى على أجسادهم ، التى مازالت تتخذ الوضع القرفصائى المعتاد ..

ومرة أخرى عادت عقولهم تعمل بكفاءة ..

بمنتهى الكفاءة ..

ولقد بدا المشهد كله عجيبًا بحق ..

فريق الرهبان التبتى ، انتقل كله ، فى لحظة واحدة ، من حالة السكون والخمود التام ، إلى قمة النشاط والانطلاق ..

تمامًا كما لو كانوا سيارة خرافية ، يمكنها أن تنتقل من حالة التوقف إلى سرعتها القصوى دفعة واحدة ..

ومع استعادتهم لنشاطهم العقلى ، انطلقت عقولهم بعيدًا ..

انطلقت ترصد ..

وتبحث ..

وتدرس ..

ومع انطلاقها ، التقطت على الفور موجة قوية ..

موجة رهيبة ..

عنيفة ..

وحشية ..

موجة تفوق كل الموجات ، التى تم رصدها من قبل ..

بل كل الموجات ، التى يمكن أن يصنعها جيش من الرهبان ..

جيش كامل ..

كان من الواضح أن ذلك الشر الجديد قد بلغ ذروة ، لم يبلغها عقل بشرى من قبل .

أو تبلغها عدة عقول بشرية مجتمعة ..

لقد تطورت قدراته بسرعة مدهشة ، حتى صار أكثر قوة منهم مجتمعين ..

حتى مع تآزر العقول ..

وإكمال الدائرة ..

وعلى الرغم من هدوئهم الشديد ، وعيونهم المغلقة ، وأجسادهم الثابتة الجامدة ، كانت عقولهم تدرك مدى الخطر ..

ومدى الصعوبة ..

والعجيب أن الشىء الوحيد الذى ملأ عقولهم فى تلك اللحظة ، كان فريق (نور) ..

فهم يعلمون جيدًا أنهم الدرع الوحيد للفريق ..

الدرع العقلى الوحيد ، الذى يمكن أن يصد موجات ذلك الشىء الوحشى الرهيب ..

أو يقلل من قوتها على الأقل ..

هم وحدهم ، قادرون على إطلاق موجة مضادة ، يمكنها أن تحدّ من قدراته لبعض الوقت ..

ولكن قوته قد تضاعفت كثيرًا ..

كثيرًا جدًا ..

وتدخُّلهم أصبح حتميًا ..

ربما لن يكون مؤثرًا كالسابق ..

ولكنه ما زال حتميًا ..

كانت الأفكار تدور فى عقولهم جميعًا ، فى اللحظة نفسها ، عندما ظهرت تلك الصورة فجأة فى العقول ..

كل العقول ..

صورة لعملاق رهيب ، هائل الحجم ، يرتفع رأسه فوق قمم الجبال الشاهقة ، المكسوة بالثلج ، يشق طريقه نحوهم ..

نحو المعبد ، الذين يجلسون داخله ..

كان نفس العملاق ، الذى اعتصر عنق كبيرهم ، وانتزع روحه فى المرة السابقة ..

نفس العملاق ، ولكنه أكثر ضخامة ..

وأكثر بشاعة ..

وبخطوات عملاقة ، راح ذلك العملاق الهائل يقترب من المعبد ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وفى أعماقهم ، أدرك الرهبان أنه يحمل رغبة شديدة الوحشية هذه المرة ..

رغبة مدمرة ..

قاتلة ..

رهيبة ..

وأدركوا أيضًا أن المواجهة هذه المرة ستحتاج إلى تآزر عقولهم ..

واتحادها ..

وانطلاقها بكل قوتها ..

وفى هدوء عجيب ، وعلى الرغم من اقتراب العملاق أكثر وأكثر ، رفع كل منهم ذراعيه ، على جانبى جسده ..

والتقت الأيدى ..

والأصابع ..

والعقول ..

وانطلقت طاقتهم بأقصى قوتها ..

وانطلقت ضحكة وحشية ساخرة ، من حلق العملاق الهائل ..

انطلقت فى عقولهم ، التى أدركت مدى قوته ..

ومدى تفوقه ..

ولكنهم واصلوا إطلاق طاقتهم العقلية ..

وواصلوا المقاومة ..

وكان صراعًا رهيبًا بحق ..

صراع يدور بين عقول الرهبان ، وطاقة عقلية رهيبة ، من مصدر وحشى مخيف ..

وعلى الرغم من إطلاقهم كل قوتهم ، راحت أجسادهم ترتجف ..

وترتجف ..

وترتجف ..

ومع قوة ذلك العقل الجبار ، واقتحامه العنيف لعقولهم ، تزايدت ارتجافة أجسادهم أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم تفجرت الدماء فجأة من أنوفهم ..

وأفواههم ..

ومن آذان بعضهم ..

ثم تساقطت رءوسهم على أجسادهم ..

تساقطوا واحداً بعد الآخر ، فى مشهد رهيب مخيف ..

ومع كل راهب يسقط منهم ، كانت طاقتهم العقلية تقل ..

وطاقة ذلك العقل الرهيب تتزايد ..

حتى سقطت كل الرءوس على الأجساد ..

ومع سقوط آخر الرهبان ، أطلق ذلك العملاق الوهمى ضحكة وحشية رهيبة ..

ضحكة تعلن أن آخر دروع فريق (نور) قد سقط هناك .. فى جبال (التبت) ..

وتعلن أيضاً أن ذلك الشىء الرهيب ، قد أصبح يمتلك السيطرة على كل الأمور ..

السيطرة التامة ..

* * *

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث بإذن الله

(المـــخ)

عودة الشر

- هل عاد ذلك المخ الرهيب بالفعل إلى عالمنا ، بوسيلة خارقة ؟!
- ما سر تلك التجربة الرهيبة ، التي أجراها العلماء ، لإعادة إطلاق ذلك الوحش ؟!
- تُرى كيف يدور الصراع هذه المرة ، ومن المسئول عن كارثة (عودة الشر) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه ... من أجل الأرض ...

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

148

العدد القادم (المخ)

روايات مصرية للجيب

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سري جداً !!

المُخ

149

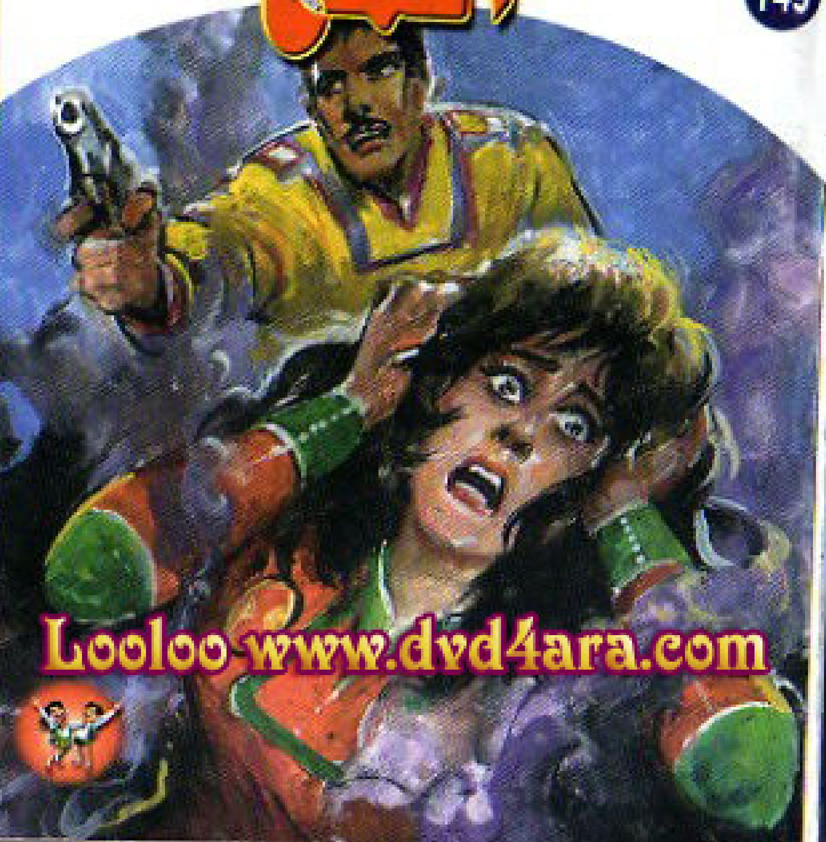
Looloo www.dvd4ara.com

١ـ المؤامـرة ..

تعالى وقع أقدام ثقيلة ، تدق فى قوة ، أرضية ذلك الممـر الرئيسى الطويل ، أسفل مقر رياسة الجمهورية ، قبل أن ينبعث صوت آلى قوى فى الممر ، قائلاً :

ـ توقّف ، وأعلن هويتك .

توقّف رجل يرتدى ثيابًا مدنيـة ، فى منتصف الممـر ، وشدّ قامته على نحو عسكرى صارم ، وهو يقول :

ـ العميد (أشرف لبيب) .. الرقم الكودى (م ر ج - ٧٠٠١) .

لم يكد يتم قوله ، حتى سقط شعاع دائرى من الليزر على جسده ، وتحرك فوقه فى سرعة ، قبل أن يتوقّف ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها شعاع آخر ، شديد الدقة ، فحص عين الرجـل للحظة واحدة ، قبل أن ينبعث الصوت الآلى القوى مرة أخرى ، قائلاً :

ـ تم التحقّق من الهوية .. ما الغرض من القدوم ؟!

أجاب الرجل بمنتهى الحزم :

ـ أنفذ أوامر سيادة اللواء نائب الرئيس ، وأنقل إليه آخر تطورات الأحداث .

ران الصمت لحظات قصار ، بعد أن انتهى من قوله ، ثم انفتح باب دائرى ، فى نهاية الممر ، مع صوت بشرى صارم ، يقول :

ـ ادخل أيها العميد ، وهات ما لديك على الفور .

تقدَّم العميد (أشرف) بنفس الخطوات القوية ، عبر الجزء المتبقى من الممر ، ثم عبر الباب الدائرى ، وهو يرفع يده بالتحية العسكرية فى قوة ، قائلاً :

ـ أخبار جديدة يا سيادة اللواء .

أشار إليه اللواء (عماد وجيه) ، نقب رئيس مخابرات رياسة الجمهورية بالاسترخاء والهدوء ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هات ما لديك أيها العميد .

أجابه العميد ، وقد تسللت لمحة توتر إلى صوته :

ـ التطورات خطيرة للغاية يا سيادة اللواء ، ولكننى لم أشأ إبلاغها إليك عبر أى هاتف ، مهما بلغت درجة تأمينه ، وفقًا لأوامرك الصارمة فى هذا الشأن ، و ...

قاطعه اللواء (عماد) فى برود صارم :

ـ قلت : هات ما لديك .

ازدرد العميد لعابه ، قبل أن يندفع ، قائلاً :

ـ المخابرات العلميـة تصر بشدة على استدعاء جندى الحراسات الخاصة ومكافحة الإرهاب (وائل رءوف) ؛ لفحصه بمعرفة مركز الأبحاث التابع لها ، ولقد أضافت إلى هذا حتمية استدعاء وفحص سيادة العميد (ماهر) أيضًا .

انعقد حاجبا اللواء (عماد) ، وهو يقول بنفس البرود :

ـ العميد (ماهر) مدير مركز الأبحاث العسكرية ؟!

أجابه العميد ، ونبرة التوتر فى صوته تتصاعد :

ـ هو بعينه يا سيادة اللواء .

تراجع اللـواء (عماد) فى مقعده ببطء ، وهو يداعب ذقنه بسبابته وإبهامه ، وقد انعقد حاجباه بشدة ، مع تفكيره العميق ، وإن لم يغيِّر هذا أسلوبه البارد المتحفظ ، وهو يسأل :

ـ وماذا عن ذلك المقدَّم (نور) وفريقه ؟!

أجابه العميد فى سرعة :

ـ إننا نواصل مراقبتهم ، بوساطة أقمار المراقبة الصناعية يا سيدى ، وبأجهزتنا القادرة على رصد وسماع ما يدور خلف أية جدران !

سأله اللواء ، وعيناه ترصدان انفعالاته في دقة :

ـ هل تواصل ابنة (نور) محاولات دخول شبكة المعلومات العسكرية السرية ؟!

بدا العميد شديد التوتر ، وهو يقول :

ـ ما سجلته أجهزة التنصت القوية ، يشير إلى أنها قد نجحت في هذا بالفعل ، إلا أن مراقبينا ما زالوا عاجزين عن رصد اختراقها للشبكة ، بأي برنامج من برامج الحماية والرصد الرقمية لديهم .

مطّ اللواء شفتيه ، وقال :

ـ لا تنس أنها خبيرة كمبيوتر من الطراز الأول ، وأمها خبيرة في الاتصالات والتتبع ، ومعًا تشكلان قوة تكنولوجية جبارة ، خاصة وأن المخابرات العلمية تزودهما دومًا بأحدث إمكانياتها ، في سخاء بالغ ، باعتبارهما تتبعان أقوى فريق لديها ، والذي تسند إليه أعقد المهام والقضايا وأخطرها .

وعاد حاجباه ينعقدان ، وهو يقول :

ـ ثم إنها واحدة من فريق العلماء ، الذي ابتكر وطوّر نظام شبكة المعلومات العسكرية .

قالها ، وازداد انعقاد حاجبيه بشدة ، وغرق في تفكير طويل عميق ، فعاد العميد يشد قامته في قوة ، وهو يحترم صمت رئيسه ، ويطبق شفتيه تمامًا ..

أما نائب رئيس مخابرات رياسة الجمهورية ، فقد كان يعيد دراسة الموقف كله ، في محاولة لاستيعاب ما يحدث ، واستنتاج الخطوات المحتملة التالية ..

فالأمر كله كان غريبًا ، ومختلفًا ، وخطيرًا للغاية منذ بدايته ..

هذا لو اعتبرنا أن البداية هي تلك اللحظة ، التي أطلق فيها (أكرم) ، عضو فريق (نور) النار ، على رأس ذلك المسخ الوحشي الرهيب ، الذي طوّر قدراته العقلية الفائقة في جبال (التبت) ، ثم عاد ليوجّه كراهيته كلها إلى عالمه ، ويسعى إلى السيطرة عليه وتدميره(*) ..

ففي تلك اللحظة ، تصوّر الكل أنها نهاية معركة طويلة عنيفة ..

ولكنها لم تكن كذلك ..

لم تكن كذلك أبدًا ..

(*) راجع قصة (البقعة المظلمة) .. المغامرة رقم (١٤٦) .

فعلى العكس مما تصوَّره الجميع ، كانت البداية ..

بداية معركة وحشية عقلية جديدة ..

معركة أكثر عنفًا ..

وخطورة ..

وشراسة .

معركة بين العالم كله ، وعقل هائل جبار ، بدا وكأنه قد عاد من أعماق الموت المظلمة ؛ لينتقم من كل من أساء إليه ..

ليس هذا فحسب ، ولكن لتدمير العالم كله ..

عالمنا ..

تدميره وإفناؤه تمامًا ..

وكانت البداية الجديدة مع فريق (نور) ، الذى أدرك أنه يواجه خصمًا رهيبًا ، تجاوزت قدراته الحدود ..

كل الحدود ..

وفى تصريح مفاجئ ، أخبرهم الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين ، أن رصاصة (أكرم) لم تقتل خصمهم الرهيب ..

خصمهم صاحب المخ المزدوج ..

لقد أصابت رصاصة (أكرم) أحد المخين فحسب ، ودمرته تمامًا ، ولكن المخ الآخر استعاد نشاطه ، وراح يستيقظ ..

ويستيقظ ..

ويستيقظ ..

وبينما يسجل الدكتور (حجازى) هذه الظاهرة الفريدة ، اقتحم العسكريون المكان ، واستولوا على جسد ذلك المسخ الرهيب .

وفى مركز الأبحاث العسكرية ، أجروا عليه عددًا من التجارب ، التى انتهت كلها بالنجاح ، قبل أن يصدر قرار بتصفيته ..

وتم قتل المسخ ..

ولكن التجربة استمرت ..

استمرت لتأتى بخصم آخر ، يحمل نفس ذاكرة وكراهية الخصم السابق ..

ولكن مع قوة هائلة رهيبة ..

قوة ، استطاعت أن تجتاح أمامها كل العقبات ، وأن تسيطر على مركز الأبحاث العسكرية ، وعلى فريق العلماء المسئول عن استمرارها ..

ثم انطلقت ؛ لتمد سيطرتها على نطاق أوسع ..

على العالم بأكمله ..

ولأن رهبان (التبت) هم الدرع القوى ، الذى يقى (نور) وفريقه تلك القوة العقلية الهائلة ، ويحميه من السقوط تحت سيطرتها الوحشية المدمِّرة ، كان لابد من إزاحتهم عن الطريق ..

وبضربة وحشية قوية هائلة ، تخلَّص الخصم الوهمى العملاق من كل رهبان (التبت) ..

وهكذا ، فقد فريق (نور) درعه الأساسى ، وامتلك خصمه السيطرة على الأمور ..

السيطرة التامة(*) ..

« أريد رؤية العميد (ماهر) فورًا .. »

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين ، الأول والثانى ، (الصحوة الكبرى) ، و (عودة الشر) .. المغامرتين رقمى (١٤٧) ، (١٤٨) .

نطق اللواء (عماد) عبارته بلهجة آمرة صارمة ، منتزعًا نفسه من أفكاره بغتة ، فاعتدل العميد (أشرف) فى سرعة وحزم ، ورفع يده بالتحية العسكرية ، قائلاً فى قوة :

ـ فورًا يا سيادة اللواء .

أشار اللواء (عماد) بيده ، قائلاً بنفس الصرامة الآمرة :

ـ اذهب إليه بنفسك .. لا أريد أية اتصالات يمكن تعقُّبها .. هل تفهم ؟!

أجابه العميد (أشرف) فى حسم :

ـ بالتأكيد يا سيادة اللواء .. بالتأكيد .

ثم اندفع لتنفيذ الأمر ، فى حين تراجع اللواء (عماد) مرة أخرى فى مقعده ، وعاد حاجباه ينعقدان فى شدة ، وهو يعيد التفكير فى الأمر ..

من الواضح أن التجربة قد نجحت ..

بل وتجاوزت كل الحدود أيضًا ..

وهذا قد يعنى كل النجاح ..

أو كل الفشل ..

الأمر سيتوقف على كيفية معالجته للأمر ..

وعلى دقة البرنامج شديد التطور ، الذى يحكم التجربة كلها ..

أو على ..

« لا ترهق نفسك بالتفكير طويلاً .. »

انتفض جسد اللواء (عماد) فى قوة ، مع العبارة المفاجئة ، التى انبعثت على مسافة متر واحد منه ، واستدار إلى مصدرها بحركة حادة عنيفة ، قبل أن تتسع عيناه عن آخرهما ، وهو يحدق فى ذلك الرجل ، الذى يقف مبتسماً ، إلى جانب مكتبه تماماً .

إلى العميد (ماهر) ..

شخصياً ..

* * *

فجأة ، انطلقت من حلق (نور) صرخة ..

صرخة بدت وكأنها تنبع من أعمق أعماق مخه ، وليس من حلقه فحسب ..

ومع صرخته ، ارتفعت يداه تمسكان جانبى رأسه فى قوة ، قبل أن يسقط أرضاً ، فى القاعة الخاصة الاحتياطية للفريق ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخت (سلوى) :

ـ يا إلهى !! (نور) ؟!

اندفعت مع الجميع نحوه ، وانحنى الدكتور (حجازى) يفحصه ، فى توتر بالغ ، وهو يهتف :

ـ (نور) .. ماذا أصابك يا ولدى ؟!

وكانت (نشوى) تنفجر باكية ، وهى تردد فى ارتياع :

ـ لا .. ليس أبى .. ليس أبى ..

وغمغم (رمزى) وقد امتقع وجهه بشدة :

ـ رباه ! ترى هل ..

أشار إليه (أكرم) فى صرامة عصبية ، قائلاً :

ـ إياك أن تنطقها .

ومع آخر حروف كلماته ، أشار (نور) بيده ، وهو يقول ، بصوت بدا أكثر شحوباً من وجهه :

ـ أنا بخير .

قالها ، وحاول أن ينهض فى صعوبة ؛ لتهدئة الجميع ، إلا أن ملامحه المتوترة ، وشحوبه الشديد ، وتلك الاضطراب الواضح فى حركته ، وفى فقدانه لتوازنه أثناء النهوض ، كانت كلها تشف عما يعانيه ، حتى إن الدكتور (حجازى) سأله فى قلق شديد :

ـ هل حاول ذلك الوحش اقتحام وجهك ؟!

دفع إليه (أكرم) مقعداً ، وهو يقول فى غضب :

ـ لو فعلها سأقسم ألا يهدأ لى بال ، قبل أن أظفر به .

جلس (نور) على ذلك المقعد فى إرهاق عجيب ، والتقط نفساً عميقاً ، قبل أن يغمغم :

ـ لم يكن هو .

هتفت به (سلوى) ، فى دهشة قلقة :

ـ من إذن ؟!

التقط نفساً آخر ، وهو يغمغم :

ـ إنه اتصال من هناك .

ثم أشار بيده إشارة مبهمة ، قبل أن يتابع فى تهالك :

ـ من (التبت) .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يتمتم :

ـ مرة أخرى ؟!

وتساءلت (نشوى) مرتجفة :

ـ وهل كان اتصالهم العقلى بك عنيفاً إلى هذا الحد ، هذه المرة ؟!

أومأ برأسه إيجاباً ، وهو يقول فى أسى :

ـ نعم .. كان اتصالاً أخيراً .

سأله (رمزى) فى قلق :

ـ ماذا تعنى ؟!

التقط (نور) نفسه مرة أخرى ، وقال فى مرارة :

ـ لقد ظفر بهم ذلك الوغد .

جوابه هذا أطلق فى أجسادهم قشعريرة قوية ، قبل أن تتساءل (سلوى) ، وهى ترتجف للجواب مقدماً :

ـ هل تعنى أنه قد ..

قاطعها (نور) مكرراً ، قبل أن تتم عبارتها :

ـ لقد ظفر بهم .

تراجعت (سلوى) مذعورة ، وقد استوعبت الأمر ، فى حين رفعت (نشوى) كفيها إلى وجهها ، وتمتمت فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما (رمزى) ، فقد تساءل ، والفضول يقلب انفعاله :

ـ هل شعرت بهذا يا (نور) ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، قبل أن يجيب فى توتر شديد .

ـ بل رأيته .

ثم أغلق عينيه ، وكأنما يحاول محو الصورة من ذهنه ، وهو يتمتم :

ـ ويا للبشاعة !

همّ (أكرم) بقول شىء ما ، ولكن (نور) استطرد فجأة بحزم شديد ، وكأنما استعاد نشاطه الطبيعى دفعة واحدة :

ـ لقد فقدنا درعنا .

ردّدت (سلوى) ، فى قلق شديد :

ـ درعنا .

نهض فجأة ، مستعيدًا كل نشاطه ، وهو يقول :

ـ نعم يا (سلوى) .. درعنا .. الدرع العقلى ، الذى كان يُطلق تلك الموجة المضادة ، التى تحجّم نشاط وقوة عقل ذلك الوحش الرهيب .

امتقع وجه الدكتور (حجازى) هذه المرة ، وهو يقول :

ـ رباه ! كيف سنواجهه إذن ؟! لقد كاد يفتك بنا جميعًا ، لولا تلك الموجة المضادة !!

وهتف (أكرم) ، وهو يسحب مسدسه بحركة غريزية :

ـ أتعنى أنه لو هاجمنا الآن ، فسنكون معدومى الحيلة أمامه ؟!

وقبل أن يجيبه (نور) ، قالت (سلوى) فى صرامة :

ـ كلاّ بالتأكيد .

استدار إليها الكل فى تساؤل ، ولكن (نشوى) أضافت فى حزم :

ـ أجهزتنا رصدت تلك الموجة المضادة القوية ، وسجلتها على أجهزة الموجات فائقة القصر ، وبتعديل بسيط فى البرنامج ، يمكن أن نجعلها تنطلق ، فور استقبال الأجهزة لموجته القوية .

سألها (نور) فى اهتمام شديد :

ـ أيمكنكما هذا بالفعل ؟!

أشارت (سلوى) بيدها ، وهى تقول فى شىء من الزهو :

ـ إنك تتحدث إلى خبيرة اتصالات وخبيرة كمبيوتر ، على أرفع مستوى معروف ، فى عالمنا كله ، والأمر سيحتاج منا إلى عشر دقائق فحسب ، و ...

قاطعها (نور) بمنتهى الصرامة :

ـ ابدءا عملكما فوراً إذن ؛ فلسنا ندرى متى سينطلق ذلك الوحش ، بعد أن حقق انتصاره هذا ، وامتلك السيطرة التامة على الموقف ، ولكل ثانية ثمنها الآن .

اندفعت (سلوى) و (نشوى) لتنفيذ الأمر ، وراحت كل منهما تعمل بأقصى سرعتها على أجهزتها ، فى حين التفت (نور) إلى (أكرم) ، قائلاً :

ـ هذا ينطبق علينا أيضاً .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه بمنتهى الحزم :

ـ لكل ثانية ثمنها .

سأله (أكرم) بكل الاهتمام والانتباه :

ـ ما الذى ينبغى أن نفعله بالضبط ؟!

أشار (نور) بيده ، مجيباً فى حسم :

ـ أن نتسلل داخل مركز الأبحاث العسكرية .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة ، ولكن (نور) تابع بنفس الحزم :

ـ أريد أن أعرف ما الذى يدور هناك .. على نحو غير رسمى .

أجابه (أكرم) فى سرعة ، وهو يلوّح بمسدسه :

ـ أنا رهن إشارتك .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم عصبى :

ـ ولكننى أكررها لك يا (نور) .. مركز الأبحاث العسكرية منطقة محظورة ، بالغة الأهمية والخطورة ، والتسلل إليها شبه مستحيل ، حتى بالنسبة لأى رجل أمن .

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ أنت قلتها يا صديقى .. بالنسبة لأى رجل أمن ، ولكننا لسنا رجال أمن عاديين .

وأشار بإبهامه إلى (سلوى) و(نشوى) خلف ظهره ، مستطردًا فى صرامة :

ـ نحن رجال مخابرات علمية .

ارتفع حاجبا (أكرم) لحظة ، ثم عادا ينخفضان ، وهو يبتسم فى حماس ، مغمغمًا :

ـ فهمت يا (نور) .

ونقل الدكتور (حجازى) بصره بينهما فى دهشة ، وعقله يتساءل فى حيرة : ماذا يقصد (نور) بعبارته الأخيرة هذه بالضبط ؟!

ماذا ؟!

ماذا ؟!

* * *

« كيف دخلت إلى هنا ؟! »

هتف اللواء (عماد) بالسؤال ، فى اضطراب شديد ، وهو يحدق فى العميد (ماهر) ، الذى تحرك فى هدوء عجيب داخل الحجرة ، ورمقه بعينين تتألقان على نحو مخيف ، وهو يجيب بصوت عميق رهيب :

ـ لا يوجد جدار ، فى عالمك كله ، يمكنه احتجازى ، أو منعى من الوصول إلى ما أريد .. ومن أريد .

اتسعت عينا اللواء (عماد) وتسللت سبابته إلى زر الإنذار ، المختفى فى إطار مكتبه ، وهو يقول :

ـ وماذا عن أجهزة الأمن ، والـ ...

قاطعه بنفس الصوت المخيف :

ـ كل أجهزتكم المتطورة صُنعت لتحمى الأجساد .

ثم مال نحوه ، وأشار إلى رأسه مباشرة ، مضيفًا :

ـ وليس العقول .

انتفض جسد اللواء (عماد) فى عنف ، واتسعت عيناه حتى بلغتا مداهما ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ يا إلهى ! أنت لست (ماهر) .

تألقت عينا الواقف أمامه أكثر وأكثر ، وبدت ابتسامة وحشية رهيبة ، دون أن يجيب ، فتابع اللواء ، وصوته يرتجف بشدة :

ـ إنك هو .

مع قوله ، تموّج جسد (ماهر) ، وبدا وكأنه قد تحوّل إلى دخان ، راح يتطاير تدريجياً فى الحجرة ، وصوته الرهيب يقول :

ـ بالضبط ..

ثم تشكّل الدخان مرة أخرى ، فى شكل عملاق هائل بلا ملامح ، كاد رأسه يلامس سقف الحجرة ، وهو يضيف :

ـ أنا هو .

شعر اللواء (عماد) بقلبه ينتفض بين ضلوعه ، وبأنفاسه تتلاحق على نحو عجيب رهيب ، وهو يقول بصوت مرتعد :

ـ ما .. ماذا تريد منى ؟!

تبدّد الدخان مرة أخرى ، واستعاد ذلك الشىء هيئة (ماهر) ، وهو يجيب بذلك الصوت الرهيب :

ـ بل ماذا تريد أنت منى ؟!

ردّد اللواء (عماد) ، وقلبه يواصل الخفقان فى عنف :

ـ ماذا أريد ؟!

زمجر ذلك الشىء فى وحشية ، وهو يقترب منه ، قائلاً :

ـ نعم .. ماذا تريد منى ؟! لماذا فعلت بى هذا ؟! لماذا أعدتنى إلى ما أنا عليه ؟! لماذا ؟!

تنحنح اللواء (عماد) ، والتقط نفساً عميقاً ، ربما للسيطرة على مشاعره وانفعالاته ، ومخاوفه أيضاً ، قبل أن ينقر سطح مكتبه فى عصبية ، مجيباً بصوت ، حاول أن يجعله صارماً :

ـ كان من المستحيل أن نهدر سلاحاً كهذا .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى عصبية شديدة :

ـ حتى ولو رفض الكل هذا .

عاد ذلك الشىء يدور فى الحجرة ، فى هيئة (ماهر) ، وهو يقول :

ـ كان قرارك وحدك إذن .

أجابه اللواء (عماد) ، وهو يتابعه بنفس العصبية ، وسبّابته تستعد لضغط زر الإنذار والطوارئ :

ـ هناك دوماً من ينبغى أن يتخذ القرارات الحاسمة ، عندما تتعلّق الأمور بأمن الدولة ، و ...

قاطعه ذلك الشىء بضحكة وحشية ساخرة ، وهو يقول :

ـ أمن الدولة ؟! من تحاول أن تخدع هنا يا رجل ؟! أنسيت أننى أقرأ عقلك مباشرة .

قتلها ، وواصل تحركه ، ليوليه ظهره ، وهو يضيف ، بنفس الوحشية الساخرة :

ـ تماماً كما أقرأه الآن ، وأعلم أنك ستقدم على أكبر حماقة فى حياتك كلها ، بالضغط على ذلك الزر .

انتفض جسد اللواء (عماد) مرة أخرى ، وتراجعت سبابته عن زر الإنذار فى سرعة ، فأطلق ذلك الشىء ضحكة ساخرة أخرى ، وقال :

ـ كيف تفكر حتى فى فعلها .

ثم استدار إليه ، بعينين تحملان وحشية الدنيا كلها ، مستطرداً :

ـ كيف تجهل قدرات شىء أمرت بصنعه ؟!

انعقد لسان اللواء (عماد) فى حلقه ، مع اضطرابه الشديد ، وبحثه عن جواب للسؤال ، ثم لم يلبث أن وجد نفسه يسأل :

ـ أين (ماهر) الحقيقى ؟!

لم يكد السؤال يتجاوز شفتيه ، حتى بدا له شديد الحماقة والسخافة ، إلى الحد الذى جعله يتراجع فى مكتبه أكثر ، وذلك الشىء الوهمى ، الواقف أمامه يجيب :

ـ (ماهر) لم يعد له وجود .

قال (عماد) فى توتر :

ـ ولكننى كنت أتحدث إليه ، عبر هاتف الفيديو ، منذ ساعة واحدة ، ورأيته سليماً معافى ، و ...

قاطعه ذلك الشىء ، فى صرامة وحشية :

ـ أنت ترى ما تريد أن تراه .. أو ما يريد عقلك أن يراه .. أليس كذلك ؟!

سأله اللواء (عماد) ، وصوته يضطرب أكثر وأكثر :

ـ من يدير مركز الأبحاث العسكرية الآن إذن ؟!

بدا صوت ذلك الشىء رهيباً أكثر مما ينبغى ، وهو يقول :

ـ من برأيك ؟!

انتفض جسد اللواء (عماد) ، وهو يقول :

ـ إذن فأنت تعنى أنه ، عندما ذهب وزير الدفاع ، مع القائد الأعلى ، لإجراء التفتيش المفاجئ هناك ، كانا يريان ما أردتهما أن ..

قاطعه ذلك الشىء ، ووحشيته تتزايد :

ـ لم تجب سؤالى بعد .

حدّق اللواء (عماد) فيه بتوتر بالغ ، فتابع بنفس الوحشية :

ـ ماذا تريد منى بالضبط ؟!

تراجع اللواء (عماد) فى مقعده أكثر وأكثر ، وقد بدا له السؤال عجيبًا ، عندما ينطقه شىء كهذا ..

شىء قوى رهيب ، لا تستطيع قوة فى الأرض أن تهزمه ..

أو حتى توقفه ..

شىء كان يمكن أن يغوص فى أعماق عقله ، وينتزع منه كل ما يريد ، دون الحاجة إلى إلقاء سؤال واحد ..

بل كان يمكنه أن يحطم عقله كله ، ويسحقه سحقًا ، لولا أن ..

فجأة ، توقفت أفكاره ، وتجمدت عند نقطة واحدة ..

وزمجر ذلك الشىء فى وحشية ..

وحشية بلغت أكبر مدى لها ، منذ تواجده على هذه الصورة الجديدة ..

لقد قرأ عقل اللواء (عماد) ..

وأدرك ما أدركه ..

وما انتبه إليه ..

ولقد اعتدل اللواء (عماد) فى مقعده ، وبدا حاسمًا صارمًا ، مستعيدًا لكل نشاطه وثقته ، وهو يقول :

ـ هيا .. اقتلنى .

زمجر ذلك الشىء مرة أخرى ، وهو ينبذ جسد (ماهر) ، ويتحول إلى تلك الهيئة العملاقة ، وكأنما يحاول بث الخوف فى نفس نائب رئيس مخابرات رياسة الجمهورية ، الذى بدا هادئًا متماسكًا ، على نحو لا يتناسب قط مع الموقف ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويعقد كفيه خلف ظهره ، فى وقفة عسكرية حازمة ، متابعًا .

ـ لماذا تتردد .. إننى أتحداك .. بل وأسخر منك ومن قدراتك أيضًا .. هل ستسمح بوجود شخص يعاملك بهذا الازدراء ، الذى عاملك به الجميع قديمًا ؟!

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يضيف :

ـ هيا .. لا تتردد .. اقتلنى .

أطلق ذلك الشيء الرهيب زمجرة هائلة ، وانقضّ على اللواء (عماد) بكل قوته :

ولكن هذا الأخير لم يتراجع .

بل ولم يتحرك قيد أنملة ..

لقد ظلّ هادئاً متماسكاً فى قوة وثقة ، على الرغم من تلك الانقضاضة الوحشية الرهيبة ..

وتلاشى جسد ذلك العملاق ، كما لو أنه سحابة من دخان ، ارتطمت بجدار من الثلج ..

وفى بطء شديد ، عادت صورة (ماهر) الوهمية تتشكل ..

وفى هذه المرة ، كانت هادئة ، مستكينة ، دون ابتسامات ساخرة ، أو نظرات وحشية ..

وهنا ، ابتسم اللواء (عماد) ابتسامة واثقة ظافرة ، وهو يعود إلى ما خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ عظيم .. الآن يمكننا أن نتحدث بهدوء أكثر .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

ـ وبندّية أكثر .

قالها ، وأطلق ضحكة ظافرة طويلة ..

ضحكة تحتاج إلى ألف سؤال ..

وألف جواب ..

على الأقل .

* * *

٢ـ التجربة الرهيبة ..

« هذا البرنامج شديد التطور ، يطلقون عليه اسم (المخ) .. »

نطقت (نشوى) العبارة ، وهى تشير إلى شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، فتطلع الجميع إلى البرنامج ، الذى انتزعته (نشوى) بمهارة مذهلة ، من أعمق أعماق شبكة المعلومات بالغة السرية ، وغمغم الدكتور (حجازى) فى توتر :

ـ وما الذى يفعله هذا البرنامج بالضبط ؟!

أجابته (نشوى) فى سرعة :

ـ يخزّن الذكريات .

ارتفع حاجبا (رمزى) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ يخزّن الذكريات ؟! هذا مستحيل يا (نشوى) .. ذكريات الإنسان ليست شيئًا محدودًا يمكن تخزينه .. الذكريات عبارة عن شبكة شديدة التعقيد ، تمتد عبر كل خلايا المخ بلا استثناء ، فتعرّف الذاكرة على شىء ما ، هو نتاج تعاون دقيق ، بين الذاكرة البصرية ، والسمعية ، وحاسة اللمس ، والشم ، وكل وسائل التعرّف الأخرى(*) .

(*) حقيقة .

قالت (نشوى) فى حزم :

ـ كل هذا يقوم البرنامج بتخزينه .

ثم اعتدلت ، وبدأت تحرك يديها ، لتشرح الأمر بدقة أكثر ، متابعة :

ـ هل تذكرون تلك الخوذة القديمة ، التى تستخدم أشعة جاما ، لترجمة مشاعر الإنسان وقراراته ، والتى استخدموها فى إحدى الأزمنة ؛ كجزء من برامج الألعاب الإليكترونية ، ثم تطورت فيما بعد ، فى نهايات القرن العشرين ؛ لتساعد الطيارين على تحديد أهدافهم ، والتصويب نحوها ، وإطلاق القذائف أيضًا ، عن طريق ترجمة أوامرهم العقلية مباشرة ، فى ظل السرعة الرهيبة ، التى تنطلق بها مقاتلاتهم(*) ؟!

قالت (سلوى) فى اهتمام :

ـ نعم .. أذكر هذا جيدًا ، وأذكر أيضًا أنهم قد كشفوا تأثيراتها السلبية على العقول ، فى بدايات القرن الحادى والعشرين ، وتسببها فى إضعاف الذاكرة على المدى الطويل ، فأوقفوا استخدامها ، ولجئوا إلى تقنية مختلفة تمامًا .

أشارت (نشوى) بسبابتها ، قائلة :

ـ بالضبط .. لقد أوقفوا استخدام الخوذة العقلية ، فى

(*) حقيقة .

الأسلحة الجوية ، ولكن العلماء واصلوا تطوير برنامجها ، حتى أصبح فى إمكانها ، ليس ترجمة الأوامر العقلية إلى موجات رقمية فحسب ، ولكن رصد وتسجيل كل الإشارات المخية ، مهما بلغت ضآلتها ، ومع التكنولوجيا وتطوراتها ، أصبح فى إمكانهم تسجيل وتخزين الذاكرة البشرية أيضا .

غمغم (رمزى) :

ـ رباه ! التطور العلمى يفزعنى فى بعض الأحيان .

أما (نور) فسأل (نشوى) فى اهتمام شديد :

ـ هل تعتقدين أنهم استخدموا هذه التقنية ، لرصد كل قدرات عقل ذلك المسخ ، مع ذاكرته المختزنة ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول فى انفعال :

ـ شبكة المعلومات الرياسية لم تذكر هذا ، ولكنه أمر منطقى للغاية ، فلو أنهم استخدموا تلك التقنية ، فى انتزاع وتخزين قدرات عقل ما ، ثم وضعوا كل هذا فى برنامج ، يسعى إلى تطوير وإطلاق تلك القدرات ، فمن الممكن أن يتسبب هذا فى وجود ذلك الشىء .

قال الدكتور (حجازى) فى حيرة متوترة :

ـ ولكنه ينطلق بإرادة حرة تمامًا يا بنيتى ، وحتى أحدث وأعقد تكنولوجيا الذكاء الصناعى ، لم تنجح بعد فى إنتاج برنامج رقمى ، يمكنه أن يمتلك إرادة منفردة ومستقلة كهذه .

أجابته (نشوى) فى سرعة :

ـ ربما فى مجال الأبحاث المدنية يا دكتور (حجازى) ، وليس فى تكنولوجيا الأبحاث العسكرية ، التى تسبق عادة كل الأبحاث الأخرى بعدة مراحل ؛ لضمان السيطرة على كافة الأمور ، ولقد كان الهدف ، من تطوير هذا البرنامج ، هو الحفاظ على قدرات ومواهب وذاكرة العسكريين الكبار ، وبرمجتها فى أجهزة كمبيوتر عسكرية خاصة ، بحيث يمكنها المشاركة فعليًا فى المعارك ، وإصدار الأوامر والقرارات للجنود ، بناء على تطورات الموقف على أرض المعركة ، وخبراتهم السابقة فى القتال .

هزّ (أكرم) رأسه ، قائلاً :

ـ يا للسخافة ! لست أتصوّر نفسى قط فى ميدان قتال ، أواجه خصمًا بشريًا ، وأتلقّى أوامرى من جهاز كمبيوتر !!

قالت (سلوى) فى خفوت :

ـ إنها لن تكون عندئذ أجهزة كمبيوتر عادية ، بل عقول إليكترونية جبّارة ، و ...

قاطعها (أكرم) فى صرامة :

ـ ولو .. فى ميدان القتال ، لايمكننى أن أثق إلا فى هذا ، وذاك .

قالها ، وأشار إلى رأسه ومسدسه ، فتمتم (نور) :

ـ كلنا هذا الرجل .

ثم استطرد فى حزم :

ـ ولكن أين يجرون أبحاث مشروع (المخ) هذا ؟!

تنهدت (نشوى) ، قائلة :

ـ للأسف ، لم تشر شبكة المعلومات الرياسية السرية إلى هذا قط ، مما يوحى بأن الأمر بالغ السرية ، إلى حد يتجاوز القواعد الرئيسية .

مطَّ (نور) شفتيه فى أسف ، إلا أنها تابعت فى حزم :

ـ ولكن لدى نظرية .

سألها (أكرم) فى اهتمام :

ـ وما هى ؟!

التقطت نفساً عميقاً ، وازدردت لعابها ؛ لترطيب حلقها ، والسيطرة على أعصابها ، قبل أن تجيب :

ـ عندما راجعت قائمة الأبحاث والتجارب العسكرية ، التى أرسلها لى القائد الأعلى ، كانت كلها مطابقة ، ولكنها لم تحو أية إشارة لتلك التجربة ، التى أخبرك عنها القائد الأعلى يا أبى ، والتى يجرونها فى القاعة الرئيسية ، لمركز الأبحاث العسكرية ، حول الدروع المقاومة للانفجارات .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يسألها :

ـ ماذا تعنين بالضبط ؟!

أجابته فى حزم منفعل :

ـ أعنى أن ما رآه وزير الدفاع ، والقائد الأعلى ، فى قاعة التجارب الرئيسية ، فى مركز الأبحاث العسكرية ، والذى أشير إليه ، باعتباره تجربة حول دروع مقاومة للانفجار ، كان فى الواقع التجربة التى نبحث عنها ، والتى نعانى منها .. تجربة (المخ) .

سرت قشعريرة قوية ، فى أجساد الجميع ، مع قولها هذا ، ثم التفت (نور) إلى (أكرم) ، قائلاً :

ـ أعتقد أن هذا يحسم الأمر ، بالنسبة لمشروعنا الخاص .. أليس كذلك ؟!

اعتدل (أكرم) فى حزم، وشد قامته، ورفع مسدسه أمام وجهه، وهو يقول:

- بالتأكيد.

قال الدكتور (حجازى) فى عصبية:

- ما زلتما تصران على القيام بهذه المغامرة الجنونية.

أجابه (نور) فى صرامة:

- بكل تأكيد يا دكتور (حجازى).. ربما كانت مغامرة جنونية، ولكن لم يعد لدينا الخيار.

واستدار إلى (سلوى) و(رمزى) و(نشوى)، مضيفًا:

- كفريق.

ومرة أخرى، لم يفهم الدكتور (حجازى) ما يعنيه هذا..

لم يفهم أبدًا..

* * *

بدا الدكتور (جلال)، مدير مركز الأبحاث، التابع للمخابرات العلمية المصرية، شديد التوتر، وهو يلتفت إلى حجرة القائد الأعلى، قائلاً:

- لقد تلقينا الرد، من مركز الأبحاث العسكرية، بخصوص استدعاء الجندى (وائل رءوف) والعميد (ماهر).

اعتدل القائد الأعلى، وهو يسأله فى اهتمام:

- ماذا قالوا ؟!

التقط الدكتور (جلال) نفسًا عميقًا وهو يجيب:

- لقد رفضوا الحضور.

هتف القائد الأعلى فى غضب:

- رفضوا ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا، وقال فى توتر:

- رفضوا بناءً على أوامر مخابرات رياسة الجمهورية، التى أرسلت إلينا إشارة بدورها، تقول: إن استدعاء أى شخص، من مركز الأبحاث العسكرية محظور، إلا بالنسبة لمخابرات الرياسة وحدها؛ لأن هذا يتعارض مع الأمن القومى.

ردد القائد الأعلى، فى استنكار غاضب:

- الأمن القومى ؟! وكيف هذا ؟!

وبدا غاضبًا بشدة، وهو يتابع:

- المفترض أننا أحد الجهات العليا، المسئولة عن حماية الأمن القومى، وليس من المنطقى حظر تعاملنا مع أى شخص، مهما بلغت رتبته، أو بلغ موقعه، لحماية الأمن القومى !!

وانعقد حاجباه فى شدة ، مع استطرادته :

ـ إلا لو كان هناك جانبان للأمن القومى .

قالها ، واستغرق فى التفكير بعض الوقت ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ من وقع إشارة مخابرات رياسة الجمهورية .

ألقى الدكتور (جلال) نظرة على شاشة كمبيوتر الجيب ، قبل أن يقول فى اهتمام :

ـ اللواء (عماد وجيه) ، نائب رئيس المخابرات هناك .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ أريد معرفة كل البيانات اللازمة عن اللواء (عماد) هذا .

ارتفع حاجبا الدكتور (جلال) فى دهشة ، قبل أن يقول :

ـ سيدى القائد .. أنت تعلم جيدًا أننا نستطيع معرفة بيانات أى شخص ، فى (مصر) كلها ، فيما عدا أفراد مخابرات رياسة الجمهورية ، فهم فئة خاصة للغاية ، محاطة بسرية بالغة ، لا يحق لأى مخلوق كشفها ، إلا السيد رئيس الجمهورية وحده دون سواه .

مط القائد الأعلى شفتيه بضع لحظات ، ثم قال فى اهتمام :

ـ وماذا عن صورهم ؟!

تساءل الدكتور (جلال) فى حذر :

ـ ماذا عنهم ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

ـ هل يمكننا مطالعة صورهم دون بياناتهم ؟!

تساءل الدكتور (جلال) ، وقد تضاعف حذره :

ـ وبم يمكن أن يفيد هذا ؟!

مال القائد الأعلى إلى الأمام ، قائلاً :

ـ عندما بحث (نور) وفريقه عن بيانات العسكريين ، اللذين اقتحما المشرحة ، واستوليا على جثة تلك المسخ ، الذى واجه جزءًا منه الآن ، أمكنهم معرفة أحدهم ، والذى لقى مصرعه فيما بعد فى وحشية ، وعجزوا عن معرفة الثانى ، الذى يملكون صورة تكوينية له بدون بيانات ، ولدينا هنا اسم لشخص ، يمنعنا من فحص رجلين ، نعتقد أن لديهما ما يمكن أن يحل اللغز ، وكل ما أسعى إليه هو ربط الاسم بالصورة .

غمغم الدكتور (جلال) :

ـ آه .. فهمت .

واستغرق فى التفكير بدوره لبضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ ولكن هذا يحتاج إلى اختراق شبكة المعلومات السرية لمؤسسة الرياسة ، وهذا أمر بالغ الحساسية والخطورة .

عاد القائد الأعلى يتراجع فى مقعده ، وهو يقول :

ـ ربما .. ولكن لدينا من يمكنه القيام بهذا .

وانعقد حاجباه فى قوة ، وهو يضيف :

ـ (نشوى) ، ابنة (نور) .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته هذه ، كانت (نشوى) تقول لوالدها وزميله (أكرم) ، فى جدية متوترة :

ـ البرنامج الذى قمنا بتطويره ، أمى وأنا ، لن يمكنه تأمين الحماية اللازمة لكما ، ولكنه سيحد من قوة تأثير ذلك الوحش على عقليكما .

غمغم (أكرم) فى توتر :

ـ أمر منعش بحق .

ناولته (سلوى) سماعات أذن ، تشبه تلك التى يستخدمها الشباب ؛ لسماع أغنيات الأجهزة الرقمية المحمولة ، قائلة :

ـ لقد أحطنا مقرّنا هذا بحاجز قوى ، من تلك الموجة المضادة ، يمكنه أن يعمل طوال الوقت ، ليؤمّن لنا بعض الحماية ، من محاولاته لاختراق عقولنا ، وسيحمى (مشيرة) أيضًا من تأثيراته ، حتى تستعيد وعيها ، ولكن بالنسبة لكما ، سيكون عليكما وضع هذه السماعات على أذنيكما وتشغيلها طوال الوقت ، ما دمتما خارج هذا المكان .

سألها (نور) ، وهو يتناول سماعته بدوره :

ـ هل ستمنعه من السيطرة على عقلينا فحسب ، أم أنها يمكن أن تمنعه من رصدنا أيضًا ؟!

هزّت (سلوى) رأسها ، قبل أن تجيب فى ضيق :

ـ لا هذا ولا ذاك للأسف .. إنها ستخفّف من تأثير عقله على عقليكما فحسب .

سألها (أكرم) ، فى شىء من العصبية :

ـ وبم يمكن أن يفيدنا هذا ؟!

أجابته فى حزم :

ـ بأن يمنعه من دفع أحدكما إلى قتل الآخر على الأقل .

انعقد حاجباه فى شدة ، وبدا له أنها تشير إلى ما فعله مع (نور) من قبل ، فأشاح بوجهه فى توتر ، وتمتم :

ـ بالتأكيد .

ربت (نور) على كتفه ، فى محاولة لتهدئة انفعاله ، وهو يسأل (نشوى) فى اهتمام :

ـ هل تعتقدين أنه بإمكانك لعب دورك جيدًا ؟!

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ الأمر ليس بالصعوبة التى تتصورها يا أبى .. سأنتظر إشارتكم ، ثم أقتحم شبكة المعلومات العسكرية ، ومنها إلى نظام التأمين الإليكترونى ، فى مركز الأبحاث ، وأوقف عمله لدقيقة كاملة ، يمكنكم خلالها التسلل إلى المكان .

غمغم :

ـ عظيم .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انبعث صفير قصير من جهاز الكمبيوتر ، الخاص بـ (نشوى) ، فالتفتت هى إليه ، وقالت فى اهتمام :

ـ إنها رسالة من القائد الأعلى .

ضغطت أحد أزرار الكمبيوتر ، لفك شفرة الرسالة ، قبل أن تتابع فى اهتمام أكثر :

ـ لقد أرسل لنا اسم أحد قادة مخابرات رياسة الجمهورية ، ويطلب منا البحث عن بياناته .

غمغم (نور) ، وهو يقرأ رسالة القائد الأعلى بدوره :

ـ أو صورته على الأقل .

التقت عيونهم جميعًا ، مع نهاية عبارته ، وبدا وكأنهم قد استوعبوا تمامًا ما ينشده القائد الأعلى بمطلبه هذا ، وغمغم (أكرم) فى انفعال :

ـ من يدرى ؟! ربما تطابقت الصورة مع الاسم .

غمغمت (نشوى) ، وهى تبدأ عملها على الكمبيوتر بالفعل :

ـ أتعشم هذا .

كان الجميع يتابعون أصابعها ، وهى تتقافز على أزرار الكمبيوتر ، عندما ندت شهقة مكتومة من (مشيرة) ، التى فتحت عينيها فى ضعف ، مغمغمة :

ـ أين أنا ؟!

اندفع (أكرم) نحوها ، واحتواها بين ذراعيه فى حنان ، قائلاً :

ـ أنت هنا يا حبيبتى .. إلى جوارى .. لا أحد ، ولا شىء يمكنه أن يمس شعرة واحدة منك ، ما دمت أنا على قيد الحياة .

حدقت (مشيرة) فى وجهه ، وكأنها تراه لأول مرة ، ثم نقلت بصرها بين وجوه الجميع ، وعيناها تحملان نظرة ذعر عجيبة ، قبل أن تقول بصوت مرتجف :

ـ لقد كان هنا .. أليس كذلك ؟!

أجابتها (سلوى) ، وهى تتحسّس شعرها فى حنان متعاطف :

ـ بلى ، ولكنه لم ينجح فى هزيمتنا .

ارتجف صوت (مشيرة) أكثر ، وهى تقول :

ـ سيعود .

نطقتها فى ثقة شديدة ، جعلت الجميع يتطلّعون إلى بعضهم فى دهشة قلقة ، قبل أن يقول (نور) فى حزم :

ـ وسيجدنا مستعدين لمواجهته .

هزّت (مشيرة) رأسها فى قوة ، قائلة فى حدة :

ـ أنتم لا تفهمون .

احتضنها (أكرم) فى حنان ، وهمس فى أذنها :

ـ اهدئى يا عزيزتى .. لقد انتهى الأمر بسلام ، و ...

قاطعته فى حدة ، وهى تدفعه بعيداً عنها :

ـ إنه يتطوّر فى كل يوم ، ويزداد قوة فى كل دقيقة ، وبعد أن أفقدكم درعكم ، لن يمكنكم الصمود فى وجهه طويلاً .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يهتف :

ـ أفقدنا درعنا ؟! كيف علمت هذا ؟!

حدقت (مشيرة) فى وجهه بذعر ، جعله يستطرد فى صرامة :

ـ لقد كنت فاقدة الوعى ، عندما فعل هذا ، فكيف أدركت حدوثه ؟!

تنحنح (رمزى) ، قائلاً :

ـ ربما سمعته أثناء غيبوبتها يا (نور) ، وسجله عقلها الباطن ، وعندما استعادت وعيها ، رددته فى آلية .

قال الدكتور (حجازى) فى انفعال :

ـ هذا يحدث كثيراً يا (نور) ، ولهذا ينصح الأطباء بالتحدث مع المصابين بغيبوبة طويلة ، وشرح كل ما يحدث من تطورات عائلاتهم لهم ، حتى لا تصيبهم صدمة التغيير ، عند عودتهم إلى الوعى (*) .

بدا لهم وكأن (نور) لم يسمع كلمة واحدة مما قالاه ، وهو يكرّر سؤاله على مسامع (مشيرة) ، فى صرامة أكثر :

ـ كيف عرفت يا (مشيرة) ؟!

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ (نور) لقد استيقظت على التو من غيبوبة عميقة ، وليس من اللائق أن تضغط عليها على هذا النحو ، أو ...

« لقد رأيت ما حدث .. »

قاطعته (مشيرة) بالعبارة ، التى نطقتها بحروف شديدة الارتجاف ، فاتسعت عينا (أكرم) ، وهو يحدّق فيها بكل دهشة الدنيا ، وكذلك فعل الآخرون ، فيما عدا (نور) ، الذى سألها بمنتهى الاهتمام :

ـ ماذا رأيت بالضبط ؟!

(*) حقيقة .

امتقع وجه (مشيرة) ، على نحو عجيب ، وزاغت عيناها بشدة ، وهى تلوّح بيدها المرتجفة ، قائلة :

ـ رأيته يقتلهم جميعاً .. أولئك الرهبان البوذيين .. لقد أراق دماءهم هناك .. فى معبد وسط الجبال ، التى كست الثلوج قممها ، دون أدنى رحمة .

شهقت (سلوى) ، مغمغمة :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما (نور) فقد قال فى انفعال :

ـ بالضبط .. لقد رأيت ما رأيته أنا .. كلانا رأى الواقعة البشعة نفسها ، ولكن من زاويتين مختلفتين تماماً .. أنا رأيتها من عيون الرهبان ، وأنت رأيتها من عينيه هو .

انتفض جسد (مشيرة) فى عنف ، وهى تقول :

ـ لا ..

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يحدّق فى وجهها كالآخرين ، فتابعت وهى ترتجف بشدة ، كريشة فى مهب الريح :

ـ إنه لا يمتلك أية عيون .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يحدق فيها بدهشة مستنكرة ، وكذلك فعل (رمزى) والدكتور (حجازى) ، فى حين أطلقت (سلوى) شهقة ، امتزجت بصوت (نشوى) ، وهى تقول من خلفهم فى عصبية :

ــ مستحيل !

استدار إليها (نور) و(سلوى) فى قلق ، فتوقفت هى عن العمل ، على جهاز الكمبيوتر ، والتفتت إليهما ، قائلة فى عصبية أكثر :

ــ لا يمكننى دخول شبكة معلومات الرياسة ، ولا حتى شبكة المعلومات العسكرية .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين سألتها (سلوى) فى قلق شديد ، وصوت متوتر :

ــ وكيف هذا ؟!

أطلقت (نشوى) زفرة عصبية ملتهبة ، من أعمق أعماق صدرها ، ثم لوّحت بيدها فى توتر كامل ، مجيبة :

ــ لقد أغلقوا الأبواب .

وبدا صوتها مفعمًا بالمرارة ، وهى تضيف :

ــ كل الأبواب .

وازداد انعقاد حاجبى (نور) بشدة ؛ فهذا يعنى أن الأمور تتطوّر فى سرعة ، وفى ضد اتجاه مصلحة الفريق ..

أو مصلحة العالم ..

أجمع ..

* * *

٢ ـ الأبواب الخلفية ..

ارتجفت طبيبة الفريق العلمي ، المشرف على تلك التجربة الرهيبة ، في مركز الأبحاث العسكرية ، وهي تسير في ذلك الممر الطويل ..

كان ممراً مظلماً ، بارداً كالثلج ، وقد تناثرت فيه الجثث ..

جثث جنود الحراسة القتلى ، التي مزقتها رصاصاتهم أنفسهم ، والغارقة في بركة متجمدة من الدماء ، على طول الممر ..

ومع مسيرتها ، راحت الطبيبة ترتجف أكثر ..

وأكثر .

وأكثر ..

وانتفض قلبها بين ضلوعها ، عندما بدا لها أن ذلك الممر الرهيب لا ينتهي أبداً ..

إنه يبدو كما لو أن أرضيته تمتد إلى ما لا نهاية ..

وحاولت هي أن تزيد من سرعتها ..

وأن تتقدم ..

وتتقدم ..

وتتقدم ..

ولكن الممر كان يمتد أمامها ، مهما قطعت منه ، ومهما زادت من سرعة سيرها فيه ..

لذا ، فقد تحول سيرها إلى جري سريع ..

أو هكذا أرادت ..

ولكن ساقيها لم تطاوعاها أبداً ..

كانتا ثقيلتين ، مرهقتين ، مكدودتين ، كما لو أنهما قد التصقتا بالأرض ، أو كأن قدميها قد غاصتا في الدماء ، وتجمدتا معها ..

ومع شدة رعبها ، أرادت أن تصرخ ..

أن تستنجد ..

أن تستغيث ..

ولكن الكلمات أيضاً كانت ثقيلة في حلقها ..

والعمر أمامها يمتدّ ..

ويمتدّ ..

ويمتدّ ..

وفجأة، شعرت بيد ثقيلة، تمسك كتفها من الخلف، فانتفض جسدها بمنتهى العنف، وهى تتلفت خلفها، و ..

وتجمدت كل ذرة من كيانها ..

تجمدت برعب ما بعده رعب، وهى تحدق فى ضابط الحراسة، الذى تغطى وجهه المزرق بالدم، ويبدو رهيبًا مخيفًا، مع جانب جمجمته، الذى نسفته رصاصات جنوده، وهو يتطلع إليها بعينين جاحظتين مخيفتين، قائلاً بصوت عميق رهيب:

ـ هل تحاولين الفرار ؟!

وانتفض جسدها مرة أخرى فى عنف ..

وراحت تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

و ...

« ماذا أصابك ؟! »

انتزعها صوت رئيس الفريق، من ذلك الكابوس البشع، فهبت جالسة على فراشها، وجسدها كله يرتعد فى قوة، وحدقت فى وجه الرجل، بكل رعب الدنيا، وهو يقول فى قلق شديد:

ـ كنت تصرخين أثناء نومك.

دفنت وجهها بين كفيها، وأجهشت فى البكاء، وهى تقول:

ـ رباه ! لقد كان كابوسًا بشعًا.

زفر الرجل فى مرارة، وهو يجلس على طرف فراشها، قائلاً:

ـ ما من كابوس، يمكن أن يفوق ما نحياه بالفعل.

واصلت البكاء، وهى تتمتم:

ـ صدقت.

أطلق هو زفرة أخرى، قبل أن يقول فى توتر شديد:

ـ لقد انتهينا من دفن جثث الضباط والجنود .. لا يمكنك أن تتصورى بشاعة هذا الموقف .. لقد كان الـ ...

قاطعته فى ذعر :

ـ لا تصف شيئاً .. لن يمكننى احتمال هذا ..

وافقها بإيماءة من رأسه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فشهقت محاولة إنهاء بكائها ، ثم مسحت وجهها ، وهى تسأله :

ـ هل تعتقد أن مصيرنا سيصبح كمصيرهم ؟!

سرت فى جسده ارتعادة ، لمجرد تصوّر الأمر ، وقال بصوت مرتجف :

ـ هذا يتوقّف على احتياجه إلينا .

غمغمت ، وهى تتلفت حولها ، وكأنها تخشى أن يسمعها ذلك الشىء الرهيب المخيف :

ـ المفترض أن يحتاج إلينا طوال الوقت ، فمن المستحيل أن يبقى بدوننا .. لهذا منحنا فترات للنوم والراحة ، عندما أدرك أننا نحتاج إلى هذا .

قال فى همس متوتر :

ـ إنه يتطوّر باستمرار .

غمغمت :

ـ ليس إلى حد الاستغناء عنا .

هزّ رأسه ، وهو يطلق زفرة جديدة ، مغمغماً :

ـ من يدرى !

امتقع وجهها أكثر وأكثر ، والرعب يسرى فى كيانها كله ، خشية أن تنتهى حاجة ذلك الشىء إليهم ، فيقضى عليهم بلا رحمة ، وتساءلت فى خفوت شديد :

ـ أى مدى بلغه ، أثناء فترة نومى ؟!

قال فى أسى واضح :

ـ إنه ينطلق الآن بمنحنيات معكوسة .

هتفت فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! لقد تجاوز الحد الأقصى بالفعل .

أومأ برأسه إيجاباً ، وقال :

ـ وما زال يتطوّر .

ردّدت فى رعب :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

زفر الرجل مرة أخرى ، ثم نهض ، وهو يلقى نظرة على ساعته قائلاً فى توتر :

ـ أعتقد أن موعد نوبة العمل قد اقترب ، وعلينا أن نتجه إلى قاعة الأبحاث الرئيسية ، خلال دقيقتين فحسب .

نهضت بدورها ، وهى تسأله فى عصبية :

ـ أهو هنا ؟!

بدت عليه الدهشة ، وهو يجيبها :

ـ إنه دومًا هنا .

قالت فى توتر :

ـ لست أعنيه هو ، وإنما طاقته .

أطلّ التساؤل من عينيه ، فتابعت هامسة :

ـ عندما تبلغ منحنياته أقصاها ، يكون عادة خارج حدودنا هنا .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يدرس كلماتها هذه ، فتابعت بنفس الهمس المتوتر :

ـ لقد لاحظت أن استجاباته الداخلية تبلغ أدناها ، عندما تنطلق منحنياته إلى أقصاها .

تمتم ، وهو يفكر فى عمق :

ـ هذا صحيح .

لوّحت بيدها ، قائلة :

ـ إنه لا يكون هنا إذن .. أعنى فعليًا .

رفع رئيس الفريق عينيه إليها ، وهو يقول :

ـ نظرية مدهشة .

ثم شرد ببصره بعيدًا ، مع استطراداته :

ـ ومفيدة للغاية .

ارتجف جسدها ، وهى تسأله :

ـ فيم تفكّر ؟!

أدار عينيه إليها ، وهو يقول فى حزم ، فارقه طوال الفترة السابقة :

ـ من الأفضل ألا تعرفى فيم أفكّر .. عقل واحد أفضل من عقلين .

وصمت لحظة ، ثم أضاف بنفس الحزم :

ـ فى هذه الظروف على الأقل .

واتسعت عينا طبيبة الفريق عن آخرهما ..

وحدقت فيه بارتياع واضح ..

فلقد فهمت بالفعل ما يعنيه ..

فهمته ، وارتجفت كل خلية فى جسدها لفهمه ..

فما يعنيه كان خطيراً بالفعل ، فى موقف كهذا ..

خطير ورهيب ..

وإلى أقصى حد ..

* * *

تألقت عينا اللواء (عماد) ، فى ظفر واثق ، وهو يبتسم ابتسامة عريضة ، فى مواجهة تلك الصورة الوهمية للعميد (ماهر) ، وقال :

ـ من حسن الحظ أن راودتنى هذه الفكرة ، عندما كانوا يضعون برنامجك الرئيسى يا هذا .

زمجر ذلك الشىء فى غضب ، ولكن اللواء (عماد) تجاهله تماماً ، وهو يتابع بنفس الثقة :

ـ لهذا وضعت ذلك الباب الخلفى ، الذى يسمح لى بالسيطرة على كل الأمور ، إذا ما تعقدت الأحداث ، وبدا وكأن السيطرة ستفلت من بين أصابعى .

قال ذلك الشىء ، عبر الصورة الوهمية :

ـ وهل تعتقد أن هذا يمكن أن يمنعنى ؟!

هزّ اللواء (عماد) كتفيه ، وقال :

ـ ليس من السيطرة على العالم بالتأكيد ؛ فهذا هو الهدف الرئيسى لوجودك ، ولمنحك فرصة هذه الانطلاقة الثانية .

ثم مال نحوه ، مستطرداً بنفس الثقة :

ـ ولكن السيطرة لن تمتد إلىّ ، بأى حال من الأحوال .

زمجر ذلك الشىء مرة أخرى ، وقال :

ـ لن يمنعنى شىء من قتلك ، وقتما أريد .

هزّ اللواء (عماد) كتفيه مرة أخرى ، فى لا مبالاة ، وهو يقول :

ـ وماذا يمنعك الآن ؟!

ثم نهض من خلف مكتبه ، وفرد ذراعيه على جانبيه ، مضيفاً :

- هأنذا أقف أمامك مستسلمًا .. هيا .. اقتلنى ..

ماذا تنتظر ؟!

مرة أخرى ، انطلقت تلك الزمجرة الوهمية ، فى عقل اللواء (عماد) ، فأطلق ضحكة ساخرة ، قائلاً :

- أنا وأنت ندرك تمامًا هذه الحقيقة يا هذا .. برنامجك الرئيسى يحوى نقطة ضعف قوية ، تمت حمايتها بكل الوسائل الممكنة .. نقطة قد تسمح لك بالتسلل إلى جزء من عقلى ، وصنع تلك الصورة الوهمية داخله ، إلا أنها تمنعك تمامًا من بلوغ باقى أجزاء عقلى ، أو محاولة إيذائى ، بأى شكل من أشكال السيطرة العقلية الفائقة ..

قال ذلك الشىء فى غضب :

- كل شىء يمكن تجاوزه .

مطَّ اللواء (عماد) شفتيه ، وهو يعود إلى خلف مكتبه ، قائلاً :

- ليس على نحو مطلق .

ثم لوَّح بكفه ، مستطردًا :

- ثم إنه لا يوجد مبرِّر واحد لصراعنا .. المفترض أن نتعاون ، لا أن نتقاتل .

سأله ذلك الشىء الوهمى :

- وكيف هذا ؟!

مطَّ اللواء (عماد) شفتيه مرة أخرى ، قائلاً :

- أنت تريد الانتقام من البشر ، وأنا أرغب فى السيطرة عليهم .

قال ذلك الشىء فى مقت :

- ليس الانتقام فحسب .. أريد إفنائهم تمامًا .

أشار اللواء (عماد) بسبابته ، قائلاً :

- خطأ يا هذا .. لو أفنيتهم فلن تحقق انتقامك ، الذى تسعى إليه وتنشده .. إذلالهم أكثر إمتاعًا بكثير من قتلهم ، مهما كانت بشاعة القتل .. صدقنى .. السيطرة على العالم متعة ، لا يمكن أن تدانيها متعة فى الوجود .. متعة السطوة تفوق دومًا كل المتع الأخرى بل هى السبيل لمنحك كل المتع الأخرى .

قال الشىء فى وحشية :

- لست أنشد أية متع أخرى .

أطلق اللواء (عماد) ضحكة قصيرة ، وقال :

ـ أمر طبيعي ؛ فالإحساس بالمتعة يحتاج إلى جسد يمكنه أن يستمتع ، وأنت بلا جسد ، وفي غيابه تتلاشى كل المتع الحسية ، وتصبح كلها بلا قيمة .

ثم ابتسم ، مضيفًا ، وعيناه تتألقان في شدة :

ـ لهذا سنتعاون .. اترك لي أنا كل المتع الحسية ، واظفر أنت بمتعة قهر البشر ، وإذلالهم ، وتحويلهم إلى خدم وعبيد ، تحت السيطرة الكاملة .

والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يضيف :

ـ سيطرتي أنا .

زمجر الشيء مرة أخرى ، فابتسم اللواء (عماد) ابتسامة أكبر ، قائلًا :

ـ أعني سيطرتنا المشتركة .

لم يصدر أي صوت من ذلك الشيء هذه المرة ، وهو يتطلّع إليه بعيني الصورة الوهمية للعميد (ماهر) ، فتابع في حزم :

ـ وأعتقد أنه ليس أمامك خيار فعلي ، في رفض هذا العرض أو قبوله .

صمت ذلك الشيء بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول بصوته المخيف :

ـ ربما .

نهض اللواء (عماد) من خلف مكتبه في حزم ، قائلاً :

ـ لا يوجد ربما ، وكلانا يعلم هذا جيدًا .

بدت له تلك الصورة الوهمية جامدة باردة ، فعاد يجلس على مقعده الوثير ، وهو يتابع في صرامة :

ـ المهم أن تواصل عملك ، حتى تضمن السيطرة الكاملة أولاً ، ثم ..

قبل أن يتمّ عبارته ، أصدرت شاشة الكمبيوتر صفيرًا قصيرًا ، فالتفت إليها اللواء (عماد) بحركة حادة ، وانعقد حاجباه ، وهو يقرأ المعلومات التي تراصت عليها ، قبل أن يلتفت مرة أخرى إلى تلك الصورة الوهمية ، قائلاً في صرامة أكثر :

ـ وأنا أعلم الآن ، من أين يجب أن نبدأ .. وكيف .

وكانت هذه العبارة الأخيرة بمثابة توقيع على العقد ..

عقد للمشاركة فى الشرور ..

والآثام ..

والوحشية ..

وإراقة دماء البشر ..

والسيطرة عليهم ..

بلا حدود ..

* * *

« القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، يستعد لمقابلة سيادتكم ، يا سيادة الرئيس .. »

اعتدل رئيس الجمهورية على مقعده ، خلف مكتبه العريض الأنيق ، فى نفس اللحظة التى دلف القائد الأعلى فيها إلى حجرته ، وهو يؤدى التحية العسكرية فى قوة ، فأشار إليه الرئيس ، قائلاً :

ـ ماذا لديك هذه المرة أيها القائد ؟!

لم يشعر القائد الأعلى بالارتياح ، للأسلوب الذى يتحدث به إليه الرئيس ، إلا أنه تقدّم نحوه ، وقال بحزمه التقليدى :

ـ هناك معلومات بالغة السرية ، نحتاج حتمًا إلى معرفتها ، يا سيادة الرئيس .

شبك الرئيس أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ وما الذى يمنعكم من معرفتها ؟! المفترض أن لديكم مدخلاً لكل أنظمة المعلومات المتاحة !

تنحنح القائد الأعلى ، قبل أن يقول :

ـ ما نطلبه يوجد داخل نظام معلومات محظور ، يا سيادة الرئيس .

انعقد حاجبا الرئيس ، وبدا عليه التفكير العميق ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ هذا المصطلح لا يمكن أن يخرج ، من بين شفتى القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، إلا للتعبير عن شبكة معلومات واحدة .

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ نعم يا سيادة الرئيس .. إننى أعنى شبكة المعلومات السرية ، لمؤسسة الرياسة .

هزّ الرئيس رأسه متفهمًا ، وقال :

ـ وما الذى تحتاجون إلى معرفته بالضبط ؟!

عقد للمشاركة فى الشرور ..

والآثام ..

والوحشية ..

وإراقة دماء البشر ..

والسيطرة عليهم ..

بلا حدود ..

* * *

« القائد الأعلـى للمخـابرات العلميـة ، يستعد لمقابلـة سيادتكم ، يا سيادة الرئيس .. »

اعتدل رئيس الجمهورية على مقعده ، خلف مكتبه العريض الأنيق ، فى نفس اللحظة التى دلف القائد الأعلى فيها إلـى حجرته ، وهو يؤدى التحية العسكرية فى قوة ، فأشـار إليه الرئيس ، قائلاً :

ـ ماذا لديك هذه المرة أيها القائد ؟!

لم يشعر القائد الأعلى بالارتياح ، للأسلوب الـذى يتحدث به إليه الرئيس ، إلا أنه تقدَّم نحوه ، وقال بحزمه التقليدى :

ـ هناك معلومات بالغة السرية ، نحتاج حتمًا إلى معرفتها ، يا سيادة الرئيس .

شبك الرئيس أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ وما الذى يمنعكم من معرفتها ؟! المفترض أن لديكم مدخلاً لكل أنظمة المعلومات المتاحة !

تنحنح القائد الأعلى ، قبل أن يقول :

ـ ما نطلبه يوجد داخل نظام معلومات محظور ، يا سيادة الرئيس .

انعقد حاجبا الرئيس ، وبدا عليـه التفكير العميق ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ هذا المصطلح لا يمكن أن يخرج ، من بين شفتى القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، إلا للتعبير عن شبكة معلومـات واحدة .

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ نعم يا سيادة الرئيس .. إننـى أعنـى شبكة المعلومـات السرية ، لمؤسسة الرياسة .

هزَّ الرئيس رأسه متفهمًا ، وقال :

ـ وما الذى تحتاجون إلى معرفته بالضبط ؟!

أجابه القائد الأعلى فى سرعة :

ـ كل المعلومات المتاحة ، عن نائب رئيس مخابرات رياسة الجمهورية ، اللواء (عماد وجيه) .

اعتدل الرئيس ، وضغط أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص به ، قائلاً فى صرامة شديدة :

ـ لا يمكن منحك كل المعلومات المتاحة ، عن رجل كهذا ، فى جهاز تجهل بعض أجهزة الأمن نفسها وجوده .. حدّد ما تريد معرفته عنه بالضبط .

مرة أخرى ، لم يرق أسلوب حديث الرئيس كثيراً للقائد الأعلى ، وإن مال برأسه ، محاولا معرفة لوحة أزرار جهاز الكمبيوتر ، التى يستخدمها الرئيس ، ولا يصدر عن أزرارها أدنى صوت ، ولكنه لم يكد يفعل ، أو حتى قبل أن يكتمل ميل رأسه ، بدا له صوت ضغط الأزرار واضحاً ، فاعتدل مرة أخرى فى سرعة ، وهو يجيب :

ـ صورته يا سيادة الرئيس .. أريد رؤية صورته ومقارنتها بهذه الصورة .

مدّ يده بتلك الصورة ، التى صنعها كمبيوتر (نشوى) ،

بناءً على ما أدلى به الدكتور (حجازى) ، من مواصفات للضابط الكبير ، ولكن الرئيس ألقى عليها نظرة سريعة ، دون أن يحاول التقاطها ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذا ليس اللواء (عماد) بالتأكيد .

ثم تراجع ، مشيراً إلى شاشة الكمبيوتر ، وهو يستطرد :

ـ هذا هو اللواء (عماد) .

دار القائد الأعلى حول مكتب الرئيس ، وألقى نظرة على الصورة ، التى ظهرت على الشاشة ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ..

فالصورة التى أشار إليها الرئيس ، باعتبارها صورة اللواء (عماد) ، لم تكن تشبه ، من قريب أو بعيد تلك الصورة التى صنعها كمبيوتر (نشوى) ..

وفى صرامة ، قال الرئيس :

ـ وما الذى دفعكم إلى البحث عن بيانات رجل ، فوق مستوى الشبهات ، مثل اللواء (عماد) ؟!

عاد القائد الأعلى إلى موقعه ، قائلا :

ـ لقد حاول عرقلة بحثنا عن تفسير لما يحدث ، فى قضية عودة ذلك الشر الرهيب .

سأله الرئيس بنفس الصرامة :

ـ وكيف هذا ؟!

أجابه القائد الأعلى فى ضيق :

ـ لقد أرسلنا فى استدعاء قائد مركز الأبحاث العسكرية ، وأحد جنوده ، لأمر يتعلق بالقضية ، ولكنه رفض حضورهما لفحصهما بمعرفتنا .

قال الرئيس فى صرامة :

ـ إنه ليس قراره .

ثم مال إلى الأمام ، مضيفاً فى غلظة :

ـ إنه قرارى أنا .

اتسعت عينا القائد الأعلى ، فى دهشة بالغة ، وهو يقول :

ـ قرارك أنت ، يا سيادة الرئيس .

تراجع الرئيس فى مقعده ، وهو يقول بمنتهى الصرامة :

ـ نعم هو قرارى أنا .

بدا للقائد الأعلى تصرفات الرئيس غير طبيعية هذه المرة ، إلا أنه لم ينبس ببنت شفة ، وهو يستمع إليه يواصل :

ـ العميد (ماهر) ، والجندى (وائل) ، يقومان بمهمة خاصة جداً ، لحساب مخابرات الرياسة ، فى مركز الأبحاث العسكرية ، ومن المحظور أن تطلع أية جهة على ما يفعلان .

تساءل القائد الأعلى فى ضيق :

ـ حتى المخابرات العلمية ؟!

أجابه الرئيس بمنتهى الصرامة ، وكلماته تحمل لمحة قاسية :

ـ بالذات إدارة المخابرات العلمية .

كان الجواب عجيباً بالفعل ، إلا أن القائد الأعلى قال فى خفوت :

ـ كما ترى يا سيادة الرئيس .

ثم شد قامته ، مستطرداً :

ـ أطلب الإذن بالانصراف .

أشار الرئيس بيده ، قائلاً :

ـ فليكن .. انصرف .

أدى القائد الأعلى التحية العسكرية ، وأسرع يغادر مكتب الرئيس ، فى خطوات سريعة واسعة ، ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى تحول جسد الرئيس إلى دخان ، تصاعد فى الحجرة فى بطء ، ليشكل صورة ذلك العملاق الوهمى ، فى نفس اللحظة التى دلف فيها اللواء (عماد) إلى الحجرة ، من باب خلفى ، قائلاً :

– عظيم .. هكذا ينبغى أن تسير الأمور .

زمجر العملاق الوهمى ، وهو يقول :

– إنها خطوة متسرّعة وغير حكيمة .. فانتحال شخصية الرئيس ، يمكن أن يثير عشرات الشبهات ، فى هذه المرحلة بالذات .. القائد الأعلى نفسه انصرف من هنا ، تراوده الشكوك فى أنه لم يكن يواجه رئيس الجمهورية الحقيقى .

ابتسم اللواء (عماد) قائلاً :

– هذا لن يصنع فارقًا كبيرًا .

ثم جلس على مقعد الرئيس ، وتألقت عيناه على نحو عجيب ، وكأنما حقق حلمًا قديمًا ، وهو يتابع :

– رئيس الجمهورية هنا يملك صلاحيات واسعة للغاية ، بالنسبة لأجهزة الأمن ، على اختلاف أنواعها ، ويمكنه فى أية لحظة ، أن يصدر أمرًا بعزل أى رجل أمن فى (مصر) ، حتى القائد الأعلى للمخابرات العلمية نفسه .

قال العملاق الوهمى ، فى بطء شديد :

– فكرة رائعة .

أشار اللواء (عماد) إلى رأسه ، قائلاً :

– ينبغى أن تدرك جيدًا أنك لست المخ العبقرى الوحيد هنا .

وفى هذه المرة ، لم يجب العملاق ..

بل ولم ينبس ببنت شفة ..

ولكن عينيه تألقتا على نحو عجيب ..

نحو يوحى بأن الأمر يروق له بالفعل ..

أو بأنه قد استوعب الموقف ..

واتخذ قرارًا جديدًا ..

قرار لم يبلغ به اللواء (عماد) ، ولكنه سيصنع فارقًا كبيرًا بالتأكيد ..

فارق جوهرى وخطير ..

للغاية ..

* * *

هزت (نشوى) رأسها فى قوة ، وأصابعها تعمل بسرعة محمومة ، على أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وهى تقول فى عصبية :

ـ لست أدرى كيف فعلوا هذا .. بل وكيف أمكنهم معرفة وجود باب خلفى لشبكة المعلومات العسكرية أساسًا !!

قالت (سلوى) ، وهى تتابع الموقف فى توتر :

ـ ربما كشفوا محاولة اقتحامك للشبكة ، ورصدوا شفرة الدخول من الباب الخلفى ، وسجلوها ، و ...

قاطعتها (نشوى) فى عصبية :

ـ هذا مستحيل يا أمى !! الباب الخلفى شفرة معتمدة تمامًا ، فى شبكة المعلومات ، ويتم التعامل معها ، كما لو أنها شفرة دخول رئيسية ، ولكن لا يتم تسجيل دخولها فى الوقت ذاته ، لأنها لا تستخدم أبواب الدخول التقليدية .. ثم إن أجهزتى قادرة على كشفهم ، فى اللحظة التى يرصدون فيها دخولى إلى شبكتهم .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى بطء وتفكير :

ـ ولكنك تستطيعين تغيير شفرة الدخول ، من الأبواب الخلفية ، وقتما تريدين .. أليس كذلك ؟!

أجابته ، وهى تواصل عملها فى توتر :

ـ بالتأكيد .

سألها ، وحاجباه يزدادان انعقادًا :

ـ أهذا ما حدث ؟! هل قام أحدهم بتغيير شفرة الدخول ، عبر الأبواب الخلفية ؟!

هتفت :

ـ بالضبط .

اعتدل (نور) وبدا صارمًا حازمًا ، وهو يقول :

ـ إنهم لم يرصدوا دخولك إلى شبكتهم ، بأى حال من الأحوال .

توقفت (نشوى) عن العمل ، واستدارت إلى والدها فى دهشة متسائلة ، فتابع بنفس الحزم الصارم :

ـ إنه هو .

انتفض جسد (سلوى) فى عنف ، واتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما فى ارتياع ، فى حين انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، وغمغم الدكتور (حجازى) مبهوتًا :

ـ مستحيل !

أما (مشيرة) فقد راح جسدها ينتفض فى قوة، وهى تهتف:

- نعم .. إنه هو .. هو .. لقد اقتحم عقول الجميع، عندما ظهر هنا، صورته الوهمية تكونت فى عقولكم، عندما سيطر عليها، وانتزع منها كل ما يريد من معلومات.

ارتجف صوت (نشوى)، وهى تقول:

- إذن فهو من أغلق الأبواب الخلفية!

رفعت (مشيرة) سبابتها، وهى تقول فى رعب:

- لن يهدأ له بال، قبل أن يصل إلى هدفه.

وبدت أقرب إلى الانهيار، وهى تضيف:

- أن يفنينا جميعًا.

احتواها (أكرم) بين ذراعيه مرة أخرى، وهو يقول فى صرامة:

- يمكنه أن يحاول، أما النجاح، فهو أمر مختلف تمامًا.

غمغم الدكتور (حجازى):

- لم أره أقرب إليه، مثل هذه اللحظة.

هتف به (أكرم) فى غلظة:

- هل تراهن؟!

أشار (نور) بيده، قائلاً فى صرامة:

- ليس هذا مجالنا يا (أكرم).

ثم عاد يلتفت إلى ابنته، قائلاً:

- أما زال بإمكانك اقتحام شبكة المعلومات العسكرية، وإيقاف عمل أجهزة الأمن بها، على الرغم من إغلاق الأبواب الخلفية؟!

هزت رأسها، قائلة:

- لن يكون هذا، بالأمر السهل، أو الـ...

قاطعها فى صرامة، وكأنه يتحدث إلى جندى، فى ميدان المعركة:

- أما زال بإمكانك هذا؟!

تطلعت إلى عينيه لحظة، فى ثبات شديد، قبل أن تجيب فى قوة وحزم:

- بالتأكيد.

أجابها بكل الحزم :

ـ ابدئي عملك إذن .

ثم أشار إلى (أكرم) ، مستطردًا :

ـ وسنقوم نحن بعملنا .

هتف (أكرم) ، وهو يتجه إليه فى حزم :

ـ على الرحب والسعة .

تساءل (رمزى) فى اهتمام قلق :

ـ وماذا عن (مشيرة) ؟!

أجابه (نور) بلهجة آمرة :

ـ سيكون عليك أن تتولى أمرها يا (رمزى) ، وأن تدرس حالتها جيدًا ، وتبحث عن كيفية الاستفادة من اتصالها العقلى بتلك الـ ..

قبل أن يتم عبارته ، انبعث فجأة أزيز مميّز ، من جهاز الاتصال الخاص به ، فرفعه إلى شفتيه فى سرعة ، وهو يضغط زره ، قائلاً :

ـ المقدّم (نور) يا سيادة القائد الأعلى .

أجابه القائد الأعلى ، فى لهجة تحمل الكثير من التوتر :

ـ (نور) .. لقد التقيت بالرئيس ، ورأيت صورة اللواء (عماد) ، إلا أنها لم تشبه ذلك الضابط ، الذى نبحث عنه .

قال (نور) فى اهتمام :

ـ وماذا عن الصورة نفسها ، من الممكن أن نطلب من الرئيس مراجعتها ، على ملفات الضباط ، العاملين فى جهاز مخابرات رياسة الجمهورية ، و ...

قاطعه القائد الأعلى بكل التوتر :

ـ لن يتعاون الرئيس معنا أيها المقدّم .

سأله (نور) فى قلق شديد :

ـ ولماذا يا سيدى ؟!

أجابه القائد الأعلى ، وتوتره يتزايد فى كل لحظة :

ـ فى لقائنا الأخير ، لم يبد لى سيادة الرئيس طبيعيًا .

انعقد حاجبا (نور) بشدة ، وهو يسأله ، فى كل الحذر :

ـ سيدى القائد .. هل تعتقد أن ..

قاطعه القائد .. بكل توتر الدنيا :

- الرئيس أوقف كل الاعتمادات ، المخصصة لفريقك أيها المقدّم .

وازداد انعقاد حاجبى (نـور) ، وقلبـه يخفـق بمنتهـى العنف ..

فما قاله القائد الأعلى كان يعنى الكثير ..

الكثير جداً .

* * *

٤ـ الرئيس ..

« إنه ليس هنا بالتأكيد .. »

تمتم أحـد أفراد الفريق العلمى بالعبارة ، وهو يتلفت حوله فى عصبية متوترة ، ثم أشار إلى الشاشة ، التى ظهر فوقها منحنى معكوس ، وهو يستطرد :

- الأرجح أنه يقوم بعمل رهيب فى الخارج ، يحتاج منه إلى كل هذه الطاقة .

اختلست طبيبة الفريق نظـرة إلى ذلك الشىء الرهيب ، الذى يتوسط قاعة التجارب الرئيسية ، والذى بدا جامداً ساكناً ، على الرغم من الإشارة بالغة القوة ، التى يرسمها على الشاشة ، ثم همست فى خوف :

- لابد أن نتحرك فى سرعة ، قبل أن يعود .

تساءل عضو فريق آخر فى توتر :

- ما الذى تنوون فعله بالضبط ؟!

أجابه رئيـس الفريق فى خفوت ، وعينـاه تراقبـان ذلك الشىء فى حذر :

- سنفسد برنامجه .

سأله العضو الأول فى عصبية :

ـ وهل تعتقد أن هذا يمكن أن ..

قاطعه رئيس الفريق فى شىء من الحدة ، على الرغم من خفوت صوته الشديد :

ـ ألديك حل آخر ؟!

قالت الطبيبة فى عصبية هامسة :

ـ إننا لن نظل فى هذا العذاب إلى الأبد .

تساءل الأول بكل عصبية :

ـ وماذا لو تفجّر غضبه ، وقضى علينا جميعًا ؟!

قال رئيس الفريق فى سرعة :

ـ لا يمكن أن يجازف بهذا .. استمراره بدوننا شبه مستحيل !

سأله العضو الثانى ، فى توتر شديد :

ـ هل تعتقد هذا ؟! إننى أتابع تطوراته ، منذ فترة طويلة ، ولا يمكننى أن أصدق المدى الذى بلغه ، وأخشى ألا تكون له بنا حاجة الآن .

لهثت الطبيبة ، من فرط الانفعال ، وهى تتساءل فى رعب :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

قال بنفس توتره :

ـ إنه احتمال كبير .

انتقل توتره كله إلى رئيس الفريق ، وهو يقول ، دون أن يرفع عينيه عن ذلك الشىء الرهيب :

ـ لابد أن نجازف .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى عصبية :

ـ إنه أملنا الأخير .

ارتجف صوت الطبيبة ، وهى تقول :

ـ نعم .. إنه أملنا الأخير ، وإلا بقينا فى هذا العذاب إلى الأبد .

تمتم عضو الفريق الثانى :

ـ إننى أفضل الموت .

التقط رئيس الفريق نفسًا عميقًا ، وقال فى حزم متوتر :

ـ مصيرنا هو الموت ، فى كل الأحوال ، سواء جازفنا بهذا أو لم نجازف .

ثم تضاعف توتره ، وهو يلتفت إلى الجميع ، قائلاً :

ـ من سيشارك فى هذا ؟!

أجابته الطبيبة فى حزم :

ـ كلنا متفعل .

وتمتم عضو آخر :

ـ نعم .. كلنا .

تبادلوا جميعًا نظرة صامتة ، مفعمة بالتوتر والقلق ، قبل أن يغمغم رئيس الفريق :

ـ على بركة الله .

وفى صمت تام ، اتجه كل منهم نحو الجهاز الخاص به ، وبدون اتفاق سابق ، ألقى كل منهم نظرة على ذلك الشىء الرهيب ، ثم بدأوا عملهم ..

كانوا جميعًا يجرون تعديلات جوهرية على البرنامج الضخم شديد التعقيد ، الذى يؤمّن الاستمرار لذلك الشىء ..

وفى كل لحظة تمضى ، كانت حماستهم للقيام بهذا العمل تتزايد ..

وتتزايد ..

ولدهشتهم وارتياحهم ، كان البرنامج يتعدّل ..

ويتطور ..

ويستجيب ..

وبعد دقائق عشر ، انتقلت خلالها عيونهم ، بين ذلك الشىء القابع فى منتصف القاعة ، والشاشة التى تحمل ذلك المنحنى المعكوس ، ألف مرة على الأقل ، بدا من الواضح أنهم قد نجحوا فى مهمتهم .

ولم تتبق أمامهم سوى ضغطة زر واحدة ..

وبصوت ارتجف من فرط الانفعال ، التفت إليهم قائد الفريق ، وقال :

ـ الآن ..

ثم ضغط الزر الأخير ..

وخفقت قلوبهم بقوة ..

بمنتهى القوة ..

وبدأت عملية تحميل التطويرات الجديدة فى البرنامج الضخم ..

وبعيون ملهوفة ، تابع الكل ذلك الشريط الرفيع ، الذى راح يعبر الشاشة ، من أحد جوانبها إلى الآخر ، معلنًا المضى فى عملية التحميل السريعة ..

وبلغ الشريط الجانب الآخر من الشاشة ..

ثم انطلق صفير حاد ، يعلن نجاح عملية تعديل البرنامج ..

ومع ذلك الصفير ، قفزت الطبيبة من مكانها ، هاتفة :

ـ نجحنا .. لقد نجحنا .

استدار رئيس الفريق ، بكل لهفة الدنيا ، يتطلّع إلى ذلك الشيء الرهيب ، وقلبه يخفق ..

ويخفق ..

ويخفق ..

فوفقًا لما أجروه من تعديلات ، كان ينبغي أن ينهار ذلك الشيء ، خلال ثلاث دقائق فحسب ..

وكانت تلك الفترة القصيرة تبدو أشبه بدهر ..

دهر كامل من التوتر والقلق .

ولقد خفقت قلوبهم جميعًا ، والثواني تمضي ..

وتمضي ..

وتمضي ..

ومع كل ثانية تمضي ، كانت المؤشرات كلها تؤكد أن ذلك الشيء ينهار تدريجيًا ..

ولكن الشاشة ظلّت تحمل ذلك المنحنى المعكوس ..

المنحنى الذى يُعلن أن طاقته مازالت هائلة ، وتتجاوز حدها الأقصى بالفعل ..

تتجاوزه بكثير ..

وفى حيرة بالغة التوتر ، غمغم رئيس الفريق :

ـ لست أفهمُ هذا .

هزّ عضو آخر رأسه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ كلنا لا يستطيع فهمه .

وفجأة ، وأمام عيونهم جميعًا ، ارتفع ذلك المنحنى ، وتحوّل إلى خط مستقيم ، ثم عاد يرتفع إلى أعلى ، كأى منحنى طبيعى ، فهتفت الطبيبة ، وقلبها يختلج فرحًا :

ـ إنه ينهار .

ولهث عضو آخر ، وهو يهتف :

ـ رباه ! لماذا لم نفعل هذا منذ البداية ؟! لماذا لم ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، ترددت فجأة تلك الضحكة الرهيبة فى المكان ..

ضحكة عالية ..

ساخرة ..

شامتة ..

شرسة ..

ووحشية ..

وانتفضت قلوبهم بمنتهى العنف ..

واتسعت عيونهم بكل رعب الدنيا ..

ونهض ذلك العملاق الوهمى ..

نهض من موضع ذلك الشــىء الرهيـب ، وبـدا أكـثر ضخامة وارتفاعاً ، وهو يتجـه نحوهـم ، بخطوات واسـعة ، جعلتهم يتراجعون فى رعب ، وأحدهم يصرخ :

ـ لا .. لا تقتلنا .. لا ..

وبوحشية لا مثيل لها ، انقضّ العملاق ..

وانطلقت صرخات الرعب ..

والفزع ..

والألم ..

وفى مشـهد رهيب ، غاصت أصابع العملاق فى صدر أحدهم ، وانتزعت قلبه من بين ضلوعه ، وألقته حتى نهايـة الحجرة ، فجحظت عينا الرجل ، وهو يهوى جثة هامدة ، فى حين واصل قلبه المنزوع نبضاته لمرة أو مرتين ، قبل أن تخمد حركته تماماً ، فى نفس اللحظة ، التى قطعت فيها يد العملاق رأس رجل آخر ، وألقتها فى الركن الآخر ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخ رئيس الفريق :

ـ مستحيل ! مستحيل ! التعديلات التـى أجريناهـا فـى البرنامج أكدت أن ..

قاطعه العملاق بصوته الرهيب :

ـ عقلك لم ير إلا ما أردت له أن يراه .

اتسعت عينا الرجل عن آخرهما ، وهو يستدير فى حركة حادة إلى رشاشات الأجهزة جميعاً ..

وبلغ رعبه وذهوله حدهما الأقصى ..

فالشاشات كلها كانت تعلن فشل عملية التعديل ..

أما شاشة تسجيل الموجات ، فكانت تحمـل ذلك المنحنى المعكوس ، الذى يشف عن طاقة تجاوزت حدها الأقصى ..

كل ما رأوه إذن ، من نجاح محاولتهم ، كان وهمًا ..

مجرد وهم صنعه عقله بعقولهم ..

خدعة ، سقطوا فيها جميعًا ، دون أن يدروا ..

وبكل الرعب والانهيار ، أدار عينيه إلى العملاق ..

وفى اللحظة نفسها ، هوى عليه العملاق بحافة يده الكبيرة ..

وأمام عينى الطبيبة ، التى بلغ منها الرعب أقصى مبلغه ، حتى سقطت منهارة فى الركن ، شقت ضربة العملاق جسد رئيس الفريق ، من منتصف رأسه ، وحتى ما بين قدميه ..

وانهار جسد المسكين على الجانبين ، والدماء تتفجّر منه ، فى غزارة ليس لها مثيل ..

ولم تطلق الطبيبة صرخة واحدة ..

لقد احتبست كل صرخاتها فى حلقها ..

فى رأسها ..

فى كيانها كله ..

وفى هدوء شديد ، استدار العملاق إليها ..

ثم ابتسم ..

وهوى قلبها بين ضلوعها ..

بل وتمزق فى عنف ..

وبصعوبة بالغة ، تمتمت :

ـ لا .. ليس أنا .. لن يمكنك أن تستمر بدونى .. أنا وحدى يمكننى الحفاظ على وجودك .

أطلق العملاق ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ ربما فيما مضى .. الآن لم يعد لأحدكم وجود ، فى برنامج استمرار وجودى .

أدارت عينيها ، بكل رعب الدنيا ، نحو شاشات الأجهزة ، التى أعلنت كلها عملها بأقصى طاقة ، دون الحاجة إلى وجود العلماء أنفسهم .

حتى جهاز الإعاشة نفسه ..

وفى انهيار تام ، أغلقت الطبيبة عينيها ، وتمتمت :

ـ أنت على حق .. لم يعد لوجودنا أية أهمية .

وهوى العملاق بكل قوته ..

ولم تنطلق منها صرخة واحدة ..

قط ..

* * *

تنهّد القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى عمق ، وهو يستقبل (نور) فى مكتبه ، وقال فى توتر :

ـ اجلس أيها المقدّم .. لقد طلبت رفع درجة التأمين إلى حدّها الأقصى ، لضمان سرية محادثتنا تمامًا ، ولقد أضفنا إلى نظم أمننا ذلك البرنامج ، الخاص بالموجة المضادة لذلك الخصم الرهيب ، تحسبًا لأية محاولة منه ، للسيطرة على عقولنا هنا .

قال (نور) فى حسم عسكرى :

ـ قرار حكيم يا سيّدى القائد ، وأقترح تعميم هذا على كل الجهات الأمنية ، وقيادات الجيش ، ومؤسسة الرياسة أيضًا .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ لقد طلبت حضورك إلى هنا ، لنتحدث عن مؤسسة الرياسة بالتحديد أيها المقدّم .

تساءل (نور) فى حذر :

ـ هل تعنى إلغاء الاعتمادات المخصّصة للفريق يا سيّدى ؟!

هزّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً فى حزم ، حمل لمحة توتر واضحة :

ـ بل عن الرئيس نفسه يا (نور) .

انعقد حاجبا (نور) دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين تابع القائد الأعلى ، بنفس الحزم المتوتر :

ـ فى مقابلتنا الأخيرة ، بدا لى الرئيس مختلفًا تمامًا .. بل وعدوانيًا أيضًا إلى حد ما ، وكأنما يتعامل مع خصم ، وليس مع إدارة مخابرات علمية ، تخضع لأوامره المباشرة .

قال (نور) بنفس الحذر :

ـ سيّدى القائد .. هل يقلقك ما يقلقنى ؟!

لم يحاول القائد الأعلى سؤاله عما يقلقه ، وإنما أجاب فى حزم شديد التوتر :

ـ بالضبط .

ثم نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ، وهو يتابع :

ـ ولو أن ما يقلقنا صحيح ، فهذا يعنى أن الأمور قد بلغت منتهى الخطورة والحساسية أيها المقدّم ، وسيكون قرار إلغاء الاعتمادات المالية مجرّد بداية ، وبعده يأتى قرار إيقاف الفريق عن العمل ، وربما عزله من المخابرات العلمية أيضًا .

شد (نور) قامته ، وهو يقول فى حزم :

ـ لن يمنعنا هذا من مواصلة القتال ، من أجل (مصر) والعالم يا سيّدى .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ ليست لدى ذرة شك فى هذا ، ولكنكم ستفتقدون الصفة الرسمية عندئذ ، وربما تتحولون أيضًا إلى طريدى عدالة ، تطاردكم كل جهة أمنية فى (مصر) ، مما سيعوق قتالكم حتمًا .

كرّر (نور) فى حزم :

ـ هذا لن يوقفنا يا سيّدى .

قال القائد الأعلى فى توتر :

ـ ربما .

ثم التقى حاجباه ، وحمل صوته كل توتره وانفعاله ، وهو يضيف :

ـ ولكن علينا نحن أن نوقفه .

تمتم (نور) بكل حذر الدنيا :

ـ أقصد الـ ...

قاطعه القائد الأعلى ، فى صرامة عصبية :

ـ الرئيس أيها المقدّم .. أو من ينتحل هيئة الرئيس .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ إنها مجرد هيئة وهمية يا سيّدى .

توقّف القائد الأعلى ، ليقول فى دهشة بالغة :

ـ هيئـة وهمية ؟!

أجابه (نور) بسرعة :

ـ نعم يا سيّدى القائد .. لو أن من رأيته ليس سيادة الرئيس بالفعل ، فهو ليس أى كيان مادى آخر ، بل مجرد صورة وهمية ، يصنعها ذلك الوحش فى عقلك ، بحيث تتصوّر أنك أمام الرئيس بالفعل ، فى حين أنك تخاطب عقلك ليس إلا .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يدرس هذا الأمر فى ذهنه ، الذى راح يستعيد كل لحظة ، من لقائه مع الرئيس ، و ...

وتوقّف فجأة عند لقطة واحدة ..

لوحة أزرار الكمبيوتر ، التى لم تكن تصدر أدنى صوت ، حتى انتبه هو إلى هذا ، وألقى نظرة عليها ..

لقد بثَّ ذلك الشيء صوتها فى عقله عندما قرأ حيرته بشأنها فيه .. تمامًا كما بث أمامه صورة الرئيس ..

وهيئته ..

وصوته ..

وبكل توتره ، هتف القائد الأعلى :

ـ نعم أيها المقدم .. إنه لم يكن الرئيس .. لم يكن هو أبدًا .. بل ولم يكن أى كيان مادى حتمًا .

أدرك (نور) أن عقل القائد الأعلى قد تأكَّد من الأمر تمامًا ، قبل أن ينطق لسانه هذا ، فقال فى قلق :

ـ الأمر خطير للغاية إذن ، يا سيادة القائد الأعلى .

أشار القائد الأعلى بسبابته ، قائلاً فى حزم :

ـ لابد أن نتخذ موقفًا حاسمًا حازمًا فى هذا الشأن يا (نور) .. لابد أن نمنع ذلك الوحش ، من احتلال مقعد رياسة الجمهورية ، وبأى ثمن .

قال (نور) فى حزم :

ـ حياتنا جميعًا فداء لـ (مصر) يا سيِّدى .

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

ـ لم يعد الأمر يقتصر على (مصر) وحدها يا (نور) .. العالم كله أصبح مهددًا ، مع وجود ذلك الشيء الرهيب ، فى موقع كهذا .. تصوَّر ما يمكن أن يحدث ، أصدر أوامره بشن حرب نووية ، على (الصين) مثلا ، أو الاتحاد الأوروبى ؟! أو حتى على الولايات المتحدة ، التى كانت يومًا زعيمة للعالم ، قبل أن تتورَّط فى عمليات احتلال استعمارية ، استنزفت قواها ومواردها ؟! إنه قادر على إشعال الموقف العالمى كله ، بضغطة زر واحدة .

قال (نور) فى حزم :

ـ نحن أيضًا نستطيع انتزاعه ، من مقعد الرياسة ، بضغطة زر واحدة يا سيِّدى .

تلاحقت أنفاس القائد الأعلى فى انبهار ، وهو يتساءل :

ـ وكيف هذا يا (نور) ؟!

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ سأخبرك يا سيِّدى .

وتضاعف انبهار القائد الأعلى مرات ومرات ..

فخطة (نور) كانت بسيطة ..

وفعّالة ..

ومبهرة ..

للغاية ..

★ ★ ★

التقط اللواء (عماد) نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره القوى ، قبل أن يطلقه فى بطء واستمتاع ، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة ، ويُسبل جفنيه ، مسترخيًا فى مقعده ، ومطلقًا لأفكاره العنان ..

لقد نجح مشروعه نجاحًا منقطع النظير ..

نجح فى إعادة تكوين قدرات ذلك المسخ البشع ..

وإطلاقها بأقصى طاقتها ..

بل وبما يفوق طاقتها ..

ألف مرة ..

صحيح أن المشروع قد تجاوز كل حدود أحلامه وتمنياته ..

ولكنه ما زال يسيطر عليه ..

هو وحده ، من العالم أجمع ، يمكنه السيطرة عليه تمامًا ..

ودائمًا ..

فكرة ذلك الباب الخلفى ، الذى تركه فى برنامجه ، كان عبقريًا بحق ..

إنه مبرمج الآن على ألا يقتله ..

أو يسيطر عى عقله ..

مهما كانت الأحوال ..

ومهما فعل هو به ..

أو استفزه ..

أو حتى أهانه ..

وهذه هى السيطرة ..

السيطرة التامة ..

الكاملة ..

الكابحة ..

القوية ..

وهذا يجعله أقوى رجل ، فى اللعبة كلها ..

بل فى العالم كله ..

ولأنه يمتلك السيطرة الكاملة ، يستطيع أن يدير الموقف كله ، وفقاً لخطته ..

وجدوله الخاص .

والأهداف التى يريد تحقيقها ..

وفى التوقيتات التى يحددها بنفسه أيضاً .

التقط نفساً عميقاً آخر ، وهو يشعر بالقوة ، وعروقه كلها تحمل نشوة الظفر ، على نحو لم يشعر به من قبل قط ..

ومع مشاعره الفيّاضة ، راح يضع تصوراته للمرحلة القادمة ، وتوقيتاته الدقيقة لها ..

ذلك الشىء ، يسيطر على قرارات الرياسة ..

كل القرارات ..

لابد وأن يصدر قراراً إذن ، بتعيينه رئيساً لمخابرات رياسة الجمهورية ، أعلى منصب أمنى فى البلاد ، ثم ...

قبل أن تتواصل أفكاره ، اقتحم عدد من رجال أمن الجهاز

مكتبه فجأة ، فى عنف غير مألوف ، فانتفض جسده فى قوة ، وهو يعتدل جالساً ، ويهتف فى غضب :

ـ ما هذا بالضبط ؟

ظهر رئيس الجهاز ، وهو يلتف إلى الحجرة ، ويسير بين رجال الأمن ، الذين أفسحوا له الطريق ، ليقف على مسافة متر واحد من مكتب اللواء (عماد) ، ويقول فى صرامة :

ـ معذرة يا (عماد) ، ولكننى أنفذ الأوامر .

نهض (عماد) واقفاً ، وهو يتساءل فى توتر :

ـ أوامر من ؟

بدا السؤال سخيفاً ، فى موقع كهذا ، لا يرأسه إلا رجل واحد ، إلا أن رئيس جهاز مخابرات رياسة الجمهورية ، أجابه فى هدوء صارم :

ـ أوامر سيادة الرئيس شخصياً .

تصاعد غضب عنيف ، من أعمق أعماق اللواء (عماد) واندفع يقول فى حدة :

ـ أى رئيس ؟

أجابه رئيس الجهاز فى صرامة :

ـ لا يوجد سوى رئيس واحد لـ (مصر) أيها اللواء (عماد) .

صاح (عماد) فى حدة :

ـ لو شئت الدقة ، فقل : إنه لا يوجد رئيس لـ (مصر) ، فى الوقت الحالى يا رجل .

بدا الغضب على وجه رئيس الجهاز ، وقال فى صرامة ، وهو يشير إلى رجاله برفع فوهات أسلحتهم ، نحو نائبه السابق :

ـ ربما لرأيك هذا ، أصدر قراره بعزلك من منصبك ، واعتقالك فى السجن الحربى ، لحين صدور أوامر أخرى .

اتسعت عينا اللواء (عماد) عن آخرهما ، وصرخ فى غضب هادر :

ـ ذلك الوغد .

امتزج الجميع بدهشتهم واستنكارهم ، وصاح رئيس الجهاز فى صرامة :

ـ انتباه .

ومع صيحته ، اتخذ الكل وقفة عسكرية متحفزة ، وسبابتهم تستعد لضغط أزندة مدافعهم الليزرية ، المصوبة نحو صدره ، إلا أنه لم يبال بكل هذا ، وهو يواصل فى ثورة :

ـ هل يظن أنه سينتصر بهذه اللعبة الحقيرة ؟ إنه مجرد وهم زائف .. وهم حقير سخيف .

صاح به رئيسه فى غضب :

ـ لواء (عماد) .. إنك تتجاوز كل الحدود ، وكل كلمة تنطق بها كفيلة بسجنك واعتقالك لسنوات .

صرخ (عماد) فى ثورة :

ـ لا تجعلوه يخدعكم .. من أصدر تلك الأوامر ليس الرئيس .. ليس الرجل الذى انتخبتموه ، ووضعتموه فى هذا المنصب الرفيع .. إنه وهم .. مجرد وهم .

أطلق صرخته ، وهو يندفع نحو المدافع المصوبة إليه ، وكأنه لم يعد يبالى بحياته ، ولكن رئيسه صاح بالجنود :

ـ لا تطلقوا النار .. الرئيس أمر بإبقائه حيًا .

ومع هذه الأوامر ، تفادى الجنود المدربون قبضة اللواء (عماد) ، ثم هوى أحدهم على مؤخرة عنقه بضربة قوية ، جعلته يصرخ بكل غضبه :

ـ إنه مجرد وهم ..

هوى رجل آخر على رأسه بكعب مدفعه، فسقط على وجهه، وندت منه صرخة مكتومة، قبل أن تهمد حركته تماماً، معلنة أن ذلك الوحش قد انتصر هذه المرة ..

انتصر فى جولة جديدة من معركة السيطرة ..

السيطرة التامة ..

انتصر وهو ينتحل هيئة أقوى رجل فى (مصر) كلها ..

رئيس الدولة ..

شخصياً .

* * *

٥ ـ مرحلة الاستقلال ..

ساد الظلام التام تلك البقعة الساكنة المقفرة، فى جبال (التبت)، وصار من العسير أن ترصد العين ذلك المعبد البوذى الصغير، الذى يحتلّ جبلاً متوسطاً، وسط الجبال الشاهقة، التى تكسو الثلوج قممها، خاصة وقد خلا تماماً من أى أثر للحياة، وحتى من بصيص الضوء الخافت، الذى يبدو مع مغيب الشمس فى المعتاد، من عمق المعبد، والذى لم يكن له وجود فى تلك الليلة ..

أما فى داخل المعبد نفسه، فقد كانت الصورة معبّرة عن الموت، وليس عن الحياة ..

ففى ساحته الرئيسية، تراصت جثث مجموعة من الرهبان، شبه المتماثلين، برءوسهم الصلعاء، وثيابهم البرتقالية الخشنة ..

وحول كل راهب منهم، تكوّنت بركة صغيرة من الدم المتجمّد ..

بركة صنعت رائحة رهيبة فى المكان ..

رائحة الموت ..

ووسط الظلام والسكون ، تحركت فجأة أصابع أحد الرهبان

ثم تحرك رأسه ، الملقى على صدره ..

واعتدل فى بطء ..

ومع اعتدال الرأس على الجسد ، عاد إليه سكونه ..

وتركيزه ..

وانطلاقه ..

ولم يكن ذلك الراهب بحاجة إلى فتح عينيه ، وسط ذلك الظلام الدامس ، المسيطر على كل ما حوله ، ليدرك أن الموت يحيط به من كل جانب ..

عقله وحده كان قادراً على رصد هذا ، مع غياب إحساسه بعقول الآخرين ، و ...

ولكن لا ..

هناك عقل حى آخر ..

عقل راهب آخر ، عند الطرف البعيد للدائرة ، التى صنعتها جثث باقى الرهبان ، الذين ظلت أجسادهم تتخذ تلك الجلسة القرفصائية الجامدة المعتادة ..

راهب كان يستعيد وعيه فى بطء أيضاً ..

وكانت أصابعه أيضاً تتحرك فى بطء ..

ولكن جسده اعتدل فى النهاية ..

وعاد إلى سكونه ..

وبدأ عقله يعلن عن وجوده ..

وتآزر العقلان ..

وامتزجا ..

وتبادلا الأفكار ..

والمعلومات ..

وأدركا طبيعة موقفهما الجديد ..

لقد صارا وحدهما ..

كل الباقين لقوا مصرعهم ، داخل ذلك المعبد القديم ..

كلهم بلا استثناء ..

قتلهم ذلك الخصم الرهيب ..

قتلهم بلا رحمة ..

ومن المؤكَّد أنه قد امتلك الآن سيطرة هائلة ..

سيطرة خرافية ..

وتامة ..

ولأنهما يشعران بمسئولية كاملة عن وجوده ، كان من المستحيل أن يجلسا صامتين ساكنين ، وترك الحبل على الغارب له ، ليفعل ما يريد ..

ولينفذ مخطَّطه الرهيب ..

مخطَّط السيطرة التامة على الأرض ..

وعلى البشر ..

كل البشر ..

كان من المحتَّم أن يسعيا لفعل شيء ..

أي شيء ممكن ..

وفي هدوء عجيب ، راح العقلان يبحثان عن وسيلة ما ..

أية وسيلة ..

وبأي ثمن ..

ولأنهما يدركان قوتهما وإمكانياتهما جيِّدًا ، كانا يدركان أن طاقاتهما وحدها لن تكفي ؛ لمواجهة ذلك الوحش الرهيب ..

لا بد ولن يستعينا إذن بقوة أخرى ..

قوة يمكنها أن تتصدَّى لخصم مثله ..

خصم تجاوزت قدراته كل الحدود ..

وكل المستحيلات ..

ولكن أية قوة يمكن أن تصلح لهذا ؟!

أية قوة ؟!

وفي بطء وثبات ، كعادة كل رهبان (التبت) ، راح عقلاهما يستعرضان كل ما انتزعاه من عقل (نور) ..

كل المواجهات ..

والعمليات ..

والتفاصيل ..

كل لمحة ، يمكن أن تفيد في اتخاذ القرار ..

قرار اختيار القوة المضادة ..

وأخيراً ، وبعد ما يزيد عن ساعة كاملة ، توقف عقلاهما عند نقطة واحدة بعينها ..

وعند قوة محدودة بإطار واضح ..

قوة ، انتزعا كل تفاصيلها ، من عقل (نور) ..

ومن مواجهاته ..

ومغامراته ..

وعندئذ ، وبعد أن استقرّ رأيهما عند قوة بعينها ، بدأ عقلاهما مرحلة جديدة ..

مرحلة الاتصال بتلك القوة ..

مباشرة ..

ومن أجل هدف كهذا ، كان عليهما استنفار كل ذرة من كيانهما ، إلى أقصى حد ممكن ..

إلى الحد الكافى لاختراق الزمان والمكان ..

بل والأبعاد أيضاً ..

وكانا يدركان جيّداً ، وهما يقومان بعملهما هذا ، أنه من المستحيل أن يحتمل عقلاهما تلك الجهد الجبار ، الذى يستلزمه إتمام الاتصال ..

وأن شرايين دماغيهما لن تحتمل هذا أبداً ..

وإذا ما نجحا فى اتصالهما هذا ، فقد يكون الثمن هو حياتهما نفسها ..

وعلى الرغم من هذا ، لم يترددا لحظة واحدة ..

ففى اعتقادهما ، كانت حياتهما ثمناً رخيصاً ، لما يمكن تحقيقه ..

هذا لو أمكنهما تحقيق الهدف ، وإجراء الاتصال بتلك القوة المناسبة ..

فعندئذ ، ربما يتغيّر مصير العالم ..

ربما !!

* * *

استعاد عقل (أكرم) كل توتراته السابقة ، على الرغم منه ، وهو يجلس فى سيارة (نور) ، التى يقودها هذا الأخير ، فى بطء نسبى ، عبر أطلال (القاهرة) القديمة ، وغمغم فى عصبية ، وهو يتلفت حوله :

ـ ألا توجد وسيلة أخرى ، لبلوغ مركز الأبحاث العسكرية هذا يا (نور) ؟!

غمغم (نور) دون أن يلتفت إليه :

ـ هذا أفضل سبيل إليه ، لنضمن ألا تكشفنا وسائل المراقبة والرصد .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في صرامة :

ـ لو أنها ما زالت تعمل .

تلفت (أكرم) حوله مرة أخرى ، وهو يتحسس مسدسه ، مغمغمًا :

ـ فليكن .

أوقف (نور) سيارته ، خلف أطلال مبنى قديم ، والتفت إليه ، قائلاً :

ـ هل تذكر ما لقنك إياه (رمزى) ؟!

أومأ (أكرم) برأسه إيجابًا ، وقال في ضيق عصبي :

ـ نعم .. أعى الدرس ، الذى لقننى إياه الدكتور (رمزى) جيدًا .. إذا ما حاول ذلك الوغد السيطرة على عقلى مرة أخرى ، أو رسم أية صورة وهمية فيه ، سأغلق عينىّ ، وأعود بذاكرتى إلى كل اللحظات الجميلة فى حياتى ، و ...

بتر عبارته بغتة ، ثم استطرد فى غضب :

ـ أمن الضرورى أن يتم التعامل معى ، باعتبارى طفل فى مرحلة الروضة ؟!

أجابه (نور) محاولاً السيطرة على أعصابه :

ـ كلنا أطفال فى مرحلة الروضة ، فى مواجهة ذلك الوحش الرهيب يا (أكرم) .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ فليكن يا (نور) ، ولكننى ، إذا ما التقينا به ، سأثبت له أننى أجيد النزال والقتال ، كطالب دراسات عليا مجتهد .

ابتسم (نور) وهو يقول :

ـ سيسعدنى أن تثبت هذا عندئذ .

ثم استعاد صوته حزمه وصرامته فجأة ، وهو يكمل :

ـ أما الآن ، فعلينا أن نستعد ، لبدء خطتنا .

تأكد (أكرم) من تثبيت سماعتى الآذن على أذنيه ، وهو يغمغم :

ـ من حسن الحظ أن قامت (سلوى) بتطوير هذه السماعات ،

التي يحمينا برنامجها من سيطرته الطاغية ، وجعلتنا قادرين على سماع بعضنا البعض ، ونحن نرتديها ، وإلا لأصبح علينا أن نتحدث بلغة الإشارة فحسب .

تمتم (نور) ، وهو يلتقط منظاره الرقمى المقرّب :

ـ إننا نجيدها على أية حال .

وافقه (أكرم) بإيماءة من رأسه ، وعاد يتلفت حوله ، فى حذر متوتر ، وهو يقول :

ـ لهذا أعشق العمل فى المخابرات العلمية .. إنهم يكسبونك مهارات جديدة ، فى كل يوم .

وضع (نور) منظاره الرقمى على عينيه ، وتطلّع عبره إلى مركز الأبحاث العسكرية ، قبل أن يغمغم :

ـ كنت على حق .

التقط (أكرم) منظاره بدوره ، متسائلاً :

ـ حقاً ؟!

قال (نور) بابتسامة ظافرة :

ـ انظر بنفسك .

وضع (أكرم) المنظار الرقمى المقرّب على عينيه ، وتطلّع بدوره إلى مركز الأبحاث العسكرية ..

فى البداية ، بدا له كل شيء عاديًا ، حتى إنه تساءل فى حيرة عما يعنيه (نور) ، بأنه على حق ..

ثم فجأة ـ تشوّشت صورة حارسى برجى الحراسة ، كما لو أنهما صورة على شاشة تلفاز تالف ..

ثم استعادا هيئتهما الطبيعية لحظة ، قبل أن تتشوّش صورتهما مرة أخرى ، بشدة أكثر ..

وبكل دهشة ، هتف (أكرم) :

ـ رباه ! إنهما مجرد صور وهمية بالفعل يا (نور) .

أجابه (نور) فى هدوء واثق :

ـ لم يكن لدى أدنى شك فى هذا .. كل نظم الحراسة هنا مجرّد صور وهمية ، يدفعها عقل ذلك الوحش ، فى عقول كل من يتطلّع إلى المركز ، ولكن تلك السماعات على آذاننا ، تطلق فى عقولنا موجة مضادة قوية ، تفسد الصورة الوهمية ، فتجعلها تهتزّ أمامنا ، على النحو الذى تراه .

سأله (أكرم) فى لهفة :

ـ ولماذا لا تختفى تمامًا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ لأن (سلوى) و(نشوى) أكدتا أن السماعات لا توقف سيطرته العقلية ، ولكنها تحد منها فحسب .

بدا الارتياح واضحًا ، فى ملامح (أكرم) وصوته ، وهو يقول :

ـ هذا يكفى .

واسترخى لحظة فى مقعده ، قبل أن يسأل (نور) فى حماس :

ـ متى سنبدأ الخطة ؟!

ألقى (نور) نظرة على ساعته ، وقال فى حزم :

ـ بعد ثلاث عشرة دقيقة بالضبط .

ثم غادر السيارة ، وهو يتابع :

ـ ففى لحظة واحدة ، ستبدأ محاورها الثلاثة .

غادر (أكرم) السيارة بدوره ، وهو يتساءل فى حذر :

ـ محاورها الثلاثة ؟! أية محاور يا (نور) ؟! كل معلوماتى هى أن (نشوى) ستقتحم شبكة المعلومات العسكرية ، بوساطة

برامجها المتطوّرة ، وتوقف عمل نظم الأمن ، فى مركز الأبحاث هذا ، وتمنحنا دقيقة كاملة للدخول إليه ، فى غياب وسائل تأمينية .

قال (نور) فى حزم :

ـ بالضبط يا (أكرم) ، فخلال دقيقة واحدة ، ستبدأ نظم التأمين الاحتياطية عملها ، ولو لم تنجح فى دخول المكان ، قبل مرور هذه الدقيقة ، ستهاجمنا كل وسائل الحماية الإليكترونية بلا رحمة ، ولن تنتهى منا ، قبل أن نتحوّل إلى لحم مشوى .

هزّ (أكرم) كتفيه ، وتأكّد من حشو مسدسه ، وهو يقول :

ـ أهى محاولة لرفع معنوياتى ؟!

قا (نور) فى هدوء :

ـ ربما .

سأله (أكرم) ، وهما يتحركان فى خفة ، عبر الأطلال القديمة ، نحو أقرب نقطة لا يمكن رصدها ، بوساطة مركز الأبحاث العسكرية :

ـ سنفترض أن هذا أحد محاور الخطة .

قال (نور) مشيراً بسبابته ووسطاه :

ـ بل محورين .. نحن ، و (نشوى) .

سأله فى اهتمام :

ـ وماذا عن المحور الثالث ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يلوذ بالصمت طويلاً ، قبل أن يجيب فى صرامة :

ـ إنه القائد الأعلى .

هتف (أكرم) فى دهشة بالغة :

ـ القائد الأعلى ؟! شخصيًا ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، دون أن ينطق كلمة واحدة ، فتابع (أكرم) مبهورًا :

ـ وما الدور الذى يمكن أن يقوم به القائد الأعلى شخصيًا ، فى عملية كهذه ؟!

صمت (نور) فترة أطول ، وكأنما يتساءل فى أعماقه ، عما إذا كان من الممكن إخبار (أكرم) أم لا ، ثم لم يلبث أن قال فى حزم :

ـ تشتيت الخصم ، فى اللحظة المناسبة .

ثم التفت إلى (أكرم) ، مستطرداً فى توتر ملحوظ :

ـ الخصم الرئيسى .

وانعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يتطلّع إليه ، فى حيرة شديدة ..

وفى تساؤل عصبى أيضًا ..

فهو لم يفهم كلمة ، من إجابة (نور) لسؤاله ..

كلمة واحدة :

* * *

اعتدل رجال الحرس الجمهورى ، عند مقر الرياسة ، وارتفع صوت دقّات كعوبهم ببعضها ، مع صوت قائدهم ، الذى هتف فى قوة ، وهو يستقبل سيارة القائد الأعلى ، للمخابرات العلمية :

ـ انتباه .

عبرت سيارة القائد الأعلى بوابة مقر الرياسة فى هدوء ، وارتفعت الأيدى أمامها بتحية عسكرية قوية ، قبل أن يوقفها القائد فى المكان المخصص لها ، فى ساحة المقر ، ويغادرها فى هدوء شديد ، فاستقبله قائد الحرس الجمهورى فى احترام ، وهو يقول :

ـ سيادة الرئيس فى انتظارك يا سيدى .

غمغم القائد الأعلى في هدوء :

ـ عظيم .

وتبع قائد الحرس ، حتى حجرة مكتب الرئيس ، التي توقّف قائد الحرس خارجها وفتح بابها للقائد الأعلى ، فدلف إلى الداخل ، وأدّى التحية العسكرية بدوره ، وهو يقول :

ـ القائد الأعلى للمخابرات العلمية يا سيادة الرئيس .

كان الرئيس يوليه ظهره ، وهو يقف هناك ، عند نافذة حجرة مكتبه ، ولكنه سأله في شيء من الصرامة :

ـ لماذا أردت مقابلتي ، على هذا النحو العاجل أيها القائد ؟!

بذل القائد الأعلى جهداً حقيقياً ، للسيطرة على أعصابه ، وهو يضع المسماعين اللذين منحتهما له (سلوى) على أذنيه ، قائلاً :

ـ لدي بعض الشكوك ، يا سيادة الرئيس .

لم يكد يضغط زر تشغيل المسماعين ، حتى تشوّشت صورة الرئيس أمامه ، على نحو مخيف ، والتفت إليه بحركة حادة ، كما لو أن صانعها قد أدرك ما حدث ، وتلاشى صوت الرئيس المألوف دفعة واحدة ، ليحلّ محله ، ذلك الصوت الرهيب ، وهو يقول ، عبر تلك الصورة الوهمية :

ـ شكوك أم يقين أيها القائد ؟!

أجابه القائد الأعلى ، في صرامة متوترة :

ـ يقين أيها الوغد .

توقّفت تلك الصورة المشوّشة ، وأطلقت ضحكة وحشية رهيبة ، قبل أن تقول :

ـ الوغد ؟! هل تجرؤ على سب رئيس جمهوريتك أيها القائد ؟!

أجابه القائد ، وهو يحاول السيطرة على توتره :

ـ محال أيها الوغد .. إنني أدفع حياتي ، ثمناً لحياة رئيس الجمهورية ؛ دون أدنى تردُّد ؛ فهو ليس مجرّد شخص عادي .. إنه رمز .. رمز للسيادة والقوة ، والاستقلالية (مصر) وشعبها ، ومبادئها .

راحت الصورة تتشوّش وتتضح ، في تعاقب غير منتظم ، وهي تقول بذلك الصوت القاسي الرهيب :

ـ محاضرة أخلاقية رفيعة أيها القائد ، ولكنك لا تملك غيرها .

قال القائد ، وهو يتحسّس ذلك الجهاز الصغير ، في قاع جيب سرواله ، في حذر متوتر :

ـ أتظن هذا ؟!

اقتربت تلك الصورة المشوّشة منه ، وهى تقول :

ـ بل أعلم هذا .. تمامًا كما أعلم أن ذلك الجهاز ، الذى تضعه على أذنيك ، يستطيع الحد من قدراتى العقلية ، ومن سيطرتى على خلايا مخك الرمادية ، وأعمق أعماق عقلك الباطن ، ولكنه لا يستطيع منعى من التوغل فى عقلك ، وكشف ما تخفيه ..

وتواصل الاقتراب ، وازداد الصوت وحشية ، وهو يتابع :

ـ كل ما تخفيه .

أمسك القائد الأعلى ذلك الجهاز الصغير ، فى قاع جيب سرواله ، وهو يقول فى توتر ، عجز عن أن يكسبه الصرامة اللازمة هذه المرة :

ـ لن يمكنك إقناعى بهذا .

بدا ذلك الصوت الرهيب ساخرًا ، وهو يقول :

ـ حقًّا ؟! كيف يمكننى أن أقنعك إذن ؟! هل يكفى أن أقول : إن سيارتك ، المتوقفة فى ساحة المقر الآن ، تحوى جهازًا خاصًّا ، يمكنه أن يطلق تلك الموجة القوية ، المضادة لموجاتى العقلية ، فى مساحة واسعة ، تشمل القصر كله ..

وتوقفت الصورة ، ثم مالت نحوه ، وبدت أكثر تماسكًا ، وهى تضيف :

ـ وبضغطة زر واحدة .

لم تكن عقارب الساعة قد بلغت لحظة الصفر بالفعل ، إلا أن القائد الأعلى أدرك أنه ليس باستطاعته الانتظار ، فضغط زر الجهاز الصغير بكل قوته ..

ومع ضغطته ، تشوّشت الصورة الوهمية أمامه فى عنف ، و ...

وعادت تتماسك فى سرعة مدهشة ..

ومع تماسك صورة الرئيس الوهمية ، انطلقت فى عقل القائد الأعلى ضحكة عالية ، مجلجلة ، ساخرة ، وحشية ، قبل أن تقول الصورة فى سخرية شديدة :

ـ من سوء حظك ، أن الجميع لا يرتكون السماعات نفسها ، التى تركبها أنت ، فوحدك ترانى فى صورة مشوّشة ، أما الباقون ، وعلى رأسهم رجال الحرس الجمهورى ، فيرون أمامهم الرئيس نفسه .. الرئيس الذى قلت : إنك مستعد لدفع حياتك ، ثمنًا لحياته .. المشكلة أن هذا رأيهم أيضًا ، بالإضافة إلى أنهم مؤهلون لتنفيذ أوامر الرئيس ، دون إبطاء أو مناقشة ..

ردّد القائد الأعلى ، فى توتر شديد :

ـ ولكن الجهاز ... كان ينبغى أن .. أن ..

أطلقت صورة الرئيس المشوّشة ضحكة أخرى ساخرة ، قبل أن تقول ، بذلك الصوت الرهيب :

ـ جهازك انتزعه رجال الحرس الجمهورى من سيارتك ، فور دخولك إلى هنا ، بناءً على أوامر رئيس الجمهورية شخصيًا ، وتم إبطال مفعوله ، حتى قبل أن تصل مع رئيس الحرس إلى هذا المكتب .

وعادت الصورة الوهمية تميل نحوه ، قائلة فى شماتة :

ـ مكتب رئيس الجمهورية .

شعر القائد الأعلى بتوتر عنيف ، يلتهم كل مشاعره وانفعالاته ، وبإحباط ما بعده إحباط ، ويأس تجاوز كل الحدود ، وهو يقول فى مرارة :

ـ لا تتصوّر أنك ستربح هذه المعركة .

هزّت الصورة الوهمية رأسها ، وقالت :

ـ ولا تتصوّر أنت ومن معك ، أنه يمكن أن أخسرها .

وعادت تميل نحوه ، وصوتها يزداد عمقًا ووحشية ، وهى تقول :

ـ اعترف يا رجل .. لقد ربحت معركتى بالفعل .

سحب القائد الأعلى مسدسه الليزرى ، فى حركة غريزية سريعة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ كلاّ .. لم تربحها بعد .

خُيّل إليه أن تلك الصورة الوهمية تحمل عينين متألقتين ، وهى تقول ، بصوتها العميق الرهيب :

ـ هل سحبت مسدسك ؟! عظيم .. هذا ما كنت أنتظر حدوثه بالضبط ؟!

وانطلقت فى عقل القائد الأعلى ضحكة رهيبة ، قبل أن يتابع الصوت نفسه ، فى سخرية واضحة :

ـ والآن ماذا ؟! هل ستطلق أشعة الليزر ، على صورة وهمية ؟! هل تصوّر عقلك الساذج السخيف هذا ، أن الانتصار على شخص مثلى ، يمكن أن يتحقّق بطلقة من مسدس ليزرى ؟!

قال القائد الأعلى ، وجسده كله ينتفض فى انفعال :

ـ سبق وأن فعلها مسدس عادى .

أطل غضب رهيب ، من عينى صورة الرئيس الوهميـة ، وتحولت بغتة إلى دخان ، تصاعد فى الحجرة ، ليصنـع تلك الصورة الوهمية للعملاق ، الذى قال بصوت رهيب ..

صوت فظيع ..

بشع ..

يفوق ألف مرة بشاعة صوته السابق :

ـ لقد أصدرت الحكم على نفسك ، بقولك هذا !

ثم استعاد صوته فجأة ، صوت رئيس الجمهورية ، وهو يهتف فى صرامة غاضبة :

ـ أيها الحراس .

لم يكد هتافه ينتهى ، حتى اقتحم رجال الحرس الجمهورى المكان ، وهم يصوبون مدافعهم الليزرية فى تحفز ..

وبالنسبة إليهم ، لم يكن هناك عملاق ..

أو دخان ..

أو صور مشوشة ..

كان هناك فقط رئيس الجمهورية ، الذى يدينون له بالولاء ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، يصوب إليه مسدسه الليزرى ..

ومع أصابعهم المتحفزة ، ومدافعهم المشهورة ، وأوامر الرئيس السابقة ، كان يكفيهم هتاف واحد ، أطلقه الرئيس الوهمى فى عقولهم :

ـ أطلقوا النار .

وانطلقت خيوط أشعة الليزر القاتلة كلها ، نحو الهدف ..

نحو القائد الأعلى للمخابرات العلمية ..

مباشرة .

* * *

٦ ـ من وراء النجوم ..

انهمك مدير مركز الأرصاد الفلكية طويلاً ، فى مراجعة بعض التقارير الإدارية والفنية ، الصادرة عن المركز ، ثم لم يلبث أن أغلق عينيه ، وفركهما فى إرهاق شديد ، وهو يغمغم فى سخط :

ـ لم يكن ينبغى أبداً أن أقبل بهذا المنصب .. عقليتى العلمية ما زالت تنفر كثيراً ، من هذه الأعمال الإدارية ، التى لا تنتهى أبداً .

كان يشعر بضيق حقيقى ، من أعباء منصبه هذا ، وهو العالم المعروف ، فى علوم الفلك والكواكب ، وصاحب الكشوف العظيمة ، فى هذا المضمار الثرى ..

وفى ملل شديد ، التقط بعض الصور ، التى سجلها المرصد ، لتحركات الكويكبات والنيازك الجوّالة ، خارج المجموعة الشمسية ، و ...

وفجأة ، توقفت عيناه عند نقطة مضيئة ، فى إحدى الصور الفلكية ..

نقطة راح يتأملها فى منتهى الاهتمام ، قبل أن يغمغم :

ـ عجباً ! ما هذا بالضبط ؟!

أشعل جهاز الفحص الدقيق على مكتبه ، ودفع داخله تلك الصورة ، وقام بتكبير الجزء المحيط بتلك النقطة المضيئة عدة مرات ، ثم وضع فوقه عدسة كبيرة ، وهو يعيد فحصه مرة ..

ومرة ..

ومرات ..

وفى كل مرة يفحصه فيها ، كانت حيرته بشأنه تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

ولأنه عالم متمرّس ، فى علوم الفلك ، بدأ يراجع كافة المعلومات ، المختزنة فى رأسه ، حول الأجسام الفضائية ، ومساراتها العجيبة ، وغير المألوفة ..

بل والمضطربة أيضاً ..

ولكن ذلك الجسم المضىء لم يكن يتفق مع أى شىء رآه أو رصده من قبل ..

أى شىء على الإطلاق ..

وفى اهتمام شديد ، راح العالم الفلكى يبحث عن باقى الصور ، التى تم التقاطها للجسم نفسه ، فى مراحل مختلفة ..

ولقد عثر على صورة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وخامسة أيضًا ..

وبمنتهى الدقة والاهتمام ، وبعقل وفضول عالم فذ ، راح يراجع موضع ذلك الجسم المضىء ، فى كل الصور ..

وتضاعفت حيرته العلمية أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ففى كل صورة ، كان موقع الجسم المضىء يختلف ..

ويتغيّر ..

ويتبدّل ..

ولكنه ، فى كل الأحوال ، كان يتخذ مسارًا ، نحو بقعة بعينها ..

نحو كوكب الأرض ..

أما تغيير مواقعه وتبديلها ، فقد كان يبدو أشبه بمناورات ، لتفادى أجسام فضائية ، أو نيازك ضالة ..

ولقد أقلقه هذا أكثر ..

أكثر كثيرًا ..

فالمناورة المدروسة ، لجسم ما فى الفضاء ، يتجه نحو هدف ثابت ، توحى بأنه جسم تتم قيادته ، بوساطة عقل متطوّر ..

أو بمعنى أدق ، أشبه بمركبة فضائية ..

مركبة تأتى من هناك ..

من وراء النجوم ..

وسرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ، عندما جال الاحتمال بخاطره ، واستعاد ذهنه وقائع فترة رهيبة ، من أبشع الفترات التى مرّت بكوكب الأرض كله ..

فترة الاحتلال(*) ..

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

وبكل رعبه وتوتره ، راح يحك ذقنه فى عصبية ، وهو يقول فى قلق بلا حدود .

ـ رباه ! ترى هل ؟!

لم يحاول إتمام عبارته ، وإنما هب من خلف مكتبه ، واتجه فى خطوات سريعة قلقة ، نحو قاعة الرصد الأساسية ، وناول المسئول عنها إحدى الصور ، التى ترصد ذلك الجسم المضىء ، قائلاً فى صرامة :

ـ أريد متابعة هذا الشىء بنفسى .

التقط الرجل الصورة ، وراح يُغذى المنظار العملاق بإحداثياتها الفضائية ، فبدأ الكمبيوتر الملحق به عمله على الفور ، وصوّب العدسات الهائلة نحو الهدف ، الذى تمت برمجته به مسبقاً ..

وعلى شاشة كبيرة ، ظهرت صورة ذلك الجسم ، وهو يتحرك فى الفضاء ، شاقاً طريقه نحو الأرض ..

وفى قلق محدود ، غمغم مسئول الرصد :

ـ لقد اقترب كثيراً . غمغم المدير :

ـ المهم أن نعرف ماهيته بالضبط .

اقترب أحد العلماء منه ، قائلاً :

ـ لقد تصورناه فى البداية مذنباً ضالاً(*) واعتقد بعضنا أنه نيزك غير منتظم(**) ، ولكن فحصه عبر مقياس الطيف ، أثبت أنه ليس مذنباً بأى حال من الأحوال ، على الرغم من الذيل الممتد خلفه ، والذى أثبتت الفحوص أنه يتكوّن من مواد ملتهبة ، وليست باردة ، مثل ذيل المذنب ، كما أن حجمه أقل بكثير من أن يكون مذنباً ، أضف إلى هذا أنه يتكوّن من المعادن ، كما أثبت المقياس الطيفى(***) مما قد يوحى بأنه نيزك ، من طراز (سيدريت) المعدنى ، خاصة وأن المعادن التى يتكوّن منها ، والتى سجلها المقياس الطيفى ، تحوى بعض العناصر الغريبة ، وغير المعروفة فى عالمنا .

(*) المذنب : جرم سماوى خفيف نسبياً ، له ذيل مضىء ، من مواد غازية متجمدة ، ويبلغ طول ذيله فى بعض الأحيان ، ما يفوق المسافة بين الأرض والشمس ، والمذنبات ذات طبيعة دورية ، تتخذ مسارات حول الشمس ، ولقد كان يُعتقد فيما مضى أنها تأتى من خارج المجموعة الشمسية ، ولكن الدراسات الحديثة أثبتت أنها جزء منها ..

(**) النيزك : شهاب غير تام الاحتراق ، يقطع الفضاء لملايين الكيلومترات ، قبل أن يصل إلينا ، وتنقسم النيازك إلى ثلاثة أنواع (أيروليت) ، ويتكوّن من الحجارة ، و(سيدريت) من المعادن و(سيدروليت) من خليط منهما .

(***) مقياس الطيف (اسبكتروسكوب) : جهاز لفحص الطيف بصرياً ، عن طريق تحليل مقياس الطيف ، عبر منشور أو مصبغات ، بحيث يمكن تحديد نوع المعادن أو العناصر ، التى يتكوّن منها جسم ما ، من خلال العلامات التى يتركها عبر الطيف المتكوّن .

تضاعف توتر مدير المركز ، وهو يقول ، مشيرًا إلى الجسم ، الذى يتابع المنظار العملاق حركته ، وينقلها إلى تلك الشاشة الكبيرة :

ـ ولكن النيازك بكل أنواعها لا يمكنها أن تناور على هذا النحو .. ولا يمكنها أيضًا أن تنطلق بهذه السرعة المذهلة ، التى تكاد تقارب سرعة الضوء .

ثم أشار إلى المؤشرات على الشاشة ، متابعًا فى توتر :

ـ انظروا .. لقد وصل إلى المجموعة الشمسية ، منذ أقل من ثلاث ساعات ، وها هو الآن يقترب من كوكب (المشترى) ، وهذا يعنى أنه قطع المسافة الهائلة ، من كوكب (بلوتو) إلى (المشترى) ، فى هذه الفترة القصيرة جدًا .

واعتدل ليلتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يتابع فى عصبية :

ـ وما من جسم فضائى طبيعى ، يمكن أن ينطلق بهذه السرعة ، دون قوة دفع خاصة جدًا ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ وصناعية جدًا .

اتسعت عيون الرجال فى دهشة ، وتبادلوا نظرة مذعورة ، قبل أن يتساءل أحدهم فى رعب :

ـ ما الذى تشير إليه بالضبط يا سيِّدى ؟!

أشار مدير المركز مرة أخرى نحو الشاشة ، وهو يجيب :

ـ لقد درست حركة ذلك الجسم جيدًا ، حتى قبل أن أراه على هذه الشاشة ، ولو أردتم رأيًا علميًا ، فهذا الشىء تقوده محركات قوية ، فى اتجاه كوكبنا مباشرة ..

امتقعت وجوههم فى شدة ، فتابع فى حزم ، لم يخل من التوتر :

ـ وذلك الاختلاف المدروس فى مساره ، هو مناورات ذكية ، يستحيل كونها عشوائية ؛ لتفادى أية عقبات فى الطريق ، ولتصحيح المسار فى كل مرة .

غمغم أحدهم مرتاعًا :

ـ أتعنى يا سيِّدى أن هذا الشىء هو .. هو ..

لم يستطع الرجل إتمام تساؤله ، إلا أن مدير المركز أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. إنه مركبة فضائية ، يقودها كيان ذكى ، أيًا كانت هويته .

بدا قوله هذا أشبه بصدمة عنيفة ، ارتجفت لها قلوبهم داخل صدورهم ، وشحبت معها وجوههم في شدة ، وانعقدت ألسنتهم في حلوقهم ، وأحاط بهم صمت رهيب ، لم يلبث أحدهم أن قطعه ، وهو ينتزع نفسه من انفعالاتها انتزاعًا ، قائلاً :

- ولكن هذا مستحيل يا سيدي ! ذلك الجسم لا يمكن أن يكون مركبة فضائية ، مهما قام بألف مناورة ناجحة وذكية .

سأله المدير في اهتمام :

- ولماذا ؟!

أجابه في سرعة :

لأن حجمه يمنع كونه كذلك .. إنه أصغر كثيرًا من أن يكون مركبة فضائية ، حتى لو كانت مجهزة ليقودها رائد فضاء واحد .

بدا مدير المركز شديد التوتر ، وهو يقول :

- ربما تضم أقزامًا ، من كوكب صغير ، أو ....

قاطعه أحد الرجال ، وهو يقول في حماس :

- ولماذا التخمين ؟!

التفت إليه الجميع متسائلين ، فتابع بنفس الحماس :

- يمكننا رؤية ذلك الجسم ، ورصده بعيوننا مباشرة .

تساءل مدير المركز في اهتمام :

- وكيف هذا ؟!

أشار الرجل إلى الشاشة ، وهو يقول :

وبهذه السرعة ، ومع المسار الذي يتخذه ذلك الجسم ، سيسقط عليه ضوء الشمس ، خلال ...

صمت لحظة ، ليجري بعض حساباته على الكمبيوتر ، قبل أن يضيف في اهتمام شديد :

- خلال ست دقائق وسبع ثوان بالضبط ، وعندئذ ، يمكننا تكبير صورته رقميًا ، ورصد ملامحه في وضوح لأربع ثوان كاملة .

انعقد حاجبا مدير المركز ، وهو يقول :

- عظيم .. اتخذوا كل الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذا فورًا ..

اتجه كل منهم إلى جهازه ، وراحوا يعملون في سرعة ، في حين عاد المدير يتابع حركة ذلك الجسم ، وهو ينطلق عبر الفضاء .

وينطلق ..

وينطلق ..

وفى أعماق ذهنه ، انطلق ألف سؤال وسؤال ..

وعلى رأسها كلها سؤال واحد ..

سؤال قد يحمل الجواب ، لكل الأسئلة الأخرى ..

كلها بلا استثناء ..

ما هذا الجسم بالضبط ؟!

ولماذا ينطلق نحو الأرض ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

« سيمكننا رصده ، بعد ثلاثين ثانية فحسب .. »

انتزعته عبارة مسئول الرصد ـ من أفكاره وتساؤلاته ـ فرفع عينيه إلى الشاشة ، فى لهفة وفضول ، وتابع حركة ذلك الجسم ، والثوانى تمرّ فى بطء ..

وتمرّ ..

وتمرّ ..

وعلى الرغم من عددها المحدود ، بدت له أشبه بدهر ..

دهر كامل مضى ، قبل أن يقول مسئول الرصد فى حماس :

ـ الآن .

ومع قوله ، سقطت أشعة الشمس بالفعل على ذلك الجسم ..

وأضاءته بشدة ..

ومع استضاءته ، أصبح من الممكن تكبير صورته رقميًا ، دون أن تفقد وضوحها ..

ولقد تم تكبير الصورة بالفعل مرة ..

ومرة ..

ومرات ..

ولثانية أو ثانيتين ، بدا الجسم شديد الوضوح على الشاشة الكبيرة ..

بدا بهيئته ..

وتفاصيله ..

وملامحه الكاملة ..

واتسعت عينا مدير المركز عن آخرهما ..

واتسعت معها كل عيون الآخرين ..

واحد منهم فقط استطاع التقاط أنفاسه ، ليهتف من أعمق أعماق كيانه :

ـ مستحيل !

لما رآه أمامهم جميعاً ، يشق طريقه عبر الفضاء ، نحو كوكب الأرض ، كان مذهلاً ..

مذهلاً بحق ..

وبكل المقاييس ..

* * *

« ما هذا بالضبط ؟! »

تساءلت (مشيرة) فى عصبية ، وهى تحدّق فى ذلك المحقن ، الذى يمسك به (رمزى) ، الذى منحها ابتسامة مطمئنة ، قائلاً فى هدوء مريح :

ـ إنه مجرد عقار مهدّئ يا (مشيرة) .. إنه جزء من العلاج الخاص بك .

قالت فى عصبية :

ـ أى علاج ؟! لقد غرقت فى غيبوبة لبعض الوقت ، ثم استعدت وعيى ، وهذا كل شىء .

تطلّع (رمزى) إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول فى هدوء :

ـ (مشيرة) .. امنحينى ثقتك .

ظلت تتطلّع إليه بضع لحظات فى توتر ، قبل أن تقول فى عصبية :

ـ هذا القول يصلح شعاراً لحملة إعلانية .

قال مبتسماً :

ـ عندئذ سأتقاضى أجراً باهظاً لقاء هذا .

حاولت أن تبتسم بدورها ، إلا أنها شعرت بتوتر هائل ، يكاد يلتهم كل مشاعرها ، فأغلقت عينيها ، وهى تسترخى فى ذلك الفراش الصغير ، فى ركن القاعة الخاصة ، مغمغمة :

ـ فليكن .. أعتقد أننى أحتاج إلى ذلك المهدّئ بالفعل .

التقط (رمزى) ذراعها فى رفق ، وهو يتمتم :

ـ بالتأكيد يا (مشيرة) .. بالتأكيد .

وفى براعة وسرعة ، دسّ إبرة المحقن فى عروقها ، ودفع فيها ذلك العقار الشفاف .. فاسترخى جسدها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم غابت فى نوم عميق ..

عميق إلى أقصى حد ..

وفى توتر ملحوظ ، سأله الدكتور (حجازى) :

ـ أتعتقد أن هذا سيكفى ؟!

اعتدل (رمزى) ، وهو يطلق زفرة متوترة ، مجيباً :

ـ أتمنى هذا .

قالت (نشوى) ، وهى تلتفت إليهما فى عصبية :

ـ ثلاث دقائق فقط ، ويبدأ تنفيذ الخطة .

غمغم (رمزى) :

ـ على بركة الله .

سألته (سلوى) فى اهتمام :

ـ أما زلت تؤمن بصحة نظريتك يا (رمزى) .

أومأ برأسه إيجاباً ، والتقط نفساً عميقاً ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ نعم .. ما زلت أعتقد أن ذلك الشىء الرهيب ، الذى نواجهه ، قد ترك فى عقل (مشيرة) ، باباً خلفياً ، يمكنه أن يتسلل عبره إليها ، بوسيلة نجهلها ، حتى ونحن نحيط أنفسنا بذلك الدرع الواقى ، من الموجة المضادة القوية .

سألته فى قلق :

ـ وهل تعتقد أن ذلك العقار ، الذى حقنتها به ، سيمنع تجسسه علينا ، عبر عقل (مشيرة) ؟!

أشار بيده ـ قائلاً :

ـ هذا العقار يُحيط كل حواس الجسم ، على نحو أو آخر ؛ لتأمين حالة من الاسترخاء التام ، المطلوب لعلاج بعض الأمراض النفسية المستعصية ، وما دامت لا تستطيع سماعنا أو رؤيتنا ، فلن يمكنها بث كل ما تلتقطه من معلومات ، إلى ذلك الشىء الرهيب .

سأله الدكتور (حجازى) فى توتر :

ـ هل تعتقد أنها تستطيع بث المعلومات إليه ، وحتى فى وجود ذلك الدرع الموجى المضاد ، المحيط بنا ؟!

أومأ برأسه إيجاباً ، وقال :

ـ حسبما فهمت من (نشوى) ، ذلك الدرع يمنعه من الوصول إلينا ، ولكن لا يمنع (مشيرة) من الانطلاق إليه ، لأن عقلها سيبث ما لديه ، عبر موجة مختلفة تماماً .

غمغمت (نشوى) :

ـ بالضبط .

ثم أضافت ـ وأصابعها تتقافز فى سرعة ، على أزرار الكمبيوتر الخاص بها :

ـ ولكن أمامنا دقيقة واحدة فقط ، قبل أن يبدأ أبى و(أكرم) تنفيذ الخطة .

سألتها (سلوى) فى قلق :

ـ هل نجحت فى اقتحام شبكة المعلومات العسكرية ، والسيطرة على نظام التأمين ، فى مركز الأبحاث العسكرية ؟!

أجابتها (نشوى) فى توتر :

ـ لم يكن هذا سهلاً .

وصمتت لحظة ، ثم استطردت فى حزم ، لم يفارقه توترها :

ـ ولكننى فعلتها .

هتفت (سلوى) :

ـ عظيم .. عظيم .

ثم ربتت على كتف ابنتها ، قائلة :

ـ لم أشك لحظة واحدة ، فى قدرتك على فعل هذا .

لم تعلق (نشوى) على عبارتها ، وهى تراقب ذلك العداد التنازلى ، فى ركن شاشة جهازها ، والذى يشير إلى اقتراب لحظة الصفر ، وإلى الثوانى المتبقية ، والتى بدا وكأنها تعدو فى سرعة مدهشة ، يخفق معها قلبها ..

ويخفق ..

ويخفق ..

ثم أعلنت الشاشة انتهاء العد ..

وبلوغ لحظة الصفر ..

وبكل توترها وانفعالها ، ضغطت (نشوى) زر جهاز الكمبيوتر ، وهى تتمتم فى خفوت :

ـ الآن .

قولها هذا شاركها فيه (نور) ، عندما أعلنت ساعته بدء الخطة ، وهو يغادر موقعه ، ويندفع مع (أكرم) نحو مركز الأبحاث العسكرية مباشرة ..

كان كلاهما واثقًا من أن (نشوى) قد قامت بعملها كما ينبغى ، وأن كل نظم تأمين المركز قد توقفت ..

ولمدة دقيقة واحدة ..

دقيقة راحت ثوانيها تمضى فى سرعة مدهشة ، وهما يعدوان نحو المركز ، ويقتربان منه ..

ويقتربان ..

ويقتربان ..

وفى حماس ، هتف (أكرم) :

ـ لقد نجحت (نشوى) حتمًا ، ولولا هذا لأمطرتنا الأسلحة الدفاعية للمركز ، بوابل من أشعة الليزر القاتلة ، قبل أن نبلغ هذه المسافة .

أجابه (نور) فى صرامة ، وذهنه يراجع تفاصيل خريطة إنشاءات مركز الأبحاث ، التى استخرجتها (نشوى) من الملفات السرية لشبكة المعلومات العسكرية :

ـ لم ندخل المكان بعد .

لوّح (أكرم) بمسدسه ، وهو يقول فى حزم :

ـ ومن سيجرؤ على منعنا ؟!

لم يجب (نور) هذه المرة ، ولكنه ألقى نظرة على ساعته ، التى تشير أرقامها إلى مضى الثوانى بسرعة مخيفة ، وهو

يدور حول مركز الأبحاث العسكرية ، ويتوقف عند باب خلفى ، ثم ينتزع من جيبه جهازًا صغيرًا ، ألصقه إلى جوار رتاجه الإليكترونى ، وضغط أزراره فى سرعة ، و(أكرم) يتمتم :

ـ أراهن أن هذا الجهاز من ابتكار (نشوى) أيضًا .

أجابه (نور) ، وهو يراقب الأرقام ، التى تتراص على شاشة الجهاز الصغير فى سرعة :

ـ هذا صحيح .

مع آخر حروف كلماته ، توقف صف من الأرقام على الشاشة ، وانطلق من الجهاز أزيز صغير ، ثم انفتح الباب الخلفى ، وكأنما تلقى شفرته الصحيحة ، التى يتم تغييرها يوميًا ، على نحو إليكترونى عشوائى ..

وبسرعة ، ودون أن يتبادلا حرفًا واحدًا ، عبر (نور) و(أكرم) الباب الخلفى ، و(نور) ينتزع ذلك الجهاز الصغير ، ويدسه فى جيبه ..

وعندما أغلق الباب خلفهما ، كانت ساعة (نور) تشير إلى أن أمامهما عشرين ثانية فحسب ، لكى يقطعا ساحة المركز ، ويعبران الباب الداخلى ، المزوّد برتاج إليكترونى مماثل ، حتى يمكنهما القول بأنهما داخل المكان بالفعل ..

وبأقصى سرعتهما ، انطلقا يعدوان ..

كان هناك عشرات من رجال الحراسات الخاصة ومكافحة الإرهاب فى المكان ، ولكنهم كانوا يبدون جميعًا أشبه بصور مشوَّشة ، على درجات مختلفة ، مما جعل (أكرم) يغمغم :

ـ رباه ! أكل هؤلاء مجرَّد صورة وهمية ؟!

أجابه (نور) :

ـ هذا يمنحك فكرة واضحة ، عن المدى الذى بلغته قوة ذلك الشىء ! إننا نرى كل هذه الصور المشوَّشة ، على الرغم من الموجة المضادة ، التى تحاول حماية عقلينا .

ردَّد (أكرم) :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

بلغا ذلك الباب الداخلى بالفعل ، وألصق (نور) جهازه الصغير ، إلى جوار رتاجه الإلكترونى ، وضغط زر الجهاز ..

ومرة أخرى راحت الأرقام تتراقص على شاشة ذلك الجهاز الصغير ، فى سرعة مدهشة ..

والثوانى تمضى بنفس السرعة أيضًا ..

ووفقًا لساعة (نور) ، تبقَّت أمامهم عشر ثوان ..

تسع ..

ثمان ..

سبع ..

ست ..

وبكل توتره ، هتف (أكرم) :

ـ ألا يمكن أن يعمل هذا الجهاز بصورة أسرع قليلاً ؟!

ولم يجب (نور) ..

كانت عيناه تتابعان الشاشتين ، فى آن واحد ..

شاشة جهاز (نشوى) الصغير ..

وشاشة ساعته الرقمية ..

ما زالت الأرقام تتراقص على شاشة الجهاز ..

والثوانى تمضى أيضًا ..

خمس ثوان ..

أربع ..

ثلاث ..

ثم ثبتت الأرقام على الشاشة ، وانفتح الرتاج الإليكترونى للباب الداخلى ..

وبكل قوته وسرعته ، دفع (نور) الباب ، وجذب جهازه الصغير من جوار رتاجه ، وهو يثب عبره ، هاتفاً :

ـ أسرع يا (أكرم) .. أسرع بالله عليك .

واندفع (أكرم) نحو الباب ..

ثانيتان تبقيتا ..

ثانية واحدة ..

ووثب (أكرم) ..

وانطلقت صاعقة قوية ، مع بدء تشغيل نظم التأمين الاحتياطية .. وبمنتهى العنف ، انتفض جسد (أكرم) ، فصرخ (نور) :

ـ لا .. ليس هو ..

ولكن جسد (أكرم) اندفع فى قوة ، وكأنما تلقى صاعقة فى صدره ، وسقط على ظهره ، فى ساحة المركز ، وقد توقفت أنفاسه ، واكتسى وجهه بزرقة رهيبة ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخ (نور) :

ـ (أكرم) .. يا إلهى ! (أكرم) .

لم يكن قد تخلى عن مسماعى الموجة المضادة بعد ، إلا أن كل الصور الوهمية للحراس فى الساحة ، بدت وكأنها تستعيد تماسكها ، وتستدير كلها نحو (أكرم) ..

ولم يكن من الممكن أن يغادر (نور) مكانه ..

أو ينطلق نحو (أكرم) ..

فلو أنه عاد عبر الباب الإليكترونى ، فلن يمكنه الدخول مرة أخرى ، حتى لو استخدم جهاز (نشوى) الصغير ..

نظم التأمين الاحتياطية ، التى بدأت عملها بالفعل ، كانت ستكشف أمر محاولته غير المشروعة للدخول حتماً ..

وعندئذ تفشل الخطة كلها ..

خطة إنقاذ (مصر) ، من ذلك الشر الرهيب ..

بل إنقاذ العالم كله ..

وفى صرامة عجيبة ، اتجهت كل الصور الوهمية نحو جسد (أكرم) ، وهى تستعيد وضوحها ، و ...

وفجأة ، انبعث ذلك الصوت الرهيب من خلف (نور) ..

صوت يقول بكل السخرية والوحشية :

ـ إذن فقد أتيت إلىَّ بنفسك .

استدار (نور) بكل توتره ، نحو مصدر الصوت ..

ثم انتفضت كل خلية فى جسده ..

فعلى قيد متر واحد منه ، كان يقف ذلك العملاق الوهمى الهائل ، بوجهه الخالى من أية ملامح ..

وفى هدوء وحشى ، انحنى ذلك العملاق الرهيب نحو (نور) ، وهو يقول بصوته البشع :

ـ مرحبًا بك فى جحيمى الخاص .

وعندئذ أدرك (نور) أنها النهاية ..

بلا ريب .

* * *

٧ ـ فى قبضة الشر ..

« لا يمكننا أن نقف صامتين يا سيادة المدير .. »

نطق أحد علماء مركز الرصد الفلكى الجديد العبارة ، فى عصبية بالغة ، وهو يلوّح بتلك الصورة ، التى تم التقاطها لذلك الجسم ، الذى يشق طريقه عبر فضاء المجموعة الشمسية نحو كوكب الأرض ، فانعقد حاجبا مدير المركز ، وهو يقول :

ـ وما الذى تتوقع منا فعله :

ـ نبلغ المسئولين على الفور .

تراجع مدير المركز فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ أى مسئولين بالضبط ؟!

أجابه الرجل :

ـ أعلى مستوى منهم .. ما رأيناه ورصدناه ليس شيئًا عاديًا يا رجل .. إنه أمر رهيب .. شىء لم يره عالم فلكى من قبل قط .

تراجع مدير المركز فى مقعده أكثر ، وأخذ يداعب ذقنه بسبابته وإبهامه ، وهو يتطلع إلى الرجل فى صمت ..

إنه على حق تمامًا ..

هذا الشىء ليس طبيعيًا ..

ليس كذلك أبدًا ..

ومن المؤكد أن أية مراجع فلكية ، لن تضم معلومة واحدة عنه ..

هذا لأنه ليس جسيمًا فضائيًا ..

أو كويكبًا ..

أو حتى ذرات معدنية فضائية متجمعة ..

إنه شىء عجيب ..

فريد ..

ومنفرد ..

ولكنه ، وعلى الرغم من كل هذا يبدو له مألوفًا ..

لقد رآه فى مكان ما ..

أو فى فترة ما ..

رآه ويذكره جيدًا ..

جيدًا جدًا ..

« ماذا ستفعل يا سيادة المدير ؟! »

انتزعته العبارة العصبية لعالم آخر ، من استغراقه فى أفكاره ، فاعتدل فى مقعده ، وهو يجيب :

ـ ما تقتضيه التعليمات يا رجل .

سأله ثالث :

ـ وما الذى تقتضيه التعليمات ، فى أمر كهذا ؟!

أشار المدير إلى جهاز الكمبيوتر المجاور له ، وهو يقول :

ـ أية أجسام فضائية جديدة ، يتم رصدها لأول مرة ، لابد أن يحتفظ بأمرها سرًا ، حتى لا تثير فزع العامة ، قبل تحديد هويتها بدقة ، ومن الضرورى أن نبلغ القائد الأعلى للمخابرات العلمية شخصيًا ، أو رئيس الجمهورية نفسه ، وفقًا لأهمية الأمر وخطورته .

سأله العالم الأول فى توتر :

ـ وهل أبلغت أحدهما ؟!

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لقد عجزت عن الاتصال بالقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فلا أحد يستطيع تحديد موقعه حاليًا ، أما سيادة الرئيس ، فقد طلبت مقابلته ، ولكننى لم أتلق ردًا من مدير مكتبه بعد .

بدا العالم الثانى شديد التوتر ، وهو يقول :

ـ ليس أمامنا فى الواقع الكثير من الوقت ياسيادة المدير ، فخلال سبع وخمسين دقيقة فحسب ، سيصل ذلك الشىء إلى الأرض ، وعندئذ قد نفقد أثره تمامًا .

هزّ المدير برأسه نفيًا ، وقال فى حزم :

ـ لن يمكنه دخول الغلاف الجوى للأرض ، دون أن ترصده شبكة الأقمار الصناعية ، ونبلغ به كل الأسلحة الجوية فورًا .

سأله العالم الثالث فى قلق :

ـ هل تعتقد هذا ياسيدى ؟!

أجابه المدير فى حزم :

ـ لاشأن لقناعتى الشخصية بالأمر .. إنها إجراءات حتمية ، منذ انتهاء الاحتلال ، واستعادة الأرض لعلومها وحضارتها(*) ..

(*) راجع قصة (أرض العدم) .. المغامرة رقم (٨٣) .

تبادل الرجال نظرة صامتة ، توحى بأنه ليس لديهم ما يضيفونه ، فأشار المدير بيده ، قائلاً :

ـ فليعد كل منكم إلى عمله الآن ، واتركوا لى تلك الإجراءات السخيفة .

همهموا جميعهم بكلمات مفهومة ، وهم يغادرون المكان ، فى حين التقط هو صورة ذلك الجسم المعدنى ، وتطلّع إليها بعض الوقت ، قبل أن يتمتم فى توتر :

ـ أنا واثق من أننى قد رأيته يومًا .

دفع الصورة داخل جهاز خاص ، ثم ضغط أزرار الكمبيوتر ، وقال فى توتر :

ـ ما دام عقلى عاجز عن التذكُّر ، فلنترك الأمر لشبكة المعلومات .

التقط الجهاز الخاص صورة ذلك الجسم ، ثم نقلها إلى شبكة المعلومات العالمية ، التى راحت تقارنه بكل ما لديها ، قبل أن يتوقّف البحث ، ويعلن التوصّل إلى المعلومة المطلوبة ..

وعلى شاشة الكمبيوتر ، ظهرت صورة أخرى واضحة ، لذلك الجسم ، من زاوية مختلفة تمامًا ، وتراصت إلى جوارها

بعض المعلومات الخاصة به ، والتى لم تزد عن عدة أسطر ، لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، فتألقت عينا المدير ، وهو يقول :

ـ كنت واثقًا من أننى قد رأيته من قبل .

ثم التقط سماعة هاتفه الخاص ، وطلب رقمًا قصيرًا ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى قال :

ـ إنه أنا مرة أخرى .. أكرر طلبى العاجل ، لمقابلة السيد رئيس الجمهورية ، وأريد أن أؤكد فى هذه المرة ، إن الأمر أخطر مما يمكن تصوره ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف بمنتهى الحزم :

ـ أخطر بكثير .

ومع قوله ، عاد يتطلع إلى تلك الصورة على الشاشة ..

صورة ذلك الجسم الفريد ..

والمنفرد ..

للغاية ..

* * *

لم يشعر اللواء (عماد) ، فى حياته كلها ، بالقهر والغضب ، مثلما شعر بهما فى تلك اللحظات ، وهو يدور فى زنزانته الصغيرة ، أسفل طابق مخابرات رياسة الجمهورية ..

لقد خطط للسيطرة على العالم ، والجلوس على عرش الكرة الأرضية ، فإذا بأمره ينتهى داخل زنزانة حقيرة كهذه ..

ـ وبأوامر من ؟!

الشىء الذى صنعه بنفسه ..

أو الذى أمر بصناعته ..

بتكوينه ..

بإعادة قدرات صاحبه الأصلى عبره ..

تلك القدرات الهائلة الرهيبة ، التى تصور أنه سيسخرها لحسابه ..

ولتحقيق أغراضه ..

وأهدافه ..

وأحلامه ..

لقد اتخذ كل الاحتياطات ..

ولكنه انهزم ..

ذلك الشيء الرهيب ، كشف نقطة الضعف فى برنامجه ، ودار حولها ، وانطلق فى اتجاه آخر ، و ....

وخدعه ..

امتلأت نفسه بغضب أكثر ..

ومرارة أكثر ..

وثورة أكثر ..

وبكل الفعال يعتمل فى أعماقه ، ضرب جدار الزنزانة ، صائحًا :

ذلك الوغد .

لم يكد ينطقها ، حتى سمع فى عقله ضحكة ساخرة عالية ، فالتفت بحركة حادة عصبية ، يتطلّع فى مقت إلى ذلك الشيء ، الذى اتخذ مرة أخرى تلك الصورة الوهمية لرئيس الجمهورية ، وهو يجلس على طرف ذلك الفراش الصغير ، عند الجانب الآخر للزنزانة ، قائلاً :

ـ هل أتى بابك الخلفى ثماره ؟!

قال اللواء (عماد) فى غضب شديد :

ـ لقد خدعتنى .

هزّت الصورة الوهمية كتفيها ، وقالت :

ـ وماذا فى هذا ؟! البرنامج الذى تركته ، كباب خلفى لك ، يضمن عدم قدرتى على قتلك ، أو حتى توجيه الآخرين إلى فعل هذا ، وقد تحقق لك ما أردت .

هتف فى ثورة :

ـ كان بيننا اتفاق .

قالت الصورة الوهمية فى سخرية :

ـ لست أذكر أى اتفاق بيننا .. كل ما أذكره هو محاولة منك لفرض سيطرتك على الأمر ، متصورًا أن برنامجك الخلفى سيحميك منى تمامًا .

هزّ اللواء (عماد) رأسه فى مرارة ، قائلاً :

ـ كان يمكننا أن نسيطر على العالم معًا .

مطّت صورة الرئيس الوهمية شفتيها ، وقالت :

ـ ولماذا معًا ؟! لماذا أتخذ شريكًا ، ما دام بإمكانى الفوز بالغنيمة كلها وحدى ؟!

ثم مالت نحوه ، مستطردة :

ـ هل كنت ستفعل العكس ، لو كنت مكانى ؟!

عضّ شفتيه فى قهر ، فأطلقت تلك الصورة الوهمية ضحكة وحشية مستفزة ، مضيفة :

- وحذار من الكذب أو التحايل ، فبرنامجك الخلقى لايمنعنى من قراءة أفكارك ، ورصد انفعالاتك بمنتهى الدقة .

قال اللواء (عماد) ، فى غضب مرير :

- كان ينبغى أن آمرهم بإنهاء مشروعك ، عندما ظهرت بوادر تمرُّدك .

نهضت صورة الرئيس الوهمية ، قائلة :

- ولكنك لم تفعل ، وهذا أكبر خطأ ارتكبته فى حياتك كلها .

ثم مالت نحوه ، مستطردة فى سخرية :

- كان ينبغى أن تتخذ القرار المناسب ، فى الوقت المناسب .

عضّ اللواء (عماد) شفتيه مرة أخرى ، قائلاً :

- ليتنى فعلت .

أطلقت الصورة الوهمية ضحكة أخرى ، ولوّحت بيدها ، فى حركة مسرحية أنيقة ، قبل أن تقول :

- لست أميل أبدًا إلى تكرار الأقوال ، ولكن دعنى أذكرك بأنك لم تفعل .. ولو تكرر الأمر الآن ، لم تكن لتفعل أيضًا ؛ لأن الطمع ، الذى ملأ جوارحك ، مع رغبتك العارمة فى السيطرة ، ولهفتك عليها ، كانا سيمنعانك من اتخاذ قرار بإنهاء المشروع .. وهذا من حسن طالعى .

صاح اللواء (عماد) :

- أتمنى أن تخسر حربك هذه .

تألّقت عينا الصورة الوهمية ، وهى تقول :

- اطمئن .. لن يحدث هذا أبدًا .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت فى زهو :

- إننى أنتصر على طول الخط .

كرّر (عماد) فى مقت :

- أيها الوغد الحقير .

أطلقت الصورة الوهمية ضحكة ساخرة أخرى ، قبل أن تقول ، بصوت ساخر وحشى :

- ولكن دعنى أعترف لك : إنك كنت على حق تمامًا .

تطلع إليها اللواء (عماد) ، فى تساؤل عصبى ، فتابعت بنفس السخرية الوحشية :

ـ السيطرة على البشر وإذلالهم ، أمر ممتع .. ممتع إلى أقصى حد .

وانتفض جسد اللواء (عماد) فى عنف ، مع تلك الضحكة الرهيبة ، التى ترددت فى أعمق أعماق عقله ..

أما تلك الصورة الوهمية ، فقد تلاشت فى بطء ، حتى اختفت تمامًا ـ لتبدأ جولة جديدة فى مكان آخر ..

جولة من جولات صراعها الرهيب ..

صراع السيطرة ..

الوحشى ..

* * *

على نحو لم يسبق له مثيل ، راح جسد (نشوى) ينتفض ، داخل القاعة الخاصة بالفريق ، وقد شملها انفعال جارف ، من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ..

وبكل ذلك الانفعال ، هتفت :

ـ ساعدهما يا إلهى ! ساعدهما على مواجهة ذلك الشر الرهيب .

حاولت (سلوى) تهدئتها ، على الرغم من كل ما تشعر به فى أعماقها من توتر ، فربتت على كتفها ، قائلة :

ـ نحن نعلم إنه ليس باستطاعتهما إجراء أى اتصال معنا ، فور دخولهما إلى مركز الأبحاث العسكرية .

فركت (نشوى) كفيها ، فى توتر بالغ ، وهى تقول :

ـ أعلم هذا يا أمى .. أعلم هذا ، ولكننى لا أستطيع منع ذلك التوتر الشديد ، الذى يسرى فى كل ذرة من كيانى .

ثم التفتت إليها بعينين دامعتين ، مستطردة فى مرارة :

ـ إنهما يواجهانه مباشرة هناك يا أمى .. يواجهان الوحش ، الذى ما زلنا نجهل ما هيته بالضبط .

قال (رمزى) ، بصوت متماسك :

ـ (نور) و(أكرم) محترفان يا (نشوى) .

غمغم الدكتور (حجازى) مكملاً :

ـ وهما يعلمان تمامًا ما ينبغى فعله .

قالت (نشوى) فى مرارة :

ـ ليس لدى ذرة من الشك فى هذا ، ولكن عقلى عاجز عن السيطرة على مشاعرى ، على الرغم من كل محاولاتى ..

ربتت (سلوى) على كتفها مرة أخرى ، وقالت :

ـ فلندع الله (سبحانه وتعالى) ، أن يوفقهما فى مهمتهما .

هتفت (نشوى) ، من أعمق أعماق قلبها :

ـ يارب .

مع دعائها ، انبعث أزيز خافت ، من جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، فالتفتت إلى شاشته فى سرعة ، وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول فى عصبية :

ـ إنها إشارة فائقة القصر أخرى .

انتفض جسد (سلوى) ، وهى تسألها :

ـ هل يحاول اقتحام مقرنا الخاص مرة أخرى ؟!

أجابتها (نشوى) فى سرعة :

ـ لا .. ليس هو .

هتف بها الدكتور (حجازى) :

ـ من إذن ؟!

هزت كتفيها ، قائلة فى توتر بالغ :

ـ لست أدرى .. لست أدرى .

راحت تلك الإشارة ، التى يستقبلها جهازها الخاص تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

ثم فجأة ، دوت فرقعة مكتومة فى المكان ..

وفى ذعر شديد ، هتفت (سلوى) :

ـ رباه ! لقد تجاوز شىء ما حاجز النيران المضاعف ... شىء آخر .

لم يكن قولها قد اكتمل بعد ، عندما ظهرت سحابة عجيبة ، فى منتصف القاعة ، فهتفت (سلوى) :

ـ إنه هو .

ولكن (رمزى) أجاب فى سرعة :

لا .. ليس هو .. إنه .. إنه ..

لم يستطع إتمام عبارته ، مع ذلك الانفعال الجارف ، الذى سرى فى كيانه كله ، والذى انتقل منه إلى (سلوى) ، و(نشوى) ، والدكتور (حجازى) أيضًا ، وكلهم يراقبون ذلك الشكل الهلامى ، الذى راح يتكوّن فى بطء ، وسط القاعة ..

ويتكون ..

ويتكون ..

ثم شهقت (سلوى) ، هاتفة :

ـ رباه ! هذا مستحيل !

نطقتها ، وقلبها يختلج بين ضلوعها فى قوة ، مع عنف المفاجأة ..

المفاجأة المذهلة ..

* * *

« لا تتركنى يا (نور) .. »

ترددت العبارة فى رأس (نور) ، وهو يستعيد وعيه فى بطء شديد ، وذهنه يستعيد ذلك المشهد المأساوى ، لزميله (أكرم) ، وهو يسقط وسط ساحة المركز كالمصعوق ، وتلك الصور الوهمية للحراس تحيط به ، وتصوّب إليه أسلحتها ..

« أنقذنى منهم يا (نور) .. »

هزّ (نور) رأسه فى قوة ، وهو يتمتم فى أعماقه :

ـ لن أتركك يا (أكرم) .. لن أتركك بين أيديهم أبداً .. سأنقذك يا صديقى .. سأنقذك منهم ، حتى ولو كان هذا آخر ما أقوم به ، فى حياتى كلها ..

« .. لا .. لا تفعل .. اهرب يا (نور) .. اتركنى واهرب ، قبل أن يظفروا بك أيضاً .. »

ترددت العبارة فى أعمق أعماق عقله ، حاملة صوت (أكرم) فى وضوح ، كما لو كانت تنطلق من بين شفتى هذا الأخير بالفعل ، فهزّ (نور) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ مستحيل يا (أكرم) .. مستحيل أن أتركك لهم !

ولكن صوت (أكرم) أخذ يتباعد ..

ويتباعد ..

ويتباعد ..

ومن بعيد ، كما لو أنه يأتى من أعماق سحيقة ، قال (أكرم) :

اتركنى يا (نور) .. أنت الأمل الأخير يا (نور) .. أمل الأرض الأخير ، بعد الله (سبحانه وتعالى) ..

لم تكد عبارة (أكرم) تنتهى ، حتى انطلقت ضحكة وحشية رهيبة ، فى أعماق عقل (نور) ، انتفض لها جسده كله ، قبل أن ينبعث فى أعماقه ذلك الصوت المخيف ، قائلاً :

ـ لا تصدق هذا أيها المغفل .

حاول (نور) أن يفتح عينيه ، أو يحرك ذراعيه ، إلا أنه أدرك في البداية ، أن معصميه مقيدان بإحكام إلى جدار معدني ، حتى قبل أن ينجح في فتح عينيه في بطء ..

بطء شديد ..

ولكن عقله لم يكن صافيًا كما ينبغي ، حتى وهو يستقبل تلك العبارة في عقله ، والتي تضيف في سخرية مخيفة :

ـ لو أنك أمل الأرض الأخير ، فهذا يعني أن الأرض قد فقدت آخر أمل لها ..

أعقبت العبارة ضحكة ساخرة وحشية أخرى ، ففتح (نور) عينيه عن آخرهما ..

ولكن الظلام كان يحيط به من كل جانب ..

ظلام دامس عجيب ، لم ير مثله أبدًا ، في حياته كلها ..

« لا تجعل هذا الظلام يخيفك أيها المقدَّم .. »

انبعث الصوت الوحشي داخل عقله ، فتمتم (نور) ، وهو يحاول التخلص من القيود ، التي تثبته إلى الجدار :

ـ أعتقد أنه ظلام وهمي أيضًا .. أنت تسيطر على عقلي ، وتمنع عينيَّ من الرؤية .. أليس كذلك .

أتاه ذلك الصوت الوحشي مرة أخرى ، في أعماق عقله ، وهو يقول في شماتة ساخرة :

ـ عبقري كما تعودت منك أيها المقدَّم .

سأله (نور) ، في صرامة شديدة ، على الرغم من موقفه :

ـ ما الذي تحاول منعي من رؤيته بالضبط ؟!

أجابه ذلك الصوت الوحشي :

ـ لا شيء أيها المقدَّم .. إنني أريدك أن ترى كل شيء ، ولكن في اللحظة التي أختارها أنا .

ومع نهاية قوله ، زالت الغشاوة المظلمة عن عيني (نور) بغتة ، واتضح له المشهد كله ..

وانتفض جسده في قوة ..

فقد كان داخل قاعة التجارب والأبحاث الرئيسية ، في مركز الأبحاث العسكرية ..

وكان جسد (أكرم) معلقًا من قدميه ، في سقف القاعة ، وهو يتدلى فاقد الوعي ..

وتحته مباشرة ، وداخل وعاء زجاجى كبير ، كان يستقر ذلك الشىء ..

لم يكن أشبه ببيضة معدنية كبيرة ، كما وصفه وزير الدفاع ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ..

بل كان شيئاً مختلفاً ..

شىء بشع ، رهيب ، مخيف ..

إلى أقصى حد .

* * *

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع والأخير

(آخر العمالقة)

المخ

• ما هو مشروع المخ، الذى تجريه جهة سيادية، فى سرية تامة ؟!

• كيف يواجه (نور) وفريقه ذلك الشر الرهيب، بعد أن فقد أهم وأخطر دروعه ؟!

• ترى من ينتصر فى هذه الجولة .. (نور) وفريقه، أم ذلك المخ ؟!

• اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

149

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً !!

د. نبيل فاروق

آخر العمالقة

150

Looloo www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ القـــادم ..

فرك مدير مركز الأرصاد الفلكية كفيه ، فى توتر بالغ ، وهو يقف فى حجرة الانتظار ، فى مقر رياسة الجمهورية ، أمام مدير مكتب الرئيس ، الذى تطلع إليه طويلاً فى صمت ، قبل أن يسأله فى هدوء مهذب :

ـ هل لى أن أعرف ، لماذا تطلب مقابلة السيد الرئيس بكل هذا الإصرار ، وعلى هذا النحو المباغت ، دون تحديد موعد سابق ؟!

ازدرد مدير مركز الأرصاد لعابه ، بنفس التوتر الشديد ، وهو يجيب :

ـ الواقع أننى قد سعيت أكثر من مرة ، لتحديد موعد لمقابلة سيادة الرئيس ، أو القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، كما تقتضى التعليمات ، ولكننى لم ....

استوقفه مدير مكتب الرئيس ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ كما تقتضى التعليمات ؟! وفقًا لمعلوماتى ، لا ينطبق هذا إلا على حالة واحدة .

ثم مال نحوه ، مستطرداً في توتر شديد :

ـ خطر قادم من الفضاء الخارجي .

بدا من الواضح أن عبارته قد أصابت كبد الموقف مباشرة ، فقد تراجع مدير المركز بحركة حادة ، والتقط نفساً عميقاً ، حاول أن يخمد به نيران توتره المتأججة ، قبل أن يجيب في عصبية :

ـ لقد رصدنا بالفعل جسماً قادماً ، من الفضاء الخارجي ، وكل أجهزتنا تؤكد أنه قادم من أعمق أعماق الكون ، على الرغم من وجود معلومات محدودة عنه ، في أرشيفنا الخاص .

بدا مدير مكتب الرئيس شديد الاهتمام والقلق ، وهو يقول :

ـ إذن فهناك خطر قادم من الفضاء الخارجي بالفعل !!

هز مدير المركز رأسه في توتر مجيباً :

ـ إنه سيصل إلى الأرض ، خلال اثنتي عشرة دقيقة فحسب ، في حين لا يمكننا تقرير ما إذا كان يمثل خطراً فعلياً أم لا ، وهذا يحتاج إلى قرار السيد الرئيس شخصياً ؛ لأننا عاجزون عن العثور على القائد الأعلى للمخابرات العلمية .

لم يكد يكمل عبارته ، حتى لاحظ اضطراباً محدوداً في ملامح مدير مكتب الرئيس ، استغرق لحظة واحدة ، قبل أن يتماسك هذا الأخير في سرعة ، قائلاً في حزم :

ـ انتظرني دقيقة واحدة .. سأعرض الأمر على سيادة الرئيس فوراً .

ناوله مدير مركز الأرصاد ملفاً صغيراً ، وهو يقول :

ـ دعه يطالع هذا .. سيساعده حتماً على اتخاذ القرار .

التقط مدير المكتب الملف ، واندفع به نحو حجرة مكتب الرئيس ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

راقبه مدير المركز ، وهو يختفي داخل مكتب الرئيس ، ثم التقط نفساً عميقاً متوتراً ، وعقله يسترجع لحظة الاضطراب ، التي شملت مدير المكتب ، متسائلاً عما يمكن أن تعنيه ..

هناك حتماً مشكلة ما ، تتعلق بالقائد الأعلى للمخابرات العلمية ..

مشكلة لا يمكن الإفصاح عنها .

في الوقت الحالي على الأقل ..

ولكن من المؤكد أنها ترتبط بكل التوترات ، التي تخوضها البلاد ، لسبب لم يتم الإعلان عنه ، في الآونة الأخيرة ..

سبب ، يجهله مدير المركز تمامًا ..

فعلى الرغم من أهمية موقعه ، وحساسية منصبه ، كان يجهل تمامًا كيف بدأ هذا الصراع الرهيب ..

ومن ناحيتنا ، يمكننا أن نعتبر أن البداية هى لحظة القضاء على ذلك المسخ الوحشى الرهيب ، الذى طوّر قدراته العقلية فوق الفائقة ، وسط رهبان جبال (التبت) ؛ لينفذ مخطّط كراهية بغيض ، دفعه إلى محاولة السيطرة على العالم وتدميره ..

فبعد صراع طويل عنيف ، انتهى الأمر برصاصات تقليدية ، أطلقها (أكرم) على رأس المسخ ، ذى المخ المزدوج ؛ لتضع خاتمة للمعركة(*) .

أو هكذا تصوّر الكل ..

إلا أنها ، فى واقع الأمر ، كانت مجرّد بداية جديدة ..

بداية لصراع أكثر عنفًا ..

وأكثر خطورة ..

وأكثر وحشية ..

ألف مرة ..

(★) راجع قصة (البقعة المظلمة) .. المغامرة رقم (١١٦) .

المفاجأة ، وبعد أن تصوّر الكل أن أمره قد انتهى ، عاد ذلك المسخ للظهور ..

عاد أكثر قوة ..

وأكثر شراسة ..

عاد وقد تحول مخططه ، من السيطرة على العالم ، إلى السعى لإفنائه تمامًا .. وكان هذا يعنى مواجهة رهيبة ..

مواجهة بلا حدود ..

وبوساطة الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين ، عرف (نور) وفريقه أن خصمهم لم يلق مصرعه ، مع رصاصات (أكرم) ، وإنما فقد أحد مخيه فحسب ..

وظلّ المخ الآخر حيًّا ..

ثم جاء فريق من العسكريين ؛ ليستولى على جسد المسخ ، الذى أعاده مخه السليم إلى الحركة ..

وليجرى عليه تجربة رهيبة ..

رهيبة إلى أقصى حد ..

وفى مركز الأبحاث العسكرية ، وتحت إشراف فريق من أمهر العلماء ، ولِدَ الخصم الجديد ..

مع قوة مضاعفة ..

قوة أمكنها أن تجتاح أمامها كل العقبات والحواجز ، وأن تسيطر على كل ما حولها ، حتى مركز الأبحاث العسكرية ، وفريق العلماء ..

ثم انطلقت نحو الهدف الأكبر ..

نحو إفناء البشر ..

كل البشر ..

ولأن رهبان (التبت) كانوا الدرع الواقى الذى يحمى (نور) وفريقه من قدراته العقلية المخيفة ، فقد انقضّ عليهم فى معبدهم ، وسحقهم بضربة واحدة ..

ضربة وحشية ..

وفقد فريق (نور) درعه الأساسى ..

وامتلك الخصم السيطرة ..

كل السيطرة ..

إلا أن الفريق لم يستسلم ..

بمهارة مدهشة ، صنعت (سلوى) و(نشوى) جهازًا مضادًا ، يمكنه أن يحد من قدراته العقلية المدهشة ..

ولكنه لا يمنع سيطرتها ..

وعلى الرغم من هذا ، راحت قوة ذلك الخصم الهائل تتطوّر ..

وتتطوّر ..

وتتطوّر ..

ومع تطوُّره ، بدأ يصنع صورًا وهمية قوية ، قادرة على خداع الكل ..

وبوساطتها ، سيطر على كل ما تبقى ..

على مركز الأبحاث العسكرى ...

وقيادته ..

ونائب رئيس مخابرات رياسة الجمهورية ، الذى أصدر أوامر إجراء تلك التجربة الرهيبة ، التى أعادته إلى الوجود ..

ثم على أخطر رجل فى البلاد ..

رئيس الجمهورية شخصيًا ..

وفى نفس الوقت ، الذى قرر فيه (نور) و(أكرم) ، أن يقتحما مركز الأبحاث العسكرية ، ليواجها خصمها مباشرة ، كانت الأحداث تتوالى على نحو رهيب سريع ..

الخصم قتل كل فريق العلماء ، المسئول عن استمراريته ، وتضاعفت قوته ، إلى الحد الذى جعله المسيطر الوحيد على مساره ..

وراهبان من رهبان (التبت) بقيا على قيد الحياة ، واستعادا وعيهما ، وتآزرا لإجراء اتصال قوى ..

اتصال قد يعنى مصير الأرض كلها ..

وفى مقر الفريق ، استقبلت الأجهزة موجة جديدة فائقة القصر ..

موجة تأتى من مصدر آخر ..

ومع الموجة ، على الرغم من وجود البرنامج المضاد ، راحت صورة هلامية تتكوَّن فى المكان ..

وتتكوَّن ..

وتتكوَّن ..

ثم كانت مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..

مفاجأة لاتقل عما واجهه رجال مركز الأرصاد الفلكية ، مع كشفهم هوية ذلك الجسم ، الذى ينطلق عبر الفضاء ، متجهًا نحو الأرض مباشرة .

الجسم الذى أذهلتهم معرفة هويته ..

إلى أقصى حد ..

أما (نور) و(أكرم) ، فعلى الرغم من كل ما فعلاه ، ومن ثقة (نشوى) فى إيقاف نظام التأمين الإليكترونى لمركز الأبحاث العسكرية ، فى الوقت المناسب تمامًا ، فقد فشلت خطتهما فشلاً ذريعًا ..

وعندما استعاد (نور) وعيه ، كان مقيدًا إلى جدار قاعة الأبحاث الرئيسية فى حين تدلَّى (أكرم) مقيَّدًا من قدميه فى السقف ، وتحته مباشرة ، وداخل وعاء زجاجى كبير ، كان يستقر ذلك الخصم الرهيب ..

الخصم الذى بدا بشعًا رهيبًا مخيفًا ..

إلى أقصى حد(*) ..

« سيادة الرئيس سيستقبلك فورًا .. »

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الثلاثة الأولى ، (الصحوة الكبرى) ، (عودة الشر) ، و(المخ) .. المغامرات رقم (١٤٧) ، (١٤٨) ، و(١٤٩) .

انتفض جسد مدير مركز الأرصاد، مع عبارة مدير مكتب الرئيس، التي انتزعته من أفكاره وتساؤلاته، فاعتدل جسده في توتر، وهو يقول في تلقائية عصبية:

- حمداً لله.

وعلى الرغم من لهفته الشديدة، لمقابلة الرئيس، قبيل وصول ذلك الجسم إلى الأرض، لم يكد مدير مركز الأرصاد يدلف إلى المكتب، حتى سرت في جسده قشعريرة باردة، وراوده شعور مبهم بالخوف والقلق، جعل الكلمات تتجمّد في حلقه تماماً، في حين تطلّع إليه الرئيس مباشرة، بنظرة لا تبعث على الارتياح أبداً، وهو يقول:

- متى رصدتم ذلك الشيء ؟!

أجابه الرجل في توتر، لم يستطع إخفاءه:

- منذ ما يقل قليلاً عن الساعتين يا ... يا سيادة الرئيس ..

لم يدر لماذا تردد لحظة، قبل أن يلقبه بالرئيس !!

شيء ما في أعماقه، جعله يتصوّر لحظة أنه ليس من يبدو ..

ليس رئيس الجمهورية الحقيقي ..

شيء لم يجد له أي تفسير منطقي في أعماقه ..

ولكن عيني الرئيس تألقتا ببريق وحشي مباغت، وكأنما قرأ ما يدور في ذهنه، وهو يقول في صرامة:

- ولماذا لم يتم إبلاغي فوراً ؟! لماذا أضعتم كل هذا الوقت:

بذل مدير مركز الأرصاد جهداً خرافياً؛ للسيطرة على توتره، وهو يجيب:

- لقد اتبعنا التعليمات يا سيادة الـ ... الرئيس.

مرة أخرى، لم يستطع منع ذلك التردد، الذي يكتنف لسانه، كلما هم بنطق اللقب ..

ولكنه في هذه المرة، استنفر كل إرادته، ليندفع مواصلاً:

- حاولنا في البداية إبلاغ القائد الأعلى للمخابرات العلمية، وطلبت شخصياً مقابلة سيادتكم أكثر من مرة، ولكننا لم ننجح في هذا أو ذاك .. لذا فقد أتيت بنفسي، و ...

قاطعه الرئيس في صرامة:

- فليكن.

أطبق الرجل شفتيه ، وازدرد لعابه فى توتر ، وهو يتطلع إلى الرئيس ، الذى تحرك فى انسيابية مدهشة ، نحو شاشات الرصد فى مكتبه ، وهو يسأله :

ـ متى سترصد أقمارنا الدفاعية ذلك الجسم ، وتبدأ فى التعامل معه ؟!

ألقى مدير المركز نظرة على ساعته ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ بعد دقيقة وتسع عشرة ثانية بالضبط .

أدار الرئيس عينيه نحو شاشات الرصد ، فاشتعلت كلها دفعة واحدة ، وبدأت تنقل صورة للفضاء المحيط بالأرض ، دون أن تمسها أصابعه ، فانتفض جسد مدير مركز الأرصاد ، وهو يتراجع بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ رباه ! ولكن كيف ....

قبل أن يتم عبارته ، تفكك جسد الرئيس فجأة ، وتحول إلى سحب من الدخان ، جعلت مدير المركز يصرخ ، بكل رعب الدنيا :

ـ ماذا يحدث هنا ؟!

قبل حتى أن تكتمل صرخته ، كان الدخان يتكثف مرة أخرى ، ليصنع صورة جديدة رهيبة ..

صورة ذلك العملاق الوهمى ..

عملاق بلا وجه ..

ومرة أخرى ، صرخ مدير المركز ..

صرخ ..

وصرخ ..

وصرخ ..

ولكنه ، ولسبب ما ، لم يسمع حتى صرخاته ..

لقد انطلقت ..

وترددت ..

وانفجرت ..

فى أعماقه فقط ..

ولم تتجاوز شفتيه ..

أبدًا ..

وتراجع المدير ، بكل رعب الدنيا ، حتى التصق بالجدار ، وهو يحدق فى ذلك العملاق الوهمى ، الذى اقترب منه فى هدوء ، ثم مال نحوه ..

ومد يده إلى صدره ..

واخترقه ..

اخترقه فى نعومة ، كأنه صورة وهمية شبحية ، و ...

وشهق مدير المركز ..

شهق مع ذلك الألم الرهيب ، الذى اعتصر قلبه .. ثم سحقه سحقاً ..

ومرة أخرى ، انتفض جسد المدير ..

انتفض انتفاضة تختلف عن كل ما سبقها ..

انتفاضة الموت ..

وفى نفس اللحظة ، التى سقط فيها الرجل جثة هامدة ، اندفع مدير مكتب الرئيس إلى الحجرة ، وحدق فى الجثة فى ذعر ، قبل أن يسمع صوت الرئيس وهو يقول فى صرامة :

- أرسل من يرفع هذه الجثة من هنا .

رفع الرجل عينيه إلى الرئيس ، وهو يرتجف ، متسائلاً فى هلع :

- ولكن ماذا ؟! ماذا حدث ؟!

تجاهلت صورة الرئيس الوهمية سؤاله تماماً ، وهى تقول ، بنفس صوت ولهجة وصرامة الرئيس ، المسجلة فى أعمق أعماق عقل الرجل :

- صلنى بوزير الدفاع فوراً ، واطلب من أطقم الحرس الجمهورى أن تستعد ..

وألقى نظرة على الصور ، التى يحويها ذلك الملف ، الذى أحضره مدير مركز الأرصاد ، قبل أن يضيف :

- فالمعركة ستكون عنيفة .

وعاد يستدير إلى شاشات الرصد ، التى تنقل مشهد ذلك الجسم ، وهو يقترب من الأقمار الدفاعية ، مكملاً :

- إلى أقصى حد .

وعلى الرغم من توتره العنيف ، وذعره الذى بلغ ما لم يبلغه قط ، لم يكن أمام مدير المكتب سوى أن يطيع أوامر من يبدو أمامه كالرئيس ، وإن لم يستطع منع فضوله من اختلاس النظر إلى شاشات الرصد ، وإلى تلك الصور ، التى تتصدر الملف ، الذى وضعه بنفسه ، على مكتب الرئيس ..

صور ذلك الجسم ، الذى يشق طريقه ، من أعمق أعماق الفضاء ، نحو كوكب الأرض مباشرة ..

للجسم الذى بدا مألوفًا بزيه الأحمر الزاهى ، ووجهه الأخضر الجامد ..

جسم (س ـ ١٨) ..

شخصيًا ..

أو آليًا ..

* * *

ذهول تام ، ذلك الذى سيطر على الموجودين فى مقر فريق (نور) ، وهم يحدقون فى تلك الصورة الهلامية ، التى تكونت وسط المكان ..

ودون استثناء واحد ، اتسعت عيونهم عن آخرها ..

(سلوى) ..

(نشوى) ..

(رمزى) ..

الدكتور (حجازى) ..

وحتى (مشيرة) ، على الرغم من العقار ، الذى أعطاها (رمزى) إياه ، والذى يُحبط معظم حواسها ..

فما حدث كان مذهلاً بالفعل ..

وإلى أقصى حد ..

« أنتم لاتحلمون يا رفاق .. »

ترددت العبارة فى عقولهم جميعًا ، فى آن واحد ، على الرغم من أنهم لم يسمعوا حرفًا منها بآذانهم ، فغمغمت (سلوى) :

ـ أهذا جزء من حرب الوهم .

« ليس وهمًا أيضًا .. »

ترددت العبارة الثانية فى أذهانهم أيضًا ، مع ابتسامة شملت الصورة الهلامية أمامهم ، فهتفت (نشوى) فى مرارة :

ـ رباه ! إذن فهو أنت .. وأنت يا .. يا ....

قاطعها (رمزى) ، وكل حرف من كلمته يرتجف على شفتيه ، من فرط انفعال جارف :

ـ (محمود) ؟!

« نعم .. هو أنا يا رفاق .. »

تردد القول ، فى أعمق أعماق عقولهم ، فاختلجت قلوبهم فى صدورهم ، وهتفت (مشيرة) ، فى عمق عجيب :

ـ مستحيل !

شعر الكل بقلق شديد ، للأسلوب الذى نطقت به هتافها ، وبخاصة الدكتور (حجازى) ، الذى هتف :

ـ ولكن كيف ؟!

أجابته صورة (محمود) الهلامية ، عبر عقولهم جميعًا ..

« إننى أبذل جهدًا خرافيًا ، للوصول إلى هذه الحالة ، التى لا يمكننى مواصلتها طويلاً ، لذا استمعوا إلىّ جيدًا ، قبل أن تنفد طاقتى .. »

هتفت به (نشوى) فى لهفة :

ـ ألديك وسيلة ، لمقاومة تلك الشر الرهيب ؟!

أجابها (محمود) ، وصورته الهلامية تضعف ، على نحو ملحوظ ..

« نفس ما أخبرتك به من قبل .. العقل لا يدحضه إلا العقل .. »

سأله (رمزى) فى اهتمام شديد :

ـ وما الذى تقصده بهذا يا (محمود) ؟! كيف نستخدم العقل ، لهزيمة عقله المتفوّق ، الذى تجاوز قدرات كل الحدود المعروفة ـ علميًا وتاريخيًا ؟!

بهتت الصورة الهلامية أكثر وأكثر ، مع صوت (محمود) ، الذى يتردّد فى كل العقول بلا استثناء ..

« مفهوم القدرة العقلية غير واضح فى أذهانكم يا رفاق فمن الناحية الفعلية يتفوق عقل ....

تلاشت كلماته دفعة واحدة ، دون سابق إنذار ، وتموّجت صورته الهلامية فى قوة ..

ثم اختفت دفعة واحدة ..

ومع اختفائها المفاجئ ، هتفت (سلوى) :

ـ لا .. لا تذهب يا (محمود) .. لا تذهب قبل أن تخبرنا .

عادت الصورة الهلامية للظهور ، وهى تهتز بشدة ، وبدا صوت (محمود) مضطربًا فى عقولهم ، وهو يقول :

ـ لابد من مواجهة مباشرة .. عقول فى مواجهة عقول خلايا المخ ستمتزج ، و .....

بدا الجزء التالى من عبارته مشوّشًا ، حتى إنهم لم يفهموا منه حرفًا واحدًا ، فهتفت (نشوى) :

ـ هل يتم تسجيل كل هذا ؟!

أشارت (سلوى) بسبابتها ـ قائلة فى انفعال :

ـ بالطبع .

كان من الواضح أن (محمود) يريد أن يضيف شيئًا :

شىء مهم للغاية ..

ولكن صوته كان يخفت ، حتى يكاد يبلغ الصمت ، فى حين راحت صورته الهلامية تخفت ..

وتخفت ..

وتخفت ..

وفى توتر بالغ ، غمغم (رمزى) :

ـ رباه ! لقد استنفد كل طاقته .

هتفت (سلوى) فى مرارة :

ـ ولكنه لم يخبرنا بأى شىء بعد .

غمغمت (نشوى) :

ـ ربما كان هذا هو المقصود بالضبط .

التفت إليها الجميع فى دهشة ، مع اللهجة المرتجفة التى نطقت بها كلماتها ، وسمعوها تضيف وهى تحدق فى نقطة ما خلفهم :

ـ وأظننى أعرف لماذا !

التفت الكل ، إلى حيث تتجه نظراتها المذعورة ، وسقطت أبصارهم عند الموضع ، الذى تحتله (مشيرة) ، و .....

واتسعت عيونهم عن آخرها ، بمنتهى الدهشة ..

وبمنتهى الذعر ..

فهناك ، وعلى الرغم من العقار المحبط للحواس ، الذى يسيطر على كيانها كله تقريبًا ، بدت (مشيرة) فى هيئة مخيفة ..

مخيفة تمامًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *

٢ـ معــركة ..

مشوار طويل ، ذلك الذى قطعه (س ـ ١٨) ، عبر الكون كله تقريبًا ، حتى يعود إلى الأرض ..

فبناءً على أوامر (نور) ، ارتفع بجسده الآلى ، حتى بلغ منتصف تلك الفجوة ، التى صنعها الغزاة ، بين عـالمهم والأرض ، استعدادًا لنقل قوات الغزو عبرها ..

وفى منتصف الفجوة تمامًا ، راح يدور حول نفسه ..

ويدور ..

ويدور ..

وفى كل دورة ، كانت سرعته تتضاعف ..

وتتضاعف ..

وتتضاعف ..

ثم استجمعت أجهزة جسده الآلى كل طاقتها ، وأطلقتها فى شكل صواعق أرجوانية اللون ..

صواعق أحاطت بحدود الفجـوة بين العالمين ، وصنعت حولها نطاقًا أرجوانيًا متألقًا ..

ثم دوى انفجار رهيب ..

انفجار تلاشت معــه تلك الفجـوة بين العالمين ، ولم يعد لها أثر ..

أدنى أثر(*) ..

ومع تلاشى الفجوة ، وجد (س ـ ١٨) نفسه فى عالم آخر ..

عالم إمبراطورية (هور) الوحشية ..

عالم من الأعداء ..

ولدقيقة أو يزيد ، راحت أجهزة (س ـ ١٨) ، وذاكرته الإليكترونية الرقمية ، تدرس مـا حدث ، وتحلله ، وتحاول إيجاد المعادلات اللازمة لعكس تأثيره ، وإعادة الأمور إلى نصابها ..

ولكن الأجهزة كلها أعلنت أن هذا مستحيل !

مستحيل تمامًا ..

هذا ؛ لأن الفجوة بين العالمين ، لايمكن أن تتكون مـرة أخرى ، إلا عند نقاط تماس بعينها ..

(*) راجع قصة (سادة الكون) ... المغامرة رقم (١٢٤).

وفى أزمنة محدودة ..

محدودة للغاية ..

لذا ، فقد راحت أجهزته كلها تعيد دراسة الأمر ، من منظور جديد ..

منظور مختلف تمامًا ..

ولأن برامجه شديدة التعقيد ، تحوى كل النظريات الفيزيقية والفلكية ، التى توصل إليها صانعوه الأوائل ، فقد توصلت إلى حل آخر ..

حل شديد التعقيد ..

إلى أقصى حد ..

وفى نفس الوقت ، الذى استعدت فيه القوات الإمبراطورية لـ (هور) ؛ للانقضاض عليه ، انتقامًا لما أصاب إمبراطورها وعرشه الكبير ، انطلق (س ـ ١٨) فجأة ..

انطلق يشق سماء (هور) ، نحو الفضاء ..

فضاء العالم الآخر ..

وفى أعماق برنامجه الآلى ، راحت الخريطة ترتسم ..

خريطة العودة إلى حيث ينتمى ..

إلى كوكب الأرض ..

وعالم كوكب الأرض ..

كان عليه أن يعبر عددًا من الثقوب السوداء ، والأنفاق الدودية الفضائية ، وأن يمتلك كل الطاقة الكافية لهذا ..

وكل الزمن اللازم أيضًا ..

ولأن برامجه لا تحوى القلق أو الخوف ..

حتى من الزمن ..

فقد انطلق (س ـ ١٨) فى رحلته ..

انطلق يشق طريقه بين عالمين ..

وعبر الكون ..

وفى تلك اللحظات ، كان برنامجه يعلن أنه قد اقترب من الهدف ..

من الأرض ..

لذا فقد راح يتجه نحو (مصر) مباشرة ، و ....

« استعد لبدء الهجوم .. »

نطق وزير الدفاع المصرى العبارة ، فى صرامة تامة ، عبر كل أجهزة الاتصال ، التى تربطه بقيادات الجيوش المختلفة ، فسرت رعدة محدودة ، فى جسد أركان حربه ، وهو يغمغم :

ـ الواقع أن ما نفعله لا يروق لى أبدًا ، يا سيادة الوزير .

انعقد حاجبا وزير الدفاع ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إننا ننفذ أوامر الرئيس ، باعتباره القائد الأعلى للقوات المسلّحة ، وفقًا للدستور .

هزّ أركان الحرب برأسه ، قائلاً :

ـ ولكننا نهاجم (س ـ ١٨) يا سيادة الوزير .. ذلك الآلى الذى أنقذ الأرض كلها ، من غزو رهيب ، و ...

قاطعه الوزير فى صرامة :

ـ ومن أدراك أنه ليس طليعة غزو آخر هذه المرة ؟!

قال أركان الحرب فى توتر :

ـ ما يقلقنى أننا لم نحاول حتى التيقن من هذا .

استدار إليه الوزير بكل صرامته ، وهو يقول :

ـ إننا ننفذ الأوامر العليا ، وما دام الرئيس ، بكل أجهزته ومخابراته الرياسية ، والعلمية ، والعامة ، قد اتخذ قرارًا كهذا ، فلديه حتمًا ما يبرّره .

تنهّد أركان الحرب ، وهزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ أتعشم هذا ، فمن الناحية العملية ، نحن نقاتل بطلاً قوميًا ..

انعقد حاجبا الوزير فى شدة ، وهو يقول :

ـ إنه مجرّد شخص آلى .

أومأ أركان الحرب برأسه ، قائلاً :

ـ ربما يا سيادة الوزير .. ولكن السؤال الحقيقى الآن هو : هل سيمكننا أن ننتصر ، فى معركة كهذه ؟!

ازداد انعقاد حاجبى الوزير ، وهو يرمقه بنظرة نارية ، قبل أن يعتدل ، قائلاً بكل الصرامة ، عبر أجهزة الاتصال العسكرية المختلفة :

ـ ابدأ الهجوم .

نطقها ، وهو يضغط زرًا كبيرًا أمامه ، فسرت قشعريرة جديدة ، فى جسد أركان الحرب ، وهو يطالع شاشات الرصد كلها ..

كانت المقاتلات الأرضية تقلع ..

ومدافع الليزر تتوجَّه ..

وقطع الأسطول تتمركز ..

والأقمار الصناعية الدفاعية تتحفز ، و ...

ووصل جسم (س ــ ١٨) ، إلى نطاق الحماية الفضائية الأرضية ..

وفي آن واحد ، وعلى الرغم من سرعته الخرافية ، انطلقت مدافع الليزر الفضائية ، في كل الأقمار الصناعية ، نحو الهدف ..

وفي لحظة واحدة ، تلقَّى جسم (س ــ ١٨) ضربة هائلة مركَّبة ، من عشرات المدافع الليزرية القوية ..

ضربة جعلت أجهزته تسجِّل معدلات رهيبة من الطاقة ..

ولجزء من مائة جزء من الثانية ، لم تستوعب أجهزة (س ــ ١٨) وبرامجه ما حدث !!

فالمفترض ، وفقًا للمسجَّل لديه ، أنه يقترب من أرض صديقة !!

فلماذا الهجوم إذن ؟!

ثم بدأ برنامجه القتالي يواجه الموقف على الفور ..

الضربة الرهيبة الأولى ، استنفدت معظم ما تبقَّى من طاقته ، للحفاظ على جسده وبرامجه ..

والضربة الثانية ستتلف أجهزته حتمًا ..

لذا ينبغي أن يتفاداها ..

وبأي ثمن ..

وبحركة مباغتة ، انحرف مسار (س ــ ١٨) إلى اليسار ، ثم مرة أخرى إلى اليمين ، قبل أن يعاود الانطلاق نحو الأرض ، بأقصى سرعة تسمح بها أجهزة الطيران داخله ..

وبسرعة مذهلة ، عدَّلت مدافع الليزر الفضائية مسارها ..

وأطلقت طلقتها الثانية ..

وسجَّلت أجهزة (س ــ ١٨) انطلاق الدفعة الثانية ، بسرعتها الليزرية الفائقة ..

وبسرعة مذهلة ، انحرف مساره مرة أخرى ، وهو يهوي نحو الأرض كنيزك مشتعل ، مع احتكاكه بالغلاف الجوي ، بهذه السرعة الخرافية الرهيبة ..

ولأن أشعة الليزر لا تنطلق إلا فى مسارات مستقيمة ، فقد تجاوزت جسده مع ذلك الانحراف المباغت ، الذى تم فى اللحظة المناسبة تماماً ، وواصلت طريقها ، لتضرب منطقة عسكرية ، فى صحراء (مصر) الغربية ، وتسحقها سحقاً بدون هلال ..

ومع ذلك المشهد الرهيب ، على شاشات الرصد ، هتف أركان الحرب ، بكل توتر الدنيا :

ـ أوقف مدافع الليزر الفضائية يا سيادة الوزير .. أوقفها بالله عليك .

ضغط الوزير الأزرار أمامه فى سرعة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنه لن يفلت فى كل مرة ..

هتف أركان الحرب فى حدة :

ـ تاريخه يؤكد أنه قادر على مواجهة ما يفوقنا يا سيادة الوزير .

استعاد ذهن الوزير تاريخ (س ـ ١٨) ، ومواجهاته السابقة المختلفة ، قبل أن يغمغم ، وقد بلغ توتره مبلغه :

ـ إننا ننفذ الأوامر ..

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كانت المدافع الليزرية الأرضية ، وصواريخ المقاتلات ، وقطع الأسطول البحرى ، تشن جميعها هجوماً شاملاً موحداً ، على الأطلنطى الآلى ..

وشعر جسم (س ـ ١٨) بالضربة الثانية ..

والثالثة ..

والرابعة ..

وراح مخزون الطاقة المتبقى فى أجهزته ينضب ..

وينضب ..

وينضب ..

حتى الحرارة الرهيبة ، التى تحيط بجسده ، من جراء الاحتكاك بالغلاف الجوى الأرضى ، كان تستنفد طاقته ..

وتستهلكها ..

وتطيح بكل ما تبقى منها ..

وعبر برنامجه الأساسى ، انطلق إنذار قوى ..

إنذار يعلن أن طاقته على وشك النفاد ..

فعلى الرغم من بطارياته الرهيبة ، التى زوده بها سادته وصانعوه ، فى حضارة سبقت حضارتنا بزمان ، وتفوقت عليها ألف مرة ، ومن قدرتها المذهلة على تخزين طاقات هائلة ، تكفى لإضاءة الأرض كلها ، وتشغيل مصانعها بطاقتها القصوى ، لأكثر من شهر كامل ، كان جسم الآلى يوشك على إعلان انهياره ..

تلك الرحلة الطويلة ، عبر الكون وعوالمه ، بتلك السرعة الخرافية ، استنفدت معظم طاقاته الهائلة ..

ثم جاء ذلك القتال المباغت ، الذى استقبلته به الأرض ، ليستنفد كل ما تبقى له ..

تقريبًا ..

لذا ، وقبل حتى أن تبدأ الموجة الجديدة من الهجوم ، توقفت أجهزة (س ـ ١٨) دفعة واحدة عن العمل ..

وهوى جسده من أعلى ..

هوى كالحجر ..

وعلى كل شاشات الرصد ، سجلت آلات المراقبة هذا المشهد ..

مشهد الجسد الآلى ، بزيه الأحمر الزاهى ، ووجهه الأخضر المخيف ، وهو يهوى من حالق ، ويرتطم برمال الصحراء فى عنف ..

بل عنف العنف ..

ارتطامه نفسه ، بدا أشبه بقنبلة قوية ، تفجرت فى قلب الصحراء ، وارتفعت معها سحابة كبيرة من الدخان ..

ومع دوى القنبلة ، خيم وجوم عجيب على الجميع ..

المقاتلون ..

ورجال الأسطول ..

والوزير ..

وأركان الحرب ..

وحتى صورة الرئيس الوهمية ..

وجوم صامت ، شمل الكل ، وهم يترقبون انقشاع الدخان ، وهبوط سحب الرمال والغبار ، ووضوح ذلك الجسم ، المستلقى على الرمال ..

كان من الواضح أن درجة حرارته مرتفعة إلى حد مدهش ، حتى أنها أذابت الرمال من حوله ، وصنعت بركة زجاجية عجيبة ، لها التماعة مميَّزة ، تحت أشعة الشمس(*) ..

ولدقيقة كاملة تقريبًا ، اكتفى الكل بمتابعة ذلك المشهد النادر الرهيب ، قبل أن تقول صورة الرئيس الوهمية :

- اتخذوا كافة الإجراءات ، لانتشال ذلك الآلى ، وضمان السيطرة التامة عليه .. فورًا .

لم تنطقها الصورة ، ولم تردّدها أجهزة الاتصالات العسكرية ، إلا أن الوزير وأركان حربه قد سمعاها عبر عقليهما ، وتصوّرا وهمًا أنها قد أتتهما عبر جهاز الاتصال المباشر الخاص ، فقال الوزير فى حزم :

- كما تأمر يا سيادة الرئيس .

ثم التفت إلى أركان حربه ، قائلاً فى صرامة :

- اعمل على تنفيذ أوامر سيادة الرئيس فورًا ..

(*) يصنع الزجاج التقليدى من مركبات (السيليكا) وهو الاسم الشائع لثانى أكسيد السيليكون ، الذى يوجد فى هيئات مختلفة ، مثل الكوارتز ، والرمال ، وبعض الصخور ، والأجزاء الهيكلية لبعض الحيوانات والنباتات .

خُيِّل إليه أن أركان حربه لم يسمع حرفًا واحدًا مما نطقه ، وهو يحدّق فى جهاز الاتصال أمامه ، فصاح به فى صرامة :

- ألم تسمعنى أيها العقيد ؟!

أدهشه أن انتفض أركان حربه فى قوة ، وكأنما انتزعته الصيحة من شرود عميق ، ثم التفت إليه ، قائلاً فى توتر :

- معذرة يا سيادة الوزير .. لقد سمعتك جيدًا ، ولكن ...

بدا مضطربًا ، وهو يبتر عبارته ، ويعود ببصره إلى جهاز الاتصال العسكرى ، فهتف به الوزير فى عصبية :

- ولكن ماذا يا رجل ؟!

أشار أركان الحرب إلى جهاز الاتصال ، وهو يقول ، بصوت شديد التوتر والاضطراب :

- الجهاز لم يكن يعمل ، عندما استقبلنا أوامر سيادة الرئيس !

علا حاجبا الوزير ينعقدان ، وهو يقول فى توتر :

- لم يكن يعمل ؟! أى قول هذا يا رجل ؟!

هزّ أركان الحرب رأسه ، قائلاً فى إصرار :

- مصباح التشغيل لم يكن مضاءً .

ازداد انعقاد حاجبى الوزير ، وهو يحدق فى جهاز الاتصال العسكرى بدوره ، قبل أن يشد قامته فى توتر ، قائلاً :

ـ مستحيل يا رجل ! لقد سمعنا أوامر سيادة الرئيس معًا .. أليس كذلك ؟!

تعلق بصر أركان الحرب بجهاز الاتصال ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد يا سيدى .. بالتأكيد .

نقل الوزير بصره فى توتر ، بين وجه أركان حربه وجهاز الاتصال ، قبل أن يشدّ قامته مرة أخرى ، ويستعيد صرامته ، قائلاً :

ـ سيادة الرئيس قال : فورًا .

اعتدل أركان الحرب ، وقال فى حزم عسكرى :

ـ فورًا يا سيدى .. فورًا .

قالها ، وانطلق لتنفيذ الأوامر الوهمية ، فى حين استدار الوزير ، يتطلع إلى جهاز الاتصال العسكرى ، وذهنه يطرح سؤالاً مخيفًا ..

مخيفًا بحق ..

* * *

« كيف حدث هذا ؟! »

نطق الدكتور (حجازى) العبارة ، فى توتر بالغ ، وهو يتراجع بحركة دفاعية غريزية ، داخل مقر الفريق ، فى نفس الوقت الذى حدّق فيه (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) ذاهلين ، فى جسد (مشيرة) ، الذى تعلّق فى الهواء ، على ارتفاع متر ونصف المتر تقريبًا من الأرض ، متحديًا كل قوانين الجاذبية ، وهى تحدّق فيهم جميعًا ، بنظرة وحشية رهيبة ، وابتسامة ساخرة مخيفة ..

كانت تدير نظرتها الوحشية فى وجوههم ، فى بطء عجيب ، وابتسامتها الساخرة تبدو أشبه بابتسامة ذئب مسعور ، يهم بالانقضاض على فريسة واهية مستسلمة ..

وبكل دهشة وذعر الدنيا ، غمغمت (سلوى) :

ـ إنه هنا ..

وأضافت (نشوى) بصوت مرتجف :

ـ برنامجنا المضاد لم يمنعه ، أو يحول بيننا وبينه .

أما (رمزى) ، فقد انعقد حاجباه ، وهو يتمتم :

ـ الباب الخلفى .

سأله الدكتور (حجازى) ، وهو لايدرى أين يذهب :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه (رمزى) ، الذى بدا وكأنه الوحيد من بينهم ، الذى تغلّب فضوله على خوفه وذعره مما يواجهه :

ـ إنه ليس هنا ، ولكن الطاقة التى تركها فى عقل (مشيرة) ، هى التى تصنع كل هذا .

غمغمت (سلوى) ، مضطربة :

ـ ولكن جسدها يتحدّى قوانين الجاذبية كلها !

وافقها (رمزى) بإيماءة من رأسه ، وقال ، وعيناه تتابعان جسد (مشيرة) ، الذى يتحرك فى الهواء بنعومة مدهشة ، على ذلك الارتفاع ، وكأنه معلق بحبل غير مرئى ، وعيناها تحدجان الجميع بنظراتها التى تزداد وحشية ، أكثر وأكثر :

ـ هناك بعض الحالات المسجلة ، للارتفاع عن الأرض ، ضد قوانين الجاذبية ، لبعض رهبان (التبت) ، والروحانيين فى (الهند) ، وجنوب شرق (آسيا) (*) .. صحيح أنها لم تبلغ قط هذا الارتفاع ، ولم تزد فى معظم الحالات عن سنتيمترات قليلة ، إلا أننا نواجه عقلاً جباراً ، لم يتم رصد أو تسجيل قدراته من قبل .

(*) حقيقة ..

انعقد حاجبا (نشوى) ، وهى تقول :

ـ أو أن ما نراه مجرد وهم .

لم تكد تنطقها ، حتى خُيّل للكل أن جسد (مشيرة) ، قد اختفى بغتة ، ثم عاد يظهر على أرض المكان ، وهى تصرخ فى وحشية :

ـ عبقرية كأبيك .

كان صوتها رهيبًا مخيفًا ، وهى تنطق العبارة ..

ثم تنقض ..

وعلى الرغم من البرنامج المضاد ، والعقار المحبط للحواس ، كانت انقضاضتها قوية ..

وحشية ..

شرسة ..

ومباغتة ..

ففى لحظة واحدة ، قطعت المسافة التى تفصلها عن (نشوى) ، بوثبة هائلة مدهشة ، قبل أن تقبض أصابعها على عنق هذه الأخيرة ، وهى تكمل ، بصوت وأسلوب ذلك المسخ الرهيب :

ـ لذا ، فستلحقين به .

احتقن وجـه (نشـوى) فى شـدة ، وجحظت عيناها من فرط الألم ، وأصابع (مشيرة) تعتصر عنقها ..

وتعتصره ..

وتعتصره ..

وبكل لوعة وغضب الدنيا ، صرخت (سلوى) :

ـ لا .. ليس (نشوى) .

قالتها ، وهى تنقضّ كأنثى نمر شرسة على (مشيرة) ؛ فى محاولة لحماية ابنتها والدفاع عنها ..

وتعلّقت (سلوى) بعنق (مشيرة) ، وهى تصرخ :

ـ اتركى ابنتى .

ولكن (مشيرة) أدارت يسراها حول ظهرها ، وأمسكت مؤخرة عنق (سلوى) ، فى مرونة مدهشة ، ثم انتزعتها من مكانها بقوة رهيبة ، وألقت بها بكل قوتها ، عبر المقر كله ..

وبمنتهى العنف ، ارتطمت (سلوى) بالجدار ، ثم سقطت أرضًا ، فى حين عادت أصابع (مشـيرة) تلتف حول عنق (نشوى) بقوة تفوق قوتها الأصلية ، وهى تقـول ، بصوت ولهجة ذلك المسخ الرهيب :

ـ لقد حان وقتها ، لتلحق به .

كانت (سلوى) تشعر بآلام مبرّحة ، فى كل عظمة من جسدها ، وعلى الرغم من هذا ، فقد هبّت واقفة على قدميها ، مدفوعة بغريزة الأمومة القوية ، واندفعت مرة أخرى نحو (مشيرة) ، صارخة :

ـ لن أسمح لك بمس شعرة واحدة منها .

وقبل أن تبلـغ (مشيرة) ، التى أطلقت ضحكة ساخرة وحشية ، وهى تواصل اعتصـار عنق (نشوى) ، التى جحظت عيناها فى آلام رهيبة ، فوجئت بالدكتور (حجازى) ينقض على (مشيرة) ، ويطوّق ذراعيها ووسطها بذراعيه ، وهو يصرخ :

ـ الآن يا (رمزى) .. الآن يا ولدى .

وثب (رمزى) نحو (مشيرة) ، وهتف بكل توتره :

ـ سامحينى يا (مشيرة) ..

انتبهت (سلوى) ، فى تلك اللحظة فقط ، إلى المحقن الذى يحمله فى يده ، والذى رفعه فى سرعة ، ثم هوى به على الوريد العنقى لمديرة (أنباء الفيديو) اللامعة ..

وانغرس المحقن ، فى الوريد العنقى لـ (مشيرة) ، التى أطلقت زمجرة وحشية غاضبة ..

وقبل أن تكتمل زمجرتها ، ضغط (رمزى) مكبس المحقن بكل قوته ، ودفع السائل داخله ، فى دماء (مشيرة) ، التى أطلقت زمجرة أكثر غضبًا ووحشية ، كما لو أنها قد تحولت إلى وحش مفترس ، ثم دفعت الدكتور (حجازى) بقوة هائلة ، أجبرته على إفلاتها ، قبل أن تدور بمناها حول ظهرها ، وتقبض على سترة (رمزى) صارخة :

ـ أنت تستحق الموت .

ومع اكتمال صرختها ، انتزعته من مكانه ، وطوّحته فى الهواء ، كما لو أنه مجرد دمية صغيرة ، قبل أن تضرب به الأرض مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وكل هذا دون أن تفلت عنق (نشوى) ، التى تقبض عليه بيسراها فى قوة ، و ...

« لن تربحى معركتك أبدًا .. » ..

صرخت بها (سلوى) ، وهى تختطف أقرب جسم ثقيل إلى يدها ، ثم تهوى به على مؤخرة عنق (مشيرة) ..

وبكل ما تملك من قوة ..

وفى هذه المرة ، ومع كل ما تلقته وواجهته ، جحظت عينا (مشيرة) عن آخرهما ، وتخلت عن عنق (نشوى) ، وهى تتراجع مترنحة ، فصرخت (سلوى) مرة أخرى :

ـ أبدًا .

وفى هذه المرة ، هوت بذلك الجسم الثقيل على فك (مشيرة) ، التى أطلقت صيحة ألم قوية ، وهى تدور حول نفسها ، ثم تهوى أرضًا كالحجر ..

وارتفعت يدا (سلوى) بذلك الجسم الثقيل مرة ثالثة ، و ...

« كفى يا (سلوى) .. كفى .. » ..

أمسك الدكتور (حجازى) معصمها بقوة ، قبل أن تهوى بذلك الجسم على رأس (مشيرة) ، وأكمل وهو ينتزعه منها فى قوة :

ـ لقد فقدت وعيها وانتهى الأمر .

اتسعت عينا (سلوى) بكل الارتياع ، وهى تحدق فى جسد (مشيرة) ، وبركة الدم التى تكونت حول رأسها ، ثم نقلت بصرها فى رعب إلى ابنتها (نشوى) ، التى سقطت أرضًا ،

إلى جوار مائدة جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وهى تمسك عنقها المتورم ، وتلتقط أنفاسها بصعوبة ، هاتفة بصوت متحشرج مختنق :

ـ (رمزى) .. أنقذوا (رمزى) .

انطلق هتافها ، وهى تشير إلى جسد (رمزى) ، الممدد إلى جوارها ، فى سكون مخيف ، وأنفاس ضعيفة باهتة ، والدماء تسيل من جرح فى جبهته ، فاندفع الدكتور (حجازى) نحوه ، هاتفًا :

ـ رباه ! هذا الهجوم الداخلى المباغت أصابنا بأضرار بالغة ، لم ينجح فيها خصمنا الأساسى نفسه .

هتفت (سلوى) ، بأنفاس متلاحقة مبهورة :

ـ و (نور) .. يا إلهى ! (نور) .

سألها الدكتور (حجازى) ، وهو يفحص (رمزى) فى توتر ، ويلتقط هاتفه الخاص ، للاتصال بطاقم الإسعاف :

ـ ماذا عنه يا (سلوى) ؟!

هتفت ، وهى ترتجف فى شدة :

ـ ألم تسمع ما قالته ، بصوت ولهجة ذلك المسخ ؟! لقد أرادت أن تقتل (نشوى) ؛ لتلحق بأبيها .

ثم اتسعت عيناها ، بكل رعب الدنيا ، وهى تضيف :

ـ فما الذى يمكن أن يعنيه هذا يادكتور (حجازى) ؟! ما الذى يمكن أن يعنيه ؟!

امتقع وجه الدكتور (حجازى) ، وأدار عينيه فى الإصابات العديدة ممن حوله ، وقلبه يرتجف بين ضلوعه فى رعب ..

فما أشارت إليه (سلوى) ، كان واضحًا للغاية ..

وكان يعنى أن (نور) قد واجه خطرًا رهيبًا بالفعل ..

خطر الموت ..

وبلا رحمة .

* * *

٢ ـ المخ وحده ..

لم يشعر اللواء (عماد وجيه) نائب رئيس مخابرات رياسة الجمهورية ، فى حياته كلها بالقهر والغضب ، مثلما شعر بهما ، داخل تلك الزنزانة الصغيرة ، أسفل طابق مخابرات الرياسة ..

لقد نجح المشروع ، الذى تبناه بصفة شخصية ، نجاحًا مبهرًا ، حتى إنه قد تجاوز كل الحدود والأسوار ..

كلها بلا استثناء ..

وهذا يعنى أنه ، كما توقعه تمامًا ، أخطر وأقوى سلاح عرفته البشرية ، فى تاريخها كله ..

سلاح العقل ..

والمخ ..

المخ وحده ..

والواقع أنه لم يتوقع قط هذا النجاح المبهر الفائق ..

النجاح الذى تجاوز حتى برنامج الحماية الخاص ، الذى أضافه إليه ، لتأمين حياته الشخصية ..

أو أنه قد وجد وسيلة عبقرية ، للالتفاف حوله ..

وها هى ذى النتيجة ..

زنزانة صغيرة حقيرة ، ألقاه داخلها رجاله ، الذين كانوا يطيعون فيما سبق أية إشارة من أصغر أصابعه ..

لقد أبقى على حياته ، وفقًا لبرنامج التأمين ، ولكنه عزله تمامًا ..

ألقاه فى سجن أبدى ، لا يدرى إلا الله وحده ، متى يخرج منه ..

أو كيف يخرج ..

حيًّا أم ميتًا ..

تضاعف قهره وغضبه ، مع المصير الغامض الذى ينتظره ، فعضّ شفتيه فى مرارة ، وعقله ينطلق إلى البداية ..

بداية هذا المشروع الرهيب ..

مشروع (المخ) ..

ـ « لقد قتلوه .. » ..

نطق مدير مخابرات رياسة الجمهورية العبارة فى ارتياح ،

في ذلك اليوم ، الذي بلغه فيه مصرع ذلك المسخ الرهيب ، برصاصات مسدس (أكرم) ، ثم تراجع في مقعده ، مستطردًا ، وهو يلوّح بيده :

ـ في لحظة ما ، تصوّرت أننا لن ننتصر على هذا الشيء أبدًا ، فالجيوش قد تواجه أعتى الأسلحة والمعدات ، ولكنها تعجز حتمًا عن مواجهة قوة عقلية فائقة كهذه .

ثم عاد يميل إلى الأمام ، مضيفًا في حزم :

ـ هل رأيت ما فعله بالقوات الخاصة ، التي حاولت اقتحام وكره ؟!

لحظتها بدأت الفكرة تنمو في ذهن اللواء (عماد) ، وهو يغمغم :

ـ إنني أتساءل في الواقع ، كيف تمكّن عضو فريق (نور) هذا من الظفر به ..

سأله رئيس مخابرات الرياسة في اهتمام :

ـ ماذا تقول أيها اللواء ؟!

اعتدل (عماد) ، وشدّ قامته ، وهو يقول :

ـ إنه سلاح جبار بالفعل ياسيّدي ..

لم تفارقه الفكرة لحظة واحدة ، وهو يعود إلى مكتبه ، ويستغرق في دراستها أكثر وأكثر ، قبل أن يلتقط جهاز اتصاله الخاص ، قائلاً عبره في حزم صارم :

ـ عميد (ماهر) ، وعميد (أشرف لبيب) .. أريدكما في مكتبي فورًا .. الاجتماع سري وخاص للغاية .

لم تمض دقائق خمس ، حتى كان الرجلان في مكتبه ، فسألهما في اهتمام :

ـ هل تابعتما عملية ذلك العقل البشري المزدوج ؟!

أجابه الاثنان ، في آن واحد :

ـ كل لحظة منها ياسيّدي .

جلس خلف مكتبه ، يسألهما في اهتمام :

ـ وما الذي تستخلصان منها ؟!

أجابه العميد (أشرف) في سرعة :

ـ إنه سلاح رهيب بحق .

وأضاف العميد (ماهر) :

ـ سلاح لا يمكن تكراره .

مال (عماد) نحوهما ، وهو يقول بمنتهى الصرامة :

ـ ولا يمكن تعويضه أيضاً ..

لم يفهم الرجلان مايعنيه ، فتبادلا نظرة متوترة ، قبل أن يعودا ببصرهما إليه ، فاعتدل متابعاً ، على نحو أكثر صرامة :

ـ لذا فينبغى ألا نضيع فرصة الاستفادة منه أبداً .

تبادل الرجلان نظرة أكثر توتراً ، قبل أن يتساءل العميد (أشرف) فى حذر :

ـ هل يمكنك أن توضح أكثر ياسيادة اللواء ؟!

صمت اللواء (عماد) بضع لحظات ، قبل أن يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد ..

ثم نهض من خلف مكتبه فجأة ، وهو يسألهما :

ـ ألديكما معلومات كافية ، عن مشروع (المخ) ؟!

أجابه العميد (ماهر) فى حزم :

ـ بالتأكيد ياسيادة اللواء .. إنه مشروع خاص بترجمة

ذاكرة كبار القادة والزعماء ، عبر موجات أشعة (جاما) وتخزينها على نحو خاص بحيث تستخدم لبرمجة برامج عسكرية خاصة ، يمكنها اتخاذ القرارات بسرعة كبيرة ، وبكفاءة وخبرة مدهشتين ، فى حالات الضرورة .

وأضاف العميد (أشرف) فى اهتمام :

ـ باختصار ، إنه مشروع أشبه بالخيال ، للحفاظ على كفاءة وخبرات العظماء ، حتى لاتنتهى بموتهم .

نقل اللواء (عماد) بصره بينهما لحظة ، قبل أن يقول :

ـ ولكنه لايقتصر عليهم دون سواهم .. أليس كذلك ؟!

تطلّع إليه الرجلان فى صمت متسائل ، قبل أن تتسع عينا العميد (أشرف) ، وهو يقول :

ـ رباه ! سيادة اللواء .. هل تفكّر فى ..

قاطعه اللواء (عماد) فى حزم :

ـ بالضبط .. إننا أمام سلاح عقلى جبار ، لم يشهد العالم مثيلاً له ، فى تاريخه كله .. سلاح كاد يهزم جيوشنا ، بكل عدادها وعدتها .

ثم رفع قبضته أمام وجهه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ فماذا لو أنه فى قبضتنا ؟!

تألقت عينا العميد (أشرف) ، وهو يهتف :

ـ رباه ! لايمكننى حتى تصوّر هذا .

انعقد حاجبا العميد (ماهر) ، وهو يقول فى توتر :

ـ من الطبيعى ألا يمكنك تصوره ؛ فتنفيذ أمر كهذا مستحيل تمامًا !

التفت إليه اللواء (عماد) بنظرة صارمة ، فأضاف فى سرعة :

ـ التجارب التى أجريت ، فى هذا الشأن ، اعتمدت كلها على موجات الأحياء ، فأمخاخ الموتى لاتطلق موجات (جاما) أو غيرها .

انعقد حاجبا اللواء (عماد) فى توتر شديد ، وبدا غاضبًا بشدة ؛ لأن مشروعه غير قابل للتنفيذ ، و ...

« هناك وسيلة أخرى .. »

نطقها العميد (ماهر) فى حزم ، فالتفتت إليه عيون الرجلين فى اهتمام بالغ ، جعله يتابع بنفس الحزم :

ـ الحالة التى أمامنا ، هى حالة طفرة جينية خاصة جدًا ، مما يعنى أن جيناتها الوراثية تحوى صفات متميّزة ، لو أمكننا أن نستنسخها ، فسننتج مسخًا آخر .. مسخًا نملكه نحن .

اتسعت عينا العميد (أشرف) ، فى ارتياع شديد للفكرة ..

فكرة إنتاج مسخ آخر ..

مسخ له نفس السمات الوراثية ..

ونفس المخ المزدوج ..

المخ الرهيب ..

أما اللواء (عماد) ، فقد بدا شديد الاهتمام والانبهار ، وهو يسأل العميد (ماهر) :

ـ أهذا ممكن بالفعل ؟!

أجابه العميد (ماهر) فى حزم :

ـ تكنولوجيا الاستنساخ لم تعد عسيرة أو معقّدة كالسابق ياسيّدى ، وما دامت لدينا خلية واحدة من ذلك الشىء ، فسيمكننا أن نصنع منها نسخة أخرى كاملة منه ..

سأله اللواء (عماد) فى اهتمام :

ـ وكم سيستغرق هذا ؟!

أجابه العميد (ماهر) فى سرعة :

ـ ماسنحصل عليــه هـو بويضة مخصّبة ، سيتم زرعها فى رحم أم بديلة ، و ....

قاطعه (عماد) فى حدة :

ـ ومن يمكنه انتظار كل هذا الوقت ؟! أسلوبك هذا يحتاج إلى عشرين عامًا على الأقل ، قبل أن نجنى ثماره ، ونمتلك قوته .

ثم لوّح بذراعيه فى حدة أكثر ، مضيفًا :

ـ أين سنصبح عندئذ ؟!

هزّ العميد (ماهر) رأسه ، قائلاً :

ـ المهم هو أن تمتلك مصر هذا السلاح فى النهاية ، وهذه هى الوسيلة الوحيدة لـ ....

اندفع العميد (أشرف) ، يقاطعه ، قائلاً فى حزم :

ـ ليست الوسيلة الوحيدة .

استدار إليه اللواء (عماد) ، يسأله فى سرعة ولهفة :

ـ هل تعتقد أن هناك وسيلة أخرى ؟!

شدّ العميد (أشرف) قامته ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب فى قوة :

ـ بالتأكيد يا سيادة اللواء .

قالها ، ورمق العميد (ماهر) بنظرة جانبية سريعة ، وكأنما يعلنه بانتصاره ، فى هذه المعركة الكلامية قبل أن يتابع :

ـ تكنولوجيا الاستنساخ الانتقائى(*) ..

تألّقت عينا اللواء (عماد) ، وهو يهتف :

ـ بالضبط .

تابع العميد (أشرف) ، وقد شمله حماس بلا حدود :

ـ ما دام سلاح ذلك المسخ يكمن فى مخه ، فدعونا نعمل على استنساخ مخه وحده ، وسنستخدم أحدث تكنولوجيا لدينا ، وكذلك هرمونات النمو البالغ ، التى أمكننا استخلاصها من دماء (نشوى) ، ابنة المقدّم (نور الدين) ، والتى أدّت إلى نموّها بسرعة خرافية ، فى إحدى مغامراتهم السابقة العجيبة(**) ..

(*) الاستنساخ الانتقائى تكنولوجيا شديدة التطوّر ، يسعى العلم لبلوغها ، فى وقتنا الحاضر ، وهى تعتمد على استنساخ أعضاء منفردة بعينها ، بحيث تنمو بسرعة ، بدون ضرورة لاستنساخ الجسد بأكمله ، بكل ماله من حقوق مدنية وقانونية ، واستخدامها فى عمليات الزرع ، المطلوبة للمتبرع نفسه لضمان التوافق التام ، وعدم رفض الجسد للأعضاء .

(**) راجع قصة (المحيط الملتهب) ... المغامرة رقم (١٢) .

عادت عينا اللواء (عماد) تتألقان ، على نحو عجيب ، وهو يقول :

ـ ومتى يمكننا أن نظفر بمخ مزدوج جديد ؟!

أشار العميد (أشرف) بسبابته ، قائلاً :

ـ فى غضون أشهر قليلة يا سيادة اللواء .

هتف اللواء (عماد) ، فى حماس فائق :

ـ عظيم .

بدا لهم حماسه مبالغاً ، فتبادلا مرة أخرى نظرة صامتة ، انتبه هو إليها ، فاستعاد توازنه فى سرعة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ عميد (أشرف) .. تولَّى التنفيذ فوراً .. اذهب إلى مركز الطب الشرعى الجنائى ، واحصل على عينة من مخ ذلك المسخ ، و ....

قبل أن يتم قوله ، ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فالتقطه من جيبه بحركة سريعة ، وضغط زره ، قبل أن يضعه على أذنه ، قائلاً :

ـ اللواء (عماد) .

انعقد حاجباه فى شدة ، على نحو يوحى بأنه قد تلقى خبراً شديد الأهمية شفَّت عنه حدة صوته ، وهو يقول فى صرامة :

ـ نحرص على أن يظل هذا سراً .. لا تبلغ به أى مخلوق آخر .. نعم .. حتى مؤسسة الرياسة نفسها .. سنتولَّى نحن الأمر ، اعتباراً من هذه اللحظة .

أنهى المحادثة ، وبدت عيناه شديدتا التألق ، وهو يرفعهما إلى الرجلين ، قائلاً :

ـ ذلك المسخ لم يلق مصرعه .

انعقد حاجبا العميد (أشرف) فى شدة ، متصوراً أن هذا يمحو فكرته من الوجود ، فى حين هتف اللواء (ماهر) فى دهشة :

ـ حقاً ؟!

أجابه اللواء (عماد) ، وهو يتحرك فى حجرته بانفعال :

ـ رصاصات عضو فريق (نور) أصابت أحد مخيه فحسب ، لذا فقد أعاده المخ الآخر إلى وعيه ، وهو يستعيد قدراته الآن ، على نحو محدود .

ثم توقف ؛ ليمسك كتف العميد (ماهر) فجأة بمنتهى القوة مضيفًا فى انفعال :

ـ إننى أعهد إليك بهذه المهمة يا (ماهر).

انتفض جسد (أشرف) ، وهو يهتف معترضًا :

ـ ولكن يا سيادة اللواء ، كان من المفترض أن ..

استوقفه (عماد) بإشارة صارمة من يده ، وهو يتابع بنفس الانفعال والحماس :

ـ استعده حيًا .. وامنع أى مخلوق من معرفة ما حدث ، وبالذات رجال الأمن والصحافة .. اختر أفضل وأقرب رجالك ، وأكثر من تمنحه ثقتك منهم .. هذه العملية بالغة الأهمية والخطورة .. وبالغة السرية أيضًا ، ولم يعلم بها ، على نحو رسمى ، إلا ثلاثتنا فحسب ، مع من يتبعنا ، من رجالنا الأهل للثقة . هل تفهم ؟!

أجابه العميد (ماهر) ، وهو يشد قامته فى قوة :

ـ بالتأكيد يا سيادة اللواء .. بالتأكيد ..

شد اللواء قامته بدوره ، وهو يقول :

ـ ماذا تنتظر إذن ؟!

اندفع العميد (ماهر) لتنفيذ الأمر ، فى حين بقى العميد (أشرف) ، الذى بدا محنقًا متوترًا ، وهو يقول :

ـ سيدى .. لقد أصدرت لى بالفعل الأمر بـ ...

قاطعه (عماد) فى حزم :

ـ لقد ادخرت لك دورًا أفضل يا رجل .

اعتدل العميد (أشرف) ، وهو يقول :

ـ حقًا يا سيادة اللواء .

عاد اللواء (عماد) خلف مكتبه ، وجلس فى هدوء عجيب ، قبل أن تتألق عيناه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ سنمزج الفكرتين ببعضهما .

سأله العميد (أشرف) فى اهتمام :

ـ وكيف يا سيادة اللواء ؟!

تراجع (عماد) فى مقعده ، وقال فى حزم ، وعيناه تشردان بعيدًا ، وكأنما يحاول رؤية المستقبل ، الذى يسعى لتحقيقه :

ـ سنعمل على استنساخ ذلك المخ المزدوج الجبار ، وسنخزن ذاكرته أيضًا ، بوساطة موجات (جاما) ، من خلال ذلك المسخ ، الذى بقى على قيد الحياة ؛ ليضمن لنا التفوق والقوة .

والتقط نفسًا عميقًا ، حاول أن يخمد به نيران الطموح واللهفة فى أعماقه ، قبل أن يستطرد :

ـ ثم سنمزج الاثنين معًا .. المخ الجبار ، والذاكرة الرهيبة .. وبهذا يصبح لدينا سلاح هائل ..

وتراجع فى مقعده ، واتسعت ابتسامته الظافرة ، وهو يضيف :

ـ أقوى سلاح عرفه العالم كله ..

استعاد عقله هذه الذكريات ، وهو جالس داخل زنزانته الصغيرة ، فتضاعف إحساسه بالقهر والغضب ، ودفن وجهه بين كفيه ، وهو يهتف فى مرارة :

ـ لو أنى أعرف ما سيحدث ، لما فعلتها .. أبدًا ..

« ولكنك فعلتها .. »

تردّد القول فى عقله فجأة ، فانتفض جسده فى قوة ، ورفع عينيه ، يحدّق فى ذلك العملاق الوهمى الهائل ، الذى دخل زنزانته ، ورأسه يقارب سقفها ، والذى تابع فى سخرية شامتة :

ـ وربما كان هذا أكبر خطأ فى حياتك ، ولكنه أعظم فرصة ، حظيت بها أنا .

هتف (عماد) بمنتهى الغضب :

ـ أنت لاشىء .. أنت مجرّد وهم .

قال العملاق ، عبر عقله مباشرة :

ـ ربما كان ما تراه داخلك مجرّد وهم ، وفى الحقيقة ربما كنت مجرّد مخ بلا جسد ، ولكن هذا لم يَعُقْنى كما تتصورون ، بل حررنى من أسر الجسد وتبعاته ، وسمح لمخى أن ينطلق ، وينطلق بلا حدود .

وغمغم اللواء (عماد) فى مرارة :

ـ للأسف !

تابع العملاق الوهمى ، متجاهلاً تعليقه :

ـ فعندما كان جسدى موجودًا ، كان يستهلك جزءًا كبيرًا من طاقة مخى ، لتنظيم احتياجاته ، والسيطرة عليها ، وكان هذا يشتّت حتمًا جزءًا من ذهنى وتركيزى ، ولهذا كنت اضطر دومًا للجلوس فى وضع الاسترخاء التام ؛ لأسمح لمخى بالانطلاق بلا حدود .. أما الآن ، فالطاقة كلها موجّهة إلى مخى وحده ، دون أية مشكلات جسدية أخرى .

قال اللواء (عماد) فى حدة :

ـ وهل تعتبرها مزية ؟!

أجابه العملاق الوهمى ، فى شىء من الزهو الوحشى :

ـ بالتأكيد .. لقد منحتنى أضعاف قوتى وطاقتى السابقة ، حتى إنه لم يعد هناك عقل واحد ، فى الوجود كله ، يفوق عقلى قوة .

ثم أشار إليه بحركة مفاجئة شرسة ، مستطردًا :

ـ وكلكم شهود على هذا .. لقد تفوقت عليكم ، وهزمتكم ، وأذقتكم الذل الهوان ، اللذين ذقتهما منكم ، طوال حياتى كلها .

ثم بدا أشبه بالوحش الكاسر ، وهو يضيف :

ـ وهذه مجرد البداية .

صاح (عماد) فى غضب :

ـ مهما فعلت أو بلغت ، ستظل مجرد مخ بلا جسد .. مخ يحتاج إلى من يرعاه ويعتنى به ، وإلا فنى بدوره .

انطلقت فى أعمق أعماقه ضحكة ساخرة مجلجلة ، بصوت ذلك العملاق الوهمى الرهيب ، قبل أن يقول فى شراسة :

ـ من الواضح أنك لم تتابع الأحداث الأخيرة .. أو أنك لم تعلم بحدوثها بعد ..

ومال العملاق الرهيب نحوه ، مضيفًا :

ـ إننى لم أعد بحاجة إلى أحد .. لقد تطورت إلى الحد الكافى ، الذى يضع الأمور كلها فى قبضتى وحدى .

هتفت (عماد) :

ـ مستحيل ! مستحيل وألف مستحيل !

أطلق العملاق ضحكة أخرى مخيفة ، قبل أن يقول بصوته الرهيب ، الذى يتردد فى أعمق أعماق المخ مباشرة :

ـ لا يوجد مستحيل ، ما دام العقل يستخدم كل طاقاته .. إنكم تستهينون كثيرًا بقدرات العقل ، وتجهلون الأكثر ، عن إمكانيات المخ البشرى .. لقد تحررت من أسر الجسد يا هذا .. تحررت منه ، واحتفظت بكل طاقات المخ ، فى الوقت ذاته .. ويا لها من تجربة نادرة ، لم يحظ بها سواى ، فى التاريخ كله ، وسأحرص كل الحرص ، على ألا يحظى بها بعدى مخلوق بشرى واحد .. مخى الآن لم يعد قادرًا على التأثير فى عقول الآخرين وحواسهم فحسب ، بل تطور إلى حد التجسد أيضًا .. إنشاء صور وهمية ، لها كيان ملموس ومحسوس .. تمامًا كقدرته على التحكم فى المواد ، وتوجيهها وتحريكها عن بعد .. لقد نجح مشروعك إلى أقصى حد يا هذا ، نجح حتى إنه تجاوز حدود توقعاتك كلها .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى وحشية رهيبة :

ـ وربما توقعاتى أيضًا .

حدق فيه اللواء (عماد) مبهوتًا ، وبدأت ارتجافة باردة تسرى فى كيانه كله ، وهو يقول :

ـ هل .. هل تحاول أن تقول : إنك تدير الآن برنامجك بنفسك ؟!

أجابه العملاق فى شراسة :

ـ بالطبع أيها العبقرى .. قلت لك : إننى لم أعد بحاجة إلى أحد .. لقد قضيت على طاقم العلماء بأكمله ، وكل أطقم الحراسة فى مركز الأبحاث العسكرية .. أما برنامج التشغيل الرئيسى ، فقد قمت بتعديله ، بحيث يتناسب مع المرحلة القادمة .

انتفض جسد اللواء (عماد) بمنتهى العنف ، وهو يغمغم :

ـ قمت بتعديله ؟! هل يمكن أن يعنى هذا أن .. أن ..

سرت فى كيانه كله ضحكة قوية ..

ضحكة ساخرة ..

شامتة ..

متشفية ..

وحشية ..

ومع سريانها ، مال العملاق الوهمى نحوه ، قائلاً :

ـ بالضبط يا عبقرى الأبواب الخلفية .. فى برنامجى الجديد ، لا يوجد ما يمكن أن يحميك منى .

قالها ، ثم امتدت يده المخيفة نحو اللواء (عماد) ، الذى تراجع فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ لا .. لا .. مستحيل أن تفعل هذا !! مستحيل !

مع آخر هتافه ، غاصت قبضة العملاق فى صدره ، وشعر مع غوصها بآلام رهيبة ، والعملاق يقول :

ـ دعنا نرى إذن .. أهو مستحيل ، أم ..

شهق اللواء (عماد) ..

وشهق ..

وشهق ..

وتضاعف الألم أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

تضاعف الألم ألف مرة ، وهو يشعر بتلك القبضة الباردة كالثلج ، تحيط بقلبه ، وتعتصره ..

ثم تجذبه فى قوة ..

وصرخ اللواء (عماد) ..

صرخ بكل الألم ..

وكل الرعب ..

وكل العذاب ..

صرخ صرخة رهيبة ، قبل أن ينتزع العملاق قلبه من صدره ، ثم يرفعه أمام وجهه ، متابعًا :

ـ أم حقيقة .

كان القلب يدمى ، ويواصل النبض بين أصابعه ..

والعجيب أن (عماد) قد رأى هذا المشهد بالفعل ..

رأى قلبه بين أصابع العملاق الوهمى ..

رآه لثانية ..

أو لجزء من الثانية ..

ثم هوى جثة هامدة ..

وفى ازدراء عجيب ، وتجاهل تام ، لكل المشاعر الآدمية ، ألقى العملاق القلب فوق جثة صاحبه ، ثم راح يتحول إلى سحابة من دخان خفيف ، راحت تتلاشى فى سرعة ، معلنة أنه لم يعد هناك ما يمكن أن يعوقه ، من تنفيذ مخططه الرهيب للسيطرة على العالم كله ..

وإفنائه عن بكرة أبيه ..

تمامًا ..

* * *

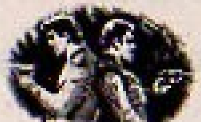

٤ - سجناء ..

في نعومة مخيفة ، تحرك ذلك العملاق الوهمي الرهيب نحو (أكرم) ، الذي تراجع في توتر شديد ، وهو يسحب مسدسه ، هاتفًا :

- لن تظفر بي أبدًا أيها الوغد ..

وانطلقت ضحكة العملاق ..

انطلقت عالية ، مجلجلة ..

ومخيفة ..

وبنفس النعومة المفزعة ، راح يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وعلى الرغم من توتره الشديد ، صوّب (أكرم) مسدسه ، صائحًا :

- لقد ظفرت بك مرة ، ولا يوجد ما يمنعني من أن أظفر بك مرة أخرى .

توقف العملاق الرهيب ، على مسافة أمتار قليلة منه ، وبدا بشعًا إلى أقصى حد ، وهو يقول ، في وحشية مخيفة :

- ربما كان هذا صحيحًا .

ثم أدار ذراعه إلى نقطة قريبة ، مضيفًا في تشف :

- ولكنه لا ينطبق على قلبك .

انعقد حاجبا (أكرم) في توتر بالغ ، عندما وقع بصره على (نور) ، الموضوع داخل قفص زجاجي كبير ، والذي أشارت إليه ذراع العملاق ، وهتف في عصبية بالغة :

- إياك أن تمس شعرة واحدة منه .

بدت ضحكة العملاق ساخرة وحشية هذه المرة ، قبل أن يميل بوجهه الخالي من الملامح نحو (أكرم) ، قائلاً :

- وماذا لو مسسته كله .

ومع قوله ، تموّج وجهه على نحو مخيف ..

ثم ظهرت ملامحه ..

ملامح تشبه وجه (نور) ..

وانطلقت ضحكة العملاق هادرة هذه المرة ..

انطلقت ، لترتج معها المنطقة كلها ..

ولترج معها جسد (أكرم) ..

وبمنتهى العنف ..

وبكل ذعره وتوتره ، التفت (أكرم) إلى (نور) ، السجين داخل ذلك القفص الزجاجى الكبير ، وصرخ :

ـ لا .. ليس (نور) .

فأمام عينيه الذاهلتين المذعورتين ، كان العملاق الوهمى قد اكتسب ملامح (نور) ، فى حين فقد هذا الأخير ملامحه ..

فقدها تمامًا ..

وبكل غضب الدنيا ، صوّب (أكرم) مسدسه نحو العملاق ، صارخًا :

ـ أيها الوغد .. أيها الحقير ..

وضغط زناد المسدس مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ولكن رصاصاته لم تنطلق ..

لم تنطلق أبدًا ..

أما العملاق ، الذى اكتسب ملامح (نور) ، فراح يضحك ..

ويضحك ..

ويضحك ..

و ...

وانتفض جسد (أكرم) بمنتهى العنف ..

واستيقظ ..

استعاد وعيه دفعة واحدة ، وهو يهتف :

ـ (نور) ! ليس (نور) .

لم يكد الهتاف يتجاوز شفتيه ، حتى انتبه إلى أنه مقيّد من قدميه ، إلى سقف قاعة الأبحاث الرئيسية ، وأن الدماء تملأ رأسه وعينيه ، حتى يكاد ينفجر ، فهتف :

ـ رباه ! ماذا حدث ؟!

استعاد عقله الأحداث الأخيرة فى سرعة ، وهو يعدو نحو الباب ..

ثم يثب ..

وتنطلق الصاعقة ..

وينتفض جسده كله ، بمنتهى العنف ..

وفى هذه المرة ، حمل هتافه كل مرارة الدنيا ، وهو يقول :

ـ لقد هزمنا .. خسرنا معركتنا يا (نور) .

أتاه صوت (نور) على مقربة منه ، وهو يقول :

ـ ليس بعد يا صديقى .. ليس بعد .

أدار (أكرم) عينيه ، المحتقنتين بالدماء ، نحو (نور) ، المقيَّد بإحكام إلى جدار القاعة ، وسأله فى لهفة :

ـ (نور) .. أأنت بخير يا صديقى ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ لايمكن أن يكون هناك خير ، فى موقف كهذا يا (أكرم) .

عبارة (نور) وحدها ، دفعت (أكرم) إلى التطلُّع فيما حوله ، وهو يتدلى من السقف ، على هذا النحو المقلوب ، فى محاولة لاستيعاب موقفه ..

وعبر عينيه ، اللتين اصطبغتا باللون الأحمر الدموى ، رأى القاعة ، بأجهزتها المتقدِّمة المتطوِّرة ، وشاشاتها ، التى ارتسمت عليها منحنيات معكوسة ، فائقة القوة ، و ...

وفجأة ، وقع بصره على ذلك الشىء الرهيب ، الذى يقبع أسفله مباشرة ، داخل وعاء زجاجى كبير ، اتصلت به أنابيب الإعاشة ، وأسلاك الرصد والتوجيه ..

واتسعت عيناه إلى أقصاها ..

بل ما يفوق أقصاها ..

فما رآه أمامه ، كان مشهدًا لايمكن أن يراه أو يتخيله بشر ..

أى بشر ..

فهناك ، داخل ذلك الوعاء الكبير ، كان هناك مخ يسبح ، وسط سائل شفاف ، له لون أبيض مصفر ..

مخ مزدوج كبير ، يفوق حجم المخ البشرى المعتاد بعشر مرات تقريبًا ..

وعبر خلايا ذلك المخ المزدوج الهائل ، كانت هناك شرارات كهربية تنتقل ، فى سرعة خرافية ..

سرعة تتناسب مع القدرات الجبّارة ، التى يتمتع بها المخ ..

المخ المزدوج ..

الرهيب ..

وبكل ذعر وذهول الدنيا ، هتف (أكرم) :

ـ (نور) .. أهذا هو ...

احتبست الكلمات فى حلقه ، مع غصة لم يشعر بمثلها من قبل قط ، فأجابه (نور) بنفس الصرامة :

ـ نعم يا (أكرم) .. هذا هو خصمنا .

هتف (أكرم) ذاهلاً :

ـ مخ ؟! مجرّد مخ .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إنه مخ يا (أكرم) ، ولكن ليس مجرّد مخ .. إنه نسخة مكبّرة ومضخمة ، من مخ خصمنا الرهيب .. نسخة تم إطلاق نموّها بلا حدود ، بوساطة هرمونات خاصة ، حتى بلغت هذا الحجم .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى مرارة :

ـ وهذه القوة .

حدّق (أكرم) مرة أخرى ، فى ذلك المخ المزدوج الهائل ، ثم هزّ رأسه ، قائلاً فى عصبية :

ـ من يصدّق هذا ؟!

أجابه (نور) ، وهو يتأمّل ذلك المخ الرهيب ، للمرة العشرين :

ـ لو لم أره بعينىّ ، لما صدقت أبدًا يا (أكرم) ، ولكن هذا يفسّر الكثير .. بل يفسّر كل شىء تقريبًا .. عودته .. وتضاعف قوته ، وانطلاقه بلا حدود ، ورغبته الثأرية الانتقامية المجنونة .

هتف (أكرم) ، وهو يجاهد ، محاولاً التخلّص من قيود معصميه ، المربوطين خلف ظهره :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا كل هذا الغضب الجنونى ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ لو أنه هناك سؤال ينبغى أن نطرحه ، فهو لماذا اكتفى بأسرنا وسجننا ؟! لماذا لم يقتلنا فورًا بلا رحمة ، كما فعل مع الآخرين ؟!

« لأن فريقك سيبقى ؛ حتى يشهد فناء العالم أيها المقنّع .. »

انبعث الصوت فجأة فى عقليهما ، قبل أن ينهض ذلك العملاق الرهيب بصورته الوهمية ، من ذلك المخ الرهيب ، ويحتلّ فراغ الحجرة كله ، ويكمل فى شماتة ساخرة :

ـ وأنتما ستبقيان حتى النهاية .. حتى تشاهدا بعيونكما مصرع فريقكما كله .. كل من أحببتم وعرفتم .. وبعدها ، ستكونون آخر من يفنى ، فى عالمكم كله .

فى موقعه المدلّى من سقف القاعة ، كان (أكرم) يرى ذلك الوجه الضخم ، عديم الملامح ، على قيد سنتيمترات قليلة منه ، وعلى الرغم من هذا ، فقد هتف فى غضب :

ـ ومن أنبأك أنك ستبقى ، حتى تبلغ مرادك ؟!

أجابه العملاق الوهمى ، عبر خلايا مخه ، فى شراسة مخيفة :

ـ كل شيء هنا أنبأنى بهذا أيها الوقح .. لقد امتلكت السيطرة الكاملة ، على كافة الأمور ، خاصة وأننى أحتل الآن موقع رئيس جمهوريتكم ، بكل سلطاته وصلاحياته .

اتسعت عينا (أكرم) المحتقنتين ، وهو يهتف فى انزعاج :

ـ الرئيس ؟! يا إلهى !

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إلى ذلك العملاق الوهمى بكل انتباهه ، مع متابعته المزهوة الوحشية :

ـ كل القيادات تتبعنى الآن ، وتنفذ أوامرى دون مناقشة ، حتى وأنا أعد العدة لضربة نووية ، قادرة على إشعال حرب عالمية جديدة .

وانطلقت من حلقه ضحكة وحشية عالية ، قبل أن يتابع فى شراسة :

ـ حرب قادرة على بدء رحلة الفناء .. فناء عالمكم كله .

هتف به (نور) فجأة :

ـ عالمنا ؟! تتحدث عنه كما لو أنك لست جزءًا منه !! إنه عالمك أيضًا يا هذا .. العالم نفسه ، الذى سيفنى معه ، لو أنه بلغ مرحلة الفناء .

مال العملاق الوهمى نحوه ، قائلاً :

ـ ومن أخبرك أننى أنشد الاستمرار ؟!

شعر (أكرم) برأسه يدور ، ويحتقن أكثر وأكثر ، فى حين ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يقول :

- إنه خيار (شمشون) إذن ، كما ورد فى القصص القديمة .. الانتقام الشامل .. أن تهدم المعبد على رأسك ورءوس الجميع ، فى وقت واحد .

اعتدل العملاق الوهمى ، هاتفًا :

- بالضبط أيها المقدّم .. هدفى هو أن نفنى جميعًا .. أنا وأنتم .. هذا هو الانتقام الأسمى .. أقوى انتقام سجله التاريخ .

قال (نور) فى صرامة :

- التاريخ سيتوقف وينتهى ، إذا ما فنت الأرض أيها الوغد .. وهذا يعنى أن انتقامك هذا لن يسجله أحد ، ولن يشعر به مخلوق بشرى واحد ، حتى ولو كان أقوى انتقام ، فى الكون كله .

صمت العملاق الوهمى بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- ربما لن يتم تسجيله على الأرض .

ثم أطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يستطرد فى وحشية :

- ولكنه سيصبح أسطورة ، تتناقلها حضارات الكواكب الأخرى ، حتى نهاية الكون .

سأله (نور) فى حدة :

- وكيف يمكنك أن تضمن هذا ؟!

صمت العملاق لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى وحشية :

- لدى خطة .

مع قوله ، أضيئت الشاشات كلها دفعة واحدة فى القاعة ، لتحمل جميعها مشهدًا واحدًا ..

مشهد جسم (س - ١٨) الجامد ، داخل كبسولة كبيرة ، مزوّدة بعدد من الأجهزة الإليكترونية الرقمية الحديثة ..

وبكل انفعاله ، هتف (أكرم) :

- يا إلهى ! (س - ١٨) !

أما (نور) ، فقد تساءل فى عصبية :

- متى عاد ؟! وماذا فعلت به ؟!

أجاب العملاق الوهمى ، عبر عقليهما المجهدين :

- ما تريانه أمامكما هو أقوى أسلحة فريقكم .. ذلك الآلى ، الذى لم يُهزم قط ، والمعروف باسم (س - ١٨) .. كان تاريخه الطويل حافل بانتصارات لا حصر لها .

وحمل صوته الوهمى كل شماتته وزهوه ، وهو يضيف :

- حتى ظهرت أنا .

هتف (أكرم) فى غضب، لم يستطع كبحه، وهو يواصل محاولاته المستميتة، لحل قيود معصميه:

ـ أيها الوغد الحقير.

تجاهله العملاق الوحشى تمامًا، وهو يواصل:

ـ لقد استنفدت طاقته كلها، فى هجوم مكثف، بالغ القوة والعنف، حتى سقط بلا حراك.

حاول (نور) أن يمنع عقله من التفكير فى الأمر، وفى أن أجهزة (س ـ ١٨) مبرمجة، بحيث لا تستنفد طاقتها كلها أبدًا، وإنما تحتفظ حتمًا بمقدار ضئيل منها، يسمح للأطلنطى الآلى بالعودة إلى العمل، عند توافر مصدر طاقة مناسب، و...

« لا تحاول أيها المقدم.. » ..

نطقها العملاق الوهمى فى سخرية، قبل أن يميل مرة أخرى، بوجهه الخالى من الملامح، نحو (نور) مباشرة، متابعًا:

ـ قراءة ما يدور فى عقلك، هو أبسط ما أمتلكه الآن، من قدرات وطاقات هائلة، ومهما حاولت حجبه، فسيمكننى اختراق خلايا مخك، البيضاء والرمادية، ومعرفته بأقل جهد.

قال (نور) فى تحد:

ـ لا توجد حتى الآن وسيلة معروفة، لهزيمة (س ـ ١٨)، وهو ليس بشريًا، بحيث يمكنك اختراق عقله، والسيطرة على حواسه، وتجنيد طاقاته لحسابك، أو حتى تحييدها.

هزّ العملاق الوهمى رأسه فى هدوء، مجيبًا:

ـ ربما ينطبق هذا على عقولكم، وليس على عقلى أنا.. أنا مخ جبار أيها المقدم، لم ولن يوجد مثيل له، فى التاريخ كله؛ لأننى نتاج طفرة وراثية معقدة، وتجربة علمية نادرة..

ثم أشار إلى الشاشات، متابعًا:

ـ مقاتلك الآلى محتجز الآن، داخل كبسولة خاصة، تحجب عنه كل أنواع الطاقة بلا استثناء، بحيث لا يمكنه أن يكتسبها أبدًا، لذا فسيظل مجرد جسم آلى خامل، لزمن غير معلوم.. نفس الزمن، الذى تحتاجه مركبة الفضاء، التى سيتم وضعه داخلها، وإطلاقه فى الفضاء الخارجى، مع لوح من التيتانيوم(*)، يحوى تفاصيل انتقامى الفريد، بلغة يمكن أن تفهمها أية مخلوقات عاقلة فى الكون.

(*) تيتانيوم: عنصر فلزى، أبيض فضى لامع، رمزه (تى)، يضاف إلى الصلب، فيزيد من صلابته قوة وشدة، له نشاط كيميائى، يستخدم لصنع بعض الأجهزة، ومركبات الفضاء، والإلكترونات القوس الكهربى.

واطلقت من صورته الوهمية ضحكة ساخرة ظافرة أخرى ، قبل أن يتابع فى وحشية :

ـ أرأيت أيها المقدَّم .. انتقامى سيسجله الكون كله ، الذى سيعتبر كوكب الأرض مزاراً ، يثبت أن مخاً واحداً ، يمكنه أن يفنى حضارة بأكملها .

صرخ (أكرم) :

ـ أيها الوغد .. أيها الحقير .. لن تنجح فى مخططك الوحشى أبداً ، ما دمت على قيد الحياة .

أدار العملاق الوهمى وجهه الخالى من الملامح إليه ، وهو يقول فى وحشية رهيبة :

ـ ما زلت متبجحاً كعهدى بك يا هذا .. تتحدث عن القوة والنصر ، وأنت فى قمة الهزيمة والضعف .. إنك لاتستطيع حتى حماية نفسك من انتقامى .. بل ولم تستطع حماية زوجتك .

صرخ (أكرم) بكل الغضب :

ـ لو مسست شعرة واحدة منها أيها الوغد ، فـ ...

قاطعه العملاق ، فى سخرية وحشية رهيبة :

ـ شعرة واحدة ؟!! يا لك من أحمق ساذج ! زوجتك ترقد

الآن فى المستشفى العسكرى ، بعد أن حطمت زوجة صديقك (نور) رأسها ، فى محاولة لإنقاذ ابنتها ، التى اعتصرت زوجتك عنقها ، بعد أن شجت جبهة زوجها ، ذلك الطبيب النفسى المتحذلق .

امتقع وجه (نور) فى شدة ، مع ذلك الفيض من الأخبار المفزعة ، وشعر بقلبه يخفق فى غضب ، مع ما أصاب زوجته ورفيقه ، فى حين تفجَّرت كل ثورة (أكرم) ، وهو يصرخ :

ـ أيها الحقير القذر .. أقسم أن تدفع ثمن هذا .. أقسم أن أحطِّم غرورك وغطرستك برصاصتى ، كما نسفت رأسك بها من قبل .

أجابه العملاق الوهمى بضحكة ساخرة عالية ، ردَّدها عقلاهما على نحو مخيف وهو يتلاشى ..

ويتلاشى ..

ويتلاشى ..

ومع اختفائه تماماً ، انطلقت شاشات الرصد دفعة واحدة ، وعلت أجهزة الكمبيوتر تسجل منحنيات معكوسة بلغة القوة ..

منحنيات تعلن أن ذلك الخصم الرهيب قد انطلق ، بكل طاقاته وقوته ؛ ليستكمل خطة انتقامه ..

ذلك الانتقام الوحشى ..

الرهيب ..

* * *

« ماذا أصابنا يا دكتور (حجازى) ؟! »

هتفت (سلوى) بالعبارة ، وهى تبكى فى مرارة ، داخل أروقة المستشفى العسكرى ، الذى أعلنت فيه حالة الطوارئ القصوى ، وتم تزويده ببرنامج الدفاع والتأمين ، ذى الموجات فائقة القصر ، فربت الطبيب الشرعى على كتفها مواسيًا ، وهو يقول فى أسى :

ـ إنها معركة يا بنيتى .. معركة ضد أشرس قوة عرفها العالم ، ولكل معركة ضحاياها ..

انهمرت دموعها فى غزارة ، وهى تقول :

ـ ولكن الثمن هذه المرة فادح .. فادح للغاية يا دكتور (حجازى) .. (رمزى) مصاب بارتجاج عنيف فى المخ ، و (نشوى) داخل حجرة العمليات الطارئة ، فى محاولة

لإنقاذ عنقها ، وعمودها الفقرى ، و (مشيرة) .. (مشيرة) التى حطمت أنا رأسها ، غارقة فى غيبوبة عميقة ، لا يدرى الأطباء ما إذا كانت ستعود منها أم لا ..

كرر الدكتور (حجازى) ، وهو يربت على كتفيها مرة أخرى ، فى حنان مشفق :

ـ لكل معركة ضحاياها .

هتفت (سلوى) فى مرارة :

ـ والله (سبحانه وتعالى) وحده ، يعلم كم سيبلغ عدد ضحايا هذه المعركة يا دكتور (حجازى) .. (نور) و(أكرم) ما زالا مفقودين ، ولا يمكننا الاتصال بهما ، أو معرفة مصيرهما .. كل ما نعلمه هو أنهما هناك .. داخل مركز الأبحاث العسكرى .

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) ، وهو يقول فى حزم :

ـ بالتأكيد .. وهذا ما ينبغى أن نبلغه للمسئولين .

هزت رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ أى مسئولين ؟! اتصالنا بالقائد الأعلى مقطوع تمامًا ، ولا يمكننا حتى تحديد موقعه ، ومؤسسة الرياسة ترفض

إجراء أية اتصالات مباشرة معنا، على الرغم مما أكدناه لها، من حساسية وخطورة الأمر، ووزير الدفاع يصر على ألا يتلقى أوامره وتعليماته، إلا من الرئيس شخصياً.. من تبقى لتبلغه إذن.

اعتدل الدكتور (حجازى) فى حزم، وهو يقول:

ـ الدكتور (جلال)..

رفعت عينيها إليه بحركة حادة، وهى تدرس الأمر فى ذهنها..

نعم.. الدكتور (جلال)، رئيس مركز الأبحاث، التابع للمخابرات العلمية، هو الرجل المناسب تماماً، فى مثل هذه الظروف..

أو بمعنى أدق، هو المسئول الوحيد المتبقى أمامها..

أو الأمل الأخير..

لو أنه مازال هناك أمل..

وبكل حزمها وعزمها، اعتدلت قائلة:

ـ سأطلب مقابلته فوراً.

قال الدكتور (حجازى) فى اهتمام:

ـ لتخبريه كل شىء.. كل معلوماتك، وحتى شكوكك.. دعيه يصبح واحداً من الفريق.. فى هذه المرة على الأقل.

التقطت (سلوى) نفساً عميقاً، قبل أن تقول فى حزم صارم:

ـ سأبذل قصارى جهدى يا دكتور (حجازى).

وصمتت لحظة، قبل أن تجيب فى قوة:

ـ حتى لو اضطررت لمهاجمة مركز الأبحاث العسكرى وحدى.

غمغم الدكتور (حجازى):

ـ أتعشم ألا تفعلى.

شدت قامتها، قائلة فى صرامة:

ـ كل ما يمكن أن نتمناه، هو ألا تصل الأمور إلى هذا المدى..

قالتها، واندفعت تغادر المكان كله، وعقلها يرسم ملامح الهدف الجديد..

والأمل الجديد..

والأخير..

* * *

لم يستطع مدير مكتب الرئيس إخفاء ذلك الاضطراب ، الذى شمله من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يدلف إلى المكتب ، ويتطلّع إلى صورة الرئيس الوهمية ، قائلاً :

ـ سيادة وزير الدفاع ، ياسيدى الرئيس .

لم ينطق الرئيس بحرف واحد ، وهو يتطلّع عبر نافذة حجرة مكتبه ، فتراجع مدير المكتب فى توتر ملحوظ ، انتبه إليه وزير الدفاع ، وهو يدخل إلى المكان ، فالتقى حاجباه فى حيرة قلقة متسائلة ، وخلع قبعته العسكرية ، ووضعها تحت إبطه ، وهو يقول :

ـ إننا ننتظر أوامرك ، بشأن ذلك الآلى ، ياسيادة الرئيس .

سأله الرئيس فى صرامة ، وهو يوليه ظهره :

ـ وهل يحتم هذا حضورك شخصياً ؟!

كان يمكنه الاتصال بالرئيس ، عبر الهاتف الأحمر الخاص ، الذى يربطه به مباشرة ، والذى يتم تأمينه وحمايته ، على نحو يمنع المراقبة والتنصت ، بأية وسيلة تكنولوجية معروفة ..

وكان يمكنه أن يرسل أركان حربه ..

أو ينتظر الأوامر فى مكتبه ..

ولكنه أتى ..

أتى ليحسم شكاً ما فى أعماقه ..

فى أعمق أعماقه ..

« لم تجب سؤالى بعد .. » ..

نطقها الرئيس فى صرامة شديدة ، على نحو لم يعتد مخاطبة وزير الدفاع به أبداً ، فانعقد حاجبا هذا الأخير ، وهو يجيب فى توتر :

ـ بدا لى الأمر من الخطورة ، بحيث يستلزم حضورى شخصياً ياسيادة الرئيس .

نطقها ، والشك فى أعماقه يتضاعف ..

ويتضاعف ..

ويتضاعف ..

ولكنه شك يصعب حسمه ..

بل يبلغ أقصى درجات الصعوبة ..

فشكوكه لا تحوم حول شخص عادى ..

بل حول رئيس ..

رئيس الجمهورية نفسه ..

وهذا يعنى أن المواجهة ، مجرَّد المواجهة ، أمر عسير وخطير ..

إلى أقصى حد ..

و ...

« هنا تكمن القوة .. »

نطقها الرئيس فى صرامة ، دون أن يلتفت إليه ، فانتفض جسد الوزير ، وهو يقول :

ـ ماذا يا سيادة الرئيس ؟!

كرَّر الرئيس بنفس الصرامة :

ـ هنا تكمن قوة رئيس الجمهورية يا رجل .. إنه السلطة الشرعية للبلاد .. السلطة العليا ، التى يعجز الكل عن توجيه اتهامات مباشرة لها ، دون أن يمتلك أدلة مادية شديدة القوة .

واتسعت عينا الوزير عن آخرهما ..

فالرئيس كان يجيب تساؤلاته ، على نحو واضح مباشر ..

تساؤلاته ، التى دارت فى ذهنه ..

والتى لم ينطقها لسانه قط ..

وبكل دهشة وارتياع الدنيا ، هتف الوزير :

ـ ولكن كيف ..

قبل أن يكملها ، قاطعه الرئيس ، فى لهجة امتزجت صرامتها بسخريتها :

ـ كيف أجبت تساؤلاتك .. أليس كذلك ؟!

تراجع الوزير بحركة حادة ، عندما استدار إليه الرئيس ، بعينين تلتمعان ببريق مخيف ، وهو يتابع :

ـ الواقع أننى لم أجب تساؤلاتك ، وإنما حسمت شكوكك أيها الوزير .. الشكوك التى أتيت بنفسك إلى هنا لحسمها .

انفرجت شفتا الوزير ؛ ليقول شيئًا ما ..

إلا أنه لم يقله ..

لم ينبس حتى ببنت شفة ..

فمع آخر كلمات الرئيس ، تحوّل جسده بغتة إلى سحابة رمادية ، تصاعدت ، وتكثفت ، لتصنع تلك الصورة الرهيبة ..

صورة العملاق الوهمى الهائل ، الذى أضاف ، فى لهجة جمعت بين السخرية والوحشية :

ــ اطمئن يا رجل .. أنا لست الرئيس .

تحركت يد الوزير فى سرعة ، فى محاولة لالتقاط مسدسه ، إلا أن العملاق الوهمى أطلق ضحكة وحشية ساخرة ، وهو يقول :

ــ ياسخافتكم أيها العسكريون ! تتصورون أن كل مشكلاتكم ، يمكن حلها بالسلاح .

ثم مال نحوه ، فى هيئة أكثر بشاعة ، مضيفًا :

ــ ماذا إذن عن العقل ؟!

اتسعت عينا الوزير عن آخرهما ، وشعر بفوران رهيب ، يكتنف رأسه كله ، قبل أن تتفجّر الدماء من أنفه وفمه ، والعملاق الوهمى يتابع فى وحشية :

ــ أليس سلاحًا رهيبًا ؟!

مع آخر حروف كلماته ، تفجّرت الدماء فجأة ، من أذنى الوزير وعينيه ، وانطلقت من حلقه شهقة مكتومة ، تناثرت معها الدماء من بين شفتيه ، قبل أن يهوى جثة هامدة كالحجر ..

وفى هدوء ولا مبالاة ، ألقى العملاق نظرة أخيرة على جثة الوزير ، ثم عاد يتشكّل فى هيئة الرئيس ، وغمغم وهو يتجه نحو شاشات الرصد :

ــ مسئول آخر سقط .. عظيم .

وتوقّف أمام شاشات الرصد ، التى تحمل كلها صورة (س ــ ١٨) ، داخل كبسولة حجب الطاقة ، مع عد تنازلى فى الركن ، يعلن أن انطلاق مركبة الفضاء ، التى ستحمله إلى أعماق الكون يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وبلهجة ظافرة ، غمغم ذلك الخصم الرهيب :

ــ والآن ، ستفقد الأرض أقوى أسلحتها الدفاعية .. إلى الأبد .

مع نهاية كلماته ، أعلن العد التنازلى بلوغ الصفر ..

وانطلقت مركبة الفضاء ..

انطلقت حاملة (س ـ ١٨) إلى المجهول ، ومعلنة أن ذلك الخصم الرهيب ، والعملاق الوحشى ، الناشئ عن المخ المزدوج الجبار ، قد صار أقوى سلاح عرفه تاريخ الأرض ..

أقواها ، وأكثرها شراً وخطورة ..

على الإطلاق .

* * *

٥ ـ موجة عقل ..

« كيف يمكننا أن نهزم خصماً كهذا يا (نور) ؟! »

نطق (أكرم) العبارة ، وهو يجاهد حتى لا يفقد وعيه ، مع هذا الوضع المقلوب ، الذى احتقن له دماغه بالدماء ، ويداه تتصارعان ، فى محاولة للتخلص من قيوده ، فتلفت (نور) حوله ، قائلاً فى صرامة :

ـ كل مخلوق له نقطة ضعف يا صديقى ، مهما أوحت الأمور بعكس هذا .

أمال (أكرم) رأسه ، على نحو مؤلم ، ليلقى نظرة على ذلك المخ الهائل المخيف أسفله ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ وما نقطة ضعف شىء كهذا ؟!

عاد (نور) يتلفت حوله ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ لو تطلّعت جيداً ، لوجدت أن له عشرات من نقاط الضعف يا (أكرم) .. إنه يحيا بوجود ذلك السائل الحيوى ، الذى يحيط به ، والذى تنظمه ، وتحافظ على كثافته وحرارته ، كل هذه الأسلاك ، وبرامج الكمبيوتر المتطورة ، والأجهزة الإليكترونية والرقمية الحديثة ، التى تحيط بنا .. وكل وحدة من هذه ، تمثل نقطة ضعف بالنسبة له .

قال (أكرم) ، وهو مازال يستميت ؛ لحل قيوده :

ـ لهذا يحميها ويدافع عنها ، بقوة لم يعرف العالم مثيلاً لها أبداً ..

قال (نور) فى صرامة :

ـ لن يستمر هذا إلى الأبد .

وتطلّع إلى الوعاء الزجاجى الكبير ، الذى يحوى ذلك المخ المزدوج هائل الحجم ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ شرخ واحد ، فى جدار هذا الوعاء ، يكفى لتدميره تماماً .

صاح (أكرم) ، والآلام تسرى فى ذراعيه ومعصميه ، مع استمرار محاولاته للتخلّص من القيود :

ـ بل قل رصاصة واحدة يا (نور) .. رصاصة أخرى ، أطلقها على ذلك الحقير ، فيزول غروره ، وتنهار غطرسته ، ويتحوّل إلى كتلة هائلة ، من الخلايا الميتة .

ثم عضّ شفتيه ، وهو يستطرد فى مرارة :

ـ آه لو لم يكن قد سيطر على (س ـ ١٨) .

حمل صوت (نور) مزيجاً من الغضب والصرامة ، وهو يقول :

ـ لقد دافعنا عن أرضنا ، قبل أن يأتى (س ـ ١٨) ، وسنواصل الدفاع عنها ، حتى لو خسرناه إلى الأبد .

وأدرك (أكرم) مايشعر به (نور) تماماً ..

فعلى الرغم من أن (س ـ ١٨) مجرّد شخص آلى ، إلا أنه هناك رابطة خاصة للغاية ، تربطه بـ (نور) ..

بل وبالفريق كله ..

رابطة صارت أشبه بصداقة متينة ، على الرغم من كل ماتحويه الكلمة من تناقض منطقى عجيب ..

ولكنها الحقيقة ..

الحقيقة التى يشعر بها الجميع ، منذ فترة طويلة ..

هو نفسه أصبح يبتهج لرؤية (س ـ ١٨) ، ويشعر بالأمن والأمان لوجوده ، على الرغم من طبيعته البرية المستقلة ، التى ترفض دوماً الاعتماد على الآخرين ، فى التأمين والحماية ..

وفى مرارة حقيقية ، غمغم (أكرم) :

ـ هل تعتقد أنه سيعود يا (نور) ؟!

ازدرد (نور) لعابه ، فى محاولة لتخفيف مرارته وحزنه ، وهو يجيب :

ـ بل قل : هل سنظل على قيد الحياة ، عندما يعود ؟!

شعر (أكرم) بتهالك تام ، مع محاولاته المتواصلة والمرهقة ، للتخلص من قيوده ، فترك جسده يسترخي ، وهو يغمغم :

ـ ليس المهم أن نبقى نحن يا (نور) .. المهم أن تبقى (مصر) .

لم يعلّق (نور) على عبارته ، وهو يكتم غصته وآلامه ، وعاد يدور ببصره فيما حوله ، وهو يبحث عن وسيلة ما ، للخروج من هذا الموقف العصيب ..

ففي أعمق أعماقه ، وعلى الرغم من صعوبة الموقف ودقته ، كان يؤمن بأنه هناك حتمًا مخرج ما ..

ثغرة ما ..

في مكان ما ..

وعليه أن يجد هذه الثغرة بأي ثمن ..

وفي الوقت المناسب ..

قبل أن ينجح ذلك الخصم الرهيب ، في تنفيذ انتقامه البشع ..

بل وقبل أن ...

« قبل ماذا أيها المقدّم ؟! »

انبعث القول فجأة ، في أعمق أعماق عقليهما ، مع نهوض ذلك العملاق الوهمي ، من موضع المخ المزدوج الرهيب ، فغمغم (أكرم) في مرارة :

ـ لا .. ليس ثانية .

كان يشعر بإرهاق غير محدود ، من جراء محاولاته المستميتة للتخلص من قيوده ، والتي لم تؤت ثمارها أبدًا ، فترك جسده يسترخي ، في ذلك الوضع المقلوب ، وترك عقله يستقبل كلمات ذلك العملاق ، الذي بدا أكثر قوة وضخامة عن المرة السابقة ، وهو يتابع :

ـ أفضل ما في صراعي معك ، هو أنك مثلي تمامًا .. تكمن قوتك كلها في عقلك .. في ذكائك ، وبراعتك ، وعبقريتك في مواجهة الأزمات .. لقد استمتعت كثيرًا بالتوغل في عقلك ، وأنت تبحث عن مخرج من أزمتك هذه .

شعر (أكرم) بدهشة بالغة ، عندما بدا (نور) هادئًا للغاية ، وهو يقول لذلك العملاق في تحدٍّ :

ـ وهل تسمي هذا صراعًا ؟!

أطلق العملاق الوهمي ضحكة ساخرة وحشية ، قبل أن يقول :

ـ بل أسميه انتصارًا .. انتصارًا ساحقًا ، على كل الجبهات أيها المقدّم ..

مع قوله ، تلاشى جسده الوهمى ، وعاد يتشكل ، فى هيئة العميد (ماهر) ، ثم تحول منها إلى هيئة وزير الدفاع ، ثم القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، قبل أن يستقر فى هيئة الرئيس ، فهتف (أكرم) ، ذاهلاً :

ـ مستحيل !

بدا وكأن هتافه الذاهل قد راق كثيرًا للعملاق ، الذى أطلق ضحكة ظافرة شرسة ، واحتفظ بهيئة الرئيس ، متابعًا :

ـ كل أجهزة الدولة الآن تتلقى أوامرها من كبار القادة ، ورجال الأمن والسياسة ، وكلها بلا استثناء تعمل على تنفيذ الخطة الدفاعية (خطر ـ ٣) ، التى وجدتها فى عقول الرئيس ، ووزير الدفاع .. وكذلك قائدك الأعلى ، الذى لم يعد ظهوره منطقيًا ، بعد أن لقى حتفه ، بأسلحة طاقم أمن الرئيس ..

غمغم (نور) :

ـ أيها الحقير .

أطلق العملاق ضحكة وحشية أخرى ، وهو يقول :

ـ بل قل أيها الظافر المنتصر .. ألا تعرف تفاصيل الخطة الدفاعية (خطر ـ ٣) أيها المقدم ؟!

لم يجب (نور) تساؤله ، فتابع فى زهو شرس :

ـ إنها الخطة التى لا يفترض تنفيذها ، إلا فى حالات الطوارئ القصوى ، عندما تشن قوة أخرى هجومًا شاملاً .. فى هذه الحالة يتم الرد عليها بكل الوسائل المتاحة .. الصواريخ ذات الرءوس النووية ، ومدافع الليزر الفضائية ، وقنابل البروتون .. ولقد أصدرت أوامرى ، باعتبارى رئيس الجمهورية ، والقائد الأعلى للقوات المسلحة ، ثم أيدتها باعتبارى وزير الدفاع ، وصاحب القرار العسكرى السياسى ، بأن يتم الرد على ثلاث جبهات .. (الصين) ، والولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد الأوروبى .

امتقع وجهها (نور) و (أكرم) ، فى حين أطلق ذلك العملاق الوهمى ، فى غياهب عقليهما ضحكة مجلجلة ..

ضحكة أكثر وحشية ..

وأكثر ظفرًا ..

ضحكة أعقبها بقوله :

ـ ترى كيف تتوقعان النتائج ؟!

صرخ (أكرم) :

ـ وما الذى ينبغى أن نتوقعه ، أيها الوغد الحقير .

أما (نور) ، فقد انفرجت شفتاه ، ليقول شيئًا ما ..

ولكن فجأة ، ارتجّ عقله فى قوة ..

ارتجّ مع اتصال فائق قوى ..

اتصال لم يكتف بالتوغّل فى أعمق أعماق عقله ، وإطلاق موجة عقلية هائلة عبره ، بل انبعث أيضًا من بين شفتيه ، ليقول :

ـ المعركة لم تُحسم بعد .

ولأوّل مرة ، منذ بدأ الصراع ، انتفض العملاق الوهمى فى قوة ، وتراجع كالمصعوق ، وهو يستعيد هيئته ..

(أدهم) أيضًا ، شعر بارتجافة عنيفة ، تسرى فى أوصاله كلها ، وهو يحدق فى وجه (نور) ، بعينين احتقنتا بالدم فى شدة ..

فذلك الصوت ، الذى خرج بكل هذا العمق ، من بين شفتى (نور) ، لم يكن صوته حتمًا ..

بل كان صوتًا آخر ..

صوت مألوف للغاية ..

ومع الصوت ، راحت صورة وهمية أخرى ، تتكوّن فى القاعة ..

صورة يمكن اعتبارها بمثابة تحول ، فى مسار الصراع ..

تحول جوهرى ..

وعنيف ..

للغاية ..

* * *

استقبل الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ، (سلوى) فى اضطراب واضح ، وصافحها فى توتر ، قبل أن يشير إليها بالجلوس ، قائلاً :

ـ ماذا أصاب فريقكم يا (سلوى) ؟! منذ تلقيت اتصالك ، وأنا أتابع الموقف ، على كل الجبهات ، والواقع أن الأمور كلها مضطربة ، على نحو مخيف .

سألته (سلوى) فى قلق :

ـ هل من جديد ؟!

التقط الرجل نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب ، بكل توتر الدنيا :

ـ لقد أطلقوا خطة (خطر ـ ٣) .

انتفض جسدها فى قوة ، مع سماعها ذلك المصطلح ، الذى لا تعرف تفاصيله بدقة ، ولكنها تدرك أنه يعنى وصول الأمور إلى أقصى مدى ممكن ..

بل وقد تعنى حربًا عالمية طاحنة ..

وفناء ..

فناء تام ..

فمع ذلك التقدم المذهل والمخيف ، الذى بلغته أسلحة الدمار ، ونظم الأمن والدفاع ، يكفى أن تنطلق شرارة واحدة ، ليتحول العالم كله ، فى غضون دقائق معدودة ، لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، إلى أتون من اللهب ..

أتون قادر على التهام البشر ..

كل البشر ..

بلا استثناء ..

وبلا رحمة ..

وبكل ذعرها وهلعها ، هتفت :

ـ وكيف يحدث هذا ؟! أين الرئيس ، ووزير الدفاع ، و ...

قاطعها الدكتور (جلال) بنفس التوتر المضطرب :

ـ لست أدرى ماذا يحدث يا بنيتى ! الرئيس أصدر الأمر ، ووزير الدفاع أيّده ، وكل شىء يسير وفقًا للقانون والدستور ، وليس على القادة سوى التنفيذ .

هتفت :

ـ وماذا عن القائد الأعلى ؟!

بدا أكثر توترًا واضطرابًا ، وهو يجيب :

ـ لا أحد يدرى .. لقد ذهب لمقابلة رئيس الجمهورية ، ثم لم نتلق منه أية اتصالات بعدها .. لا أحد يعلم أين هو ، ولا ماذا أصابه يا (سلوى) ؟!

ثم ضرب سطح مكتبه بقبضته ، مستطردًا :

ـ هناك شىء ما يجرى .. شىء خطير .. شىء يتعلق بـ ...

قاطعته هى هذه المرة :

ـ بذلك المسخ .

حدق فى وجهها بشىء من الذعر ، قبل أن يقول فى خفوت :

ـ بالتأكيد .

حاولت أن تسيطر على أعصابها وانفعالاتها ، وهى تقول :

ـ لو أردت رأيى ، فقد سيطر على الرئيس ووزير الدفاع .. إنه يدير البلاد الآن فى هيئتهما ، ويقودها والعالم كله إلى دمار شامل .

ارتجف صوته ، وهو يغمغم :

ـ بل إلى فناء يابنيتى .. فناء تام .

امتقع وجهها بشدة ، وذهنها يكون تلك الصورة المفزعة ، وتراجعت فى مقعدها ، فى رعب واضح ، قبل أن تستعيد فى أعماقها صورة ابنتها ، وزوجها ، و ...

« لايمكن أن نجلس ساكنين ، فى انتظار الفناء ! »

نطقت العبارة فى حدة ، فتلفت الدكتور (جلال) حوله ، وكأنما يخشى أن يسمعه أحد ، قبل أن يسألها فى حذر :

ـ ماذا تقترحين ؟!

بدأ الانفعال يسرى فى عروقها وكلماتها ، وهى تجيب :

ـ (نور) و (أكرم) هناك .. فى مركز الأبحاث العسكرية .

ازدرد لعابه فى صعوبة ، مغمغمًا :

ـ أعلم هذا .

أشارت بسبابتها ، متابعة :

ـ تلك الشىء يحتجزهما هناك .

قال فى سرعة وتوتر :

ـ لو أنه قد تخلص منهما .

ارتجفت عروقها مع عبارته ، وشحب وجهها على نحو مخيف ، وهى تقول :

ـ لا .. لايمكن أن يكون قد فعلها .

سألها الدكتور (جلال) فى توتر :

ـ وما الذى سيمنعه ؟!

اغرورقت عيناها بدموع الرعب والهلع ، وذهنها يطرح على قلبها الملتاع السؤال ذاته ..

نعم .. ما الذى سيمنعه ؟!

ما الذى يمكن أن يمنعه من القضاء عليهما ، لو أنه قد ظفر بهما بالفعل ؟!

أى شىء يمكن أن يقيهما منه ؟!

أى شىء ؟!

انهارت أعماقها مع الفكرة ، وشعرت بغصة فى حلقها ، منعتها من النطق ، وجعلتها تنكمش فى مقعدها ، على نحو أثار شفقة الدكتور (جلال) ، وجعله يقول فى سرعة :

ـ دعينا نفترض أنهما على قيد الحياة .. ما الذى يمكن أن نفعله إذن ؟!

قاومت مرارتها وارتياعها ، لتقول فى حزم :

ـ أن نسعى لإنقاذهما .. وبأى ثمن .

بدا صوته شديد الإحباط واليأس ، وهو يهمس :

ـ وكيف ؟!

أجابته فى سرعة ، وكأنها تعرف الجواب مسبقًا :

ـ نقتحم مركز الأبحاث العسكرية .

خيّل إليها أن كل ذرة فى كيانه قد انتفضت فى عنف ، وهو يحدق فيها بعينين بلغتا ذروة اتساعهما وذعرهما ، قبل أن يهتف ، بصوت اختنق نصفه فى أعماق حلقه :

ـ ماذا ؟!

واصلت بنفس السرعة :

ـ هل تذكر مدفع الموجات الصوتية ، الذى شاركت فى

تطويره ، مع فريق من مركز الأبحاث ؟! إنه قادر على هدم أسوار المركز ، و ...

قاطعها فى ارتياع :

ـ ماذا تقولين يا (سلوى) ؟! ما تقترحينه يعد جريمة خيانة عظمى ، تستوجب القتل رميًا بالرصاص ، وفقًا للقانون العسكرى !!

أجابته فى صرامة :

ـ وما يحدث حولنا هو كارثة ، وفقًا للقانون الإنسانى .. إنهم يسعون لإشعال نيران الحرب العالمية .. حرب الفناء الأخيرة ، التى تحدثت عنها الكتب القديمة ، ونسجت خيوطها أساطير لا حصر لها .. يسعون لفنائنا جميعًا ، وأنت تخشى القانون .

هزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لسنا ندرى لماذا فعلوا هذا !

هبّت من مقعدها ، هاتفة :

ـ أى سبب يمكن أن يدفعهم إلى خطوة رهيبة كهذه ؟! هل سجلت الأجهزة هجومًا ؟! أو حتى محاولة هجوم ؟! هل

رصدتم انطلاق صاروخ نووى نحونا ، لو سجلتم إصابة مدفع ليزرى فضائى ، لقطعة من قطع جيوشنا ؟!

بدا حائراً مضطرباً ، وهو يغمغم :

ـ مركز الأرصاد الفلكية سجل قدوم جسم غريب من الفضاء ، و ...

قاطعته فى غضب :

ـ فقررت القيادة مواجهته ، بتوجيه ضربة نووية ليزرية ، إلى أقوى كيانات فى الأرض .. أليس كذلك ؟!

تراجع فى مقعده ، وهو يحدق فيها فى ارتياع شاحب ، فمالت نحوه ، وضربت سطح مكتبه بقبضتها ، مضيفة :

ـ لا تتردد يا دكتور (جلال) ؛ فالوقت لا يسمح بهذا .. اتخذ قرارك فوراً ، ولا تضيع لحظة ، قد تندم على فقدها فيما بعد .

زاغت عينا الرجل ، وهو يتطلع إليها فى حيرة ، وانخفض صوته كثيراً ، وهو يتمتم فى توتر :

ـ وماذا بعد أن نهدم الأسوار ؟!

خفق قلبها فى قوة مع عبارته ، التى تعنى أنه قد استجاب لندائها ، وتركت كلماتها تموج بانفعالاتها ، وهى تقول :

ـ بعدها ، سأمنحكم تطويراً جديداً ، لمدفع الموجات فوق الصوتية .. تطويراً قد يقلب الموازين كلها .

ومالت نحوه أكثر ، مكملة ، بكل الحزم والعزم :

ـ بل قد ينقذ العالم من مصير رهيب .. رهيب للغاية .

وامتقع وجه الدكتور (جلال) أكثر وأكثر ..

فما يوشك على اتخاذه ، كان أخطر قرار فى حياته كلها ..

أخطر قرار ..

على الإطلاق ..

* * *

من المؤكد أنه لم يكن من السهل أبداً ، أن يصدق (نور) و(أكرم) ما يرياه أمامهما ، داخل قاعة الأبحاث الرئيسية ، فى المركز العسكرى ..

فهناك ، وعلى مسافة أمتار قليلة ، من ذلك العملاق الوهمى ، تشكل جسد عملاق آخر ..

جسد (محمود) ..

عضو الفريق السابق ، الذى بذل نفسه فى سبيل الآخرين ، فى مجرى الزمن(*) ، ثم عاد ليؤازرهم ، كطاقة صافية فيما بعد(**) .

وللثوان ، ران على المكان صمت رهيب ، قبل أن يقطعه (أكرم) ، مغمغمًا فى ذهول :

ـ (محمود) ؟! مستحيل !! أهو أنت حقًا ؟!

جاءت الإجابة فى شكل زمجرة وحشية ، أطلقها ذلك العملاق الوهمى ، واستجاب لها (محمود) ، قائلاً :

ـ وجودى يزعجك كثيرًا أيها الوغد .. أليس كذلك ؟!

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، قبل أن يهتف ، وصوته يحمل ارتياحًا غامرًا :

ـ بالتأكيد يا صديقى ، فأنت الخصم المناسب له تمامًا .. خصم بلا جسد ..

أشار (محمود) إلى ذلك المخ المزدوج الرهيب ، داخل الوعاء الزجاجى ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) ... المغامرة رقم (١٠٠) .

(**) راجع قصة (الفجوة السوداء) ... المغامرة رقم (١١٠) .

ـ بل ربما كنت خصمًا أكثر قوة يا (نور) ، فليس لدى حتى مخًا ضخمًا ، لابد وأن أبذل الجهد لرعايته ، والحفاظ عليه .

زمجر العملاق الوهمى مرة أخرى ، قبل أن يقول فى وحشية :

ـ هراء ! ربما وجدت الطاقة اللازمة ؛ لتخرج من فراغك اللانهائى ، وتبدو فى تلك الصورة الوهمية أمامهما ، ولكن هذا لا يعنى أن طاقتك العقلية يمكن أن تنافس قوتى وقدراتى .

أشار (محمود) بسبّابته ، قائلاً :

ـ ربما يكون هذا صحيحًا ، لو أننى أعتمد على طاقتى وحدها .

ثم اعتدل ، وبدا أكثر قوة وثقة ، وهو يضيف :

ـ وليس على عقولهم .

لم يكد ينطقها ، حتى شعر (نور) أن عقله ينسحب من تلك القاعة ، داخل مركز الأبحاث العسكرية ..

وينطلق ..

ينطلق عبر الزمان والمكان إلى هناك ..

إلى ذلك المعبد القديم ، فى أعماق جبال (التبت) ..

حيث تبقى من المذبحة راهبان ..

راهبان مصابان ، توقف عقلاهما عند قوة محدودة بإطار واضح ..

قوة ، انتزعا كل تفاصيلها من عقل (نور) ..

قوة بلا جسد ، تسبح فى فراغ زمنى بلانهاية ، ويمكنها أن تواجه ذلك العقل الجبار ، دون أن تخسر شيئاً ..

أو تخشى شيئاً ..

ولكن الاتصال بتلك القوة يحتاج إلى طاقة عقلية هائلة ..

طاقة متآزرة ، يمكنها أن تخترق الزمان والمكان ..

كل الزمان ..

وكل المكان ..

وكل الأبعاد أيضاً ..

ووحدهما ، لن يمكنهما أبداً إجراء مثل هذا الاتصال ..

لذا كان عليهما استنفار كل ذرة من كيانهما ، إلى أقصى حد ممكن ..

وكلاهما يدركان جيدًا ، وهما يقومان بعملهما هذا ، أن عقليهما لن يحتملا ذلك الجهد الجبار أبدًا ..

وأن شرايين دماغيهما ستنفجر فى النهاية ..

وهذا هو الثمن ..

الثمن ، الذى لم يترددا لحظة واحدة فى دفعه ..

ففى اعتقادهما ، كانت حياتهما ثمناً رخيصًا ، لما يمكن تحقيقه ..

فلو أمكنهما إتمام الاتصال ، بتلك القوة المناسبة ، قد يتغيّر مصير العالم ..

وبكل قوتهما ، تركا عقليهما ينطلقان ..

وينطلقان ..

وينطلقان ..

وعلى الرغم من اعتصارهما كل ذرة من عقليهما ، ظل الاتصال مستحيلاً ..

للغاية ..

ولأن طبيعتيهما لا تستسلم أبدًا ، لما يتصور الآخرون أنه الفشل ، راح عقلاهما يبحثان عن حل آخر ..

ودون تبادل كلمة واحدة ، توصلا معًا ، فى آن واحد إلى الحل ..

الاتحاد ..

اتحاد العقول ..

كل العقول ..

عقول كل الرهبان التبتيين ، فى كل مكان فى العالم ..

فى (آسيا) ..

و (أوروبا) ..

وحتى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ..

وعبر عقليهما المتآزرين ، انطلقت الرسالة ..

انطلقت إلى كل العقول ..

أكثر من ألفى راهب تبتى ، تلقوا الرسالة ، فى اللحظة ذاتها ، فى مختلف أنحاء العالم ..

رسالة تقول : إن المستقبل فى خطر ..

مستقبل الأرض ..

والبشر ..

جميعهم ..

ولابد وأن يتآزر الجميع ..

وأن تتحد العقول ..

كل العقول ..

وفى كل مكان ، ودون أن ينطق أحدهم بكلمة واحدة ، اتخذ كل راهب تبتى الوضع نفسه ..

وضع جلوس القرفصاء ، وإغلاق العينين ، وإطلاق طاقات المخ ..

إلى أقصى حد ..

انطلقت كل العقول ، فى آن واحد ، نحو هدف واحد ..

هدف يتجاوز الزمان ، والمكان ، والأبعاد ..

هدف يستقر فى نهر الزمن ..

ووسط فراغ زمنى ، بلا بداية ..

وبلا نهاية ..

ووسط سجنه ، الذى اعتاد راحة اليأس فيه ، تلقى (محمود) الاتصال ..

الاتصال العقلى الفائق ، الذى منحه كل الطاقة اللازمة ، ليتجسد فى صورة هلامية ، فى مقر الفريق ..

وهناك ، ارتطمت طاقته بتلك الطاقة السلبية ، التى تركها ذلك المسخ الرهيب خلفه ، والتي سيطر بها على جزء من عقل (مشيرة) ..

وتشتّت مع برنامج الحماية ، للموجات فوق الصوتية ، فائقة القصر ..

وعندما أدرك الرهبان هذا ، اعتصروا عقولهم أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومنحوه طاقة هائلة ..

طاقة جعلته يواجه ذلك المسخ ، فى صورة عملاقة مماثلة ، و ...

وانتفض جسد (نور) مرة أخرى ، عندما انتهت تلك الصورة البصرية فى مخه ..

واتسعت عيناه على نحو عجيب ، مع ذلك الفيض الهائل من موجات العقل ، الذى يعبر مخه ، قبل أن يصنع صورة (محمود) ، المتجسّدة أمامهم ، فى ذلك المشهد الوهمى العملاق ..

أما العملاق الوحشى ، فقد أطلق زمجرة رهيبة غاضبة ، توحى بأن مخه المزدوج الضخم ، قد التقط نفس المشاهد العقلية البصرية ، التى استوعبها عقل (نور) ، قبل أن يصرخ بكل الشراسة :

ـ هراء .

ثم ارتفعت قبضته القوية المخيفة أمامه ، وهو يضيف :

ـ هل تصوّرتم أن اتحاد عقولكم ، وتركيزها على ذلك الخصم عديم الجسد ، يمكن أن يكفل لكم الفوز ؟! يالكم من واهمين !! ربما كان بالفعل بلا جسد ، وبلا خلايا يتطلّب الأمر بعض الجهد الضئيل ، للحفاظ على استمراريتها ، إلا أن هذا لايجعله أبدًا ندًا لقوتى وطاقاتى .

وبخطوة مخيفة ، اتجه نحو صورة (محمود) العملاقة ، مستطردًا فى وحشية شرسة :

ـ عقولهم كلها لم تعد كافية لمواجهتى يا هذا .. حتى مع وجودك ، وقدراتك العقلية المحدودة .. مخى أنا سيضرب طاقتك كلها ..

بدا من الواضح ، أن (محمود) يعانى آلامًا شديدة ، مع تراجعه ، وذلك التموّج الذى شمل صورته ، فى حين واصل العملاق الوهمى تقدّمه نحوه ، مواصلاً :

- سأشتتها ، وأبعثرها ، وأطلق كل فيض منها فى اتجاه مختلف ، بحيث يتناثر كيانك ، ولا يعود لك وجود أبدًا .

مع قوله ، تموّجت صورة (محمود) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وعلى ملامحها ارتسمت آيات العذاب ..

العذاب الشديد ..

وكما هدذ العملاق الوهمى تمامًا ، بدا وكأن صورة (محمود) تتشتت ..

وتتبعثر ..

وتتفكك .

وعذاب ملامحه يتضاعف ..

ويتضاعف ..

ويتضاعف ..

بلا حدود ..

وبكل اليأس والمرارة ، هتف (أكرم) :

- اتركه أيها الوغد ..

أما (نور) ، فقد بدا جامدًا ، على نحو عجيب ، وهو يراقب ما يحدث ، وما يثبت أنه ، على الرغم من المحاولة المستميتة لرهبان (التبت) ، فى كل أنحاء العالم ، ما زال ذلك المخ المزدوج الهائل هو الأكثر قوة ..

والأكثر وحشية ..

والأكثر سيطرة ..

والظافر الأول والأوحد ..

فى معركة الفناء ..

فناء العالم ..

كله .

* * *

٦ ـ بلا أمل ..

لم يبد الدكتور (جلال) ، فى حياته كلها ، بمثل هذا التوتر العنيف ، الذى بدا عليه ، وهو يجلس داخل تلك السيارة الخاصة المصفحة ، التى تتسلل وسط الأطلال القديمة فى حذر زائد ، مقتربة من مركز الأبحاث العسكرية ..

وبكل هذا التوتر ، غمغم :

ـ ما زلت أكرر أن ما سنقدم عليه ، يعد خيانة عظمى ، و ...

استوقفته (سلوى) ، وهى تناوله المنظار المقرّب ، قائلة :

ـ استخدم برنامج الحماية ، الذى تمدك به الساعات الواقية ، وتطلّع إلى أطقم الحراسة .

التقط الدكتور (جلال) المنظار من يدها ، ووضعه على عينيه ، وهو يغمغم :

ـ كل ما أخشاه ، أن نكون قد أخطأنا الـ ...

قبل أن يتم عبارته ، انعقد حاجباه فى شدة ، وشعر بقلبه يخفق فى عنف ..

فالجنود ، الذين كان يراهم فى وضوح ، أمام المركز ، وفى أبراج حراسته ، تحولوا فجأة إلى صور مهتزّة مشوّشة ، راحت تظهر وتختفى ، كما لو أنها صورة باهتة ، على شاشة تلفاز قديم ..

وبكل دهشة الدنيا ، هتف الدكتور (جلال) :

ـ رباه ! أنت على حق يا (سلوى) .

غمغمت فى انفعال :

ـ يؤسفنى أنك لم تثق فى هذا منذ البداية .

وضع المنظار المقرّب على عينيه مرة أخرى ، وكأنما يرغب فى التيقّن من الأمر ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ سنستخدم المدفع الآن .

أشارت بيدها ، قائلة :

ـ لا .. ليس الآن .

بدت الدهشة واضحة ، فى ملامحه وصوته ، وهو يقول :

ـ ألم تقولى : إن لكل لحظة ثمنها ؟!

أجابته ، وهى تضغط أزرار إعداد مدفع الموجات فوق الصوتية ، قائلة فى انفعال :

ـ بلى ، ولكن خطتى تعتمد على مابعد إطلاق المدفع ، وهدم الأسوار ..

رآها تدس أسطوانة مدمجة صغيرة ، فى الكمبيوتر الملحق بالمدفع ، فسألها فى توتر :

ـ ماذا تفعلين بالضبط ؟!

أجابته بنفس الانفعال ، وأصابعها تعمل فى سرعة ، على لوحة أزرار الكمبيوتر :

ـ هذا المدفع مجهز ، بحيث يطلق موجات مكثفة من فوق الصوتيات ، تكون لها قوة تدميرية ، تعادل نصف طن من المتفجرات التقليدية ، وما أحاول فعله ، هو تعديل برنامجه ، بعد الضربة الأولى ، بحيث أضيف إليه تلك الموجة المضادة ، فائقة القصر ، عندما ينطلق عبر الأسوار المفتوحة فيما بعد ، مع تعديل قوته التدميرية الفائقة .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف فى عصبية :

ـ إننى لا أرغب فى هدم المبنى نفسه ، على رأسى (نور) و(أكرم) ، لو ...

بترت عبارتها بغتة ، وهى تعض شفتها فى مرارة ..

وفهم الدكتور (جلال) ما الذى لم تجرؤ على نطقه ، ولكنه تجاهل هذا تمامًا ، وهو يسألها :

ـ وهل تعتقدين أنه سلاح كاف ؟!

هزت رأسها فى توتر ، مجيبة :

ـ لست أدرى كم بلغت قوته بالضبط .

سرت فى جسده قشعريرة باردة ، وهو يقول :

ـ إذن فلست واثقة من النتائج .

أجابته فى صرامة ، وأصابعها تواصل عملها فى سرعة ، على أزرار الكمبيوتر الملحق بالجهاز :

ـ فى حياتنا كلها ، لم نخض معركة واحدة ، مضمونة النتائج .

هتف فى عصبية :

ـ ولكننا لو فشلنا فى إيقافه هذه المرة ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، قال أحد أفراد الطاقم المصاحب لهما ، فى توتر شديد :

ـ سيدى .. لقد حدث أمر عجيب هناك .

أدار الدكتور (جلال) و(سلوى) عيونهما نحو مركز الأبحاث العسكرية فى سرعة ، واختطف الدكتور (جلال) المنظار المقرب ، وهو يضعه على عينيه ، قائلاً :

ـ رباه ! هل ..

ودون أن يتم عبارته ، حدّق فى المركز ، عبر المنظار المقرّب فى دهشة عصبية ..

فلسبب ما ، لم يجد له تفسيراً ، اختفى كل الجنود الوحشيين ، من أسوار المركز ..

اختفوا تماماً ..

ودفعة واحدة ..

« ترى ما الذى يحدث هناك ؟! »

نطقتها (سلوى) بكل توتر الدنيا ، وقلبها يرتجف بين ضلوعها فى عنف ..

فمع خبرتها الطويلة ، فى هذا المضمار ، كان ذلك التغير المفاجئ يعنى حدوث تطور ما هناك ..

فى قلب مركز الأبحاث العسكرية ..

أو قلب الجحيم ..

* * *

لم يعد هناك أمل ..

ذلك المخ المزدوج الجبار ازداد قوة ، على نحو مخيف ..

حتى اتحاد عقول الرهبان ، لم ينجح فى هزيمته ..

أو كبحه ..

أو حتى إيقافه ..

وها هو ذا يستنفر كل قوته ..

ويهاجم ..

بمنتهى العنف ..

والوحشية ..

والرغبة العارمة فى الثأر ..

وفى يأس مرير ، راقب (أكرم) صورة (محمود) ، وهى تنهار ، وتتشتت ..

وتتشتت ..

وتتشتت ..

ومع العذاب المرتسم على ملامحه ، أدرك أن هذا ما يعانيه محمود نفسه بالفعل ..

فبعد سنوات طوال ، فى سجن انفرادى رهيب ، وسط فراغ زمنى لا محدود ، لم يحتمل هو نفسه البقاء فيه لساعات محدودة(*) ، عاد لينهار مرة أخرى ، فى عالمه الأصلى ..

وكل هذا أمام عينيه ..

وعينى (نور) ..

(نور) ، الذى بدا موقفه عجيباً للغاية ، فى تلك اللحظة العصيبة !

فعلى الرغم مما يعانيه (محمود) ، عضو فريقه ، ورفيق عمره ، من عذاب غير محدود ، ومما يواجهه من نهاية بشعة ، ظلّ (نور) جامداً وهادئاً !!

وربما أكثر مما ينبغى !

فلسبب ما ، كان يراقب الأحداث كلها ، وكأنه ليس جزءاً منها ..

أو كأنها مجرد صور متحركة ، على شاشة وهمية ..

أما ذلك العملاق الوهمى ، فقد أطلق زمجرة أخرى مخيفة ، تحمل كل الوحشية والظفر ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (التماثيل) ... المغامرة رقم (١٤١).

- أرأيت أيها الخصم بلا جسد ؟! مع كل ما تآزروا به من أجلك ، ستفقد كل ما تبقى لك .. طاقتك الصافية .. هنا ، فى موقعى وبين أسوارى ، ستلقى نهايتك الحتمية .. النهاية التى كان ينبغى أن تبلغها هناك ، فى نهر الزمن(*) .

وعضّ (أكرم) شفتيه فى مرارة ..

إنها النهاية ..

النهاية لا ريب ..

وها هو ذا ، يشاهدها فى وضع ذليل مهين ، وهو معلق من قدميه إلى سقف القاعة ، ومقيد المعصمين خلف ظهره ، كذبيحة تنتظر من يلتهمها بلا رحمة ..

فيا للهوان !

ويا للعار !

كم تمنى لحظتها لو أنه يستطيع أن يحيط مقبض مسدسه بأصابعه ، ولو لمرة واحدة أخيرة ..

مرة يطلق فيها رصاصاته ..

كل رصاصاته ، على ذلك المخ البشع ؛ لينسفه نسفاً ، كما فعل من قبل ..

(*) راجع قصة (الزمن - صفر) ... المغامرة رقم (١٠٠).

ويا ليته يومها لم يكتف برؤيته يسقط فحسب ..

ليته أفرغ كل رصاصات مسدسه ، فى ذلك الرأس المزدوج ، الذى حمل الدمار والعذاب ، لكل من أحب ..

والذى تسبَّب فيما أصاب زوجته ..

حبيبته وزوجته (مشيرة) ، التى لم يكد يتذكرها ، ويتذكَّر ما أصابها ، مما أخبره به ذلك الوغد ، حتى تفجَّر بركان من الغضب فى عروقه ، وصرخ مرة أخرى :

ـ أيها الوغد الحقير ..

ومع صرخته ، شعر بقوة هائلة ، تتدفَّق فى خلاياه ، وبعضلاته كلها تنتفخ ، على نحو لم يعهده فى نفسه أبدًا ، وتصاعدت آلام رهيبة فى معصميه ، و ...

وفجأة ، تمزَّقت قيوده ..

وتحرَّرت ذراعاه ..

وبكل دهشته وانفعاله ، صرخ :

ـ لقد فعلتها .. فعلتها يا (نور) .

أطلق العملاق الوهمى زمجرة غاضبة أخرى ، مع صرخة (أكرم) ، الذى شعر بأوصاله كلها تتجمد ، على نحو عجيب ،

أدرك على الفور أنه من تأثير القوة العقلية الفائقة ، لذلك المخ المزدوج هائل الحجم ..

لقد تجمَّدت عضلاته ، وأطرافه ..

وحتى أصابعه ..

تجمَّدت ، وسرت فيها برودة رهيبة ، جعلته يصرخ :

ـ لا .. ليس ثانية .

وعلى الرغم من كل هذا ، ظل (نور) جامدًا ، ثابت النظرات ، كما لو أنه قد تحوَّل فجأة إلى تمثال من الرخام ..

تمثال بلا حياة ..

أو بلا عقل ..

ومع كل هذا ، واصلت صورة (محمود) تشتتها على نحو سريع مخيف ..

نحو جعل من الواضح أن الصراع قد بلغ مرحلة الذروة ..

الذروة المطلقة ..

والقاتلة ..

* * *

« استعدوا لتنفيذ الخطة (خطر – ٣) .. »

تردد النداء ، عبر كل أجهزة الاتصال الخاصة ، فى قيادات أفرع الجيش المختلفة ، فسرى توتر فى كل الأجساد ، وارتسم قلق عارم ، فى الملامح والوجوه ، وغمغم أركان حرب وزير الدفاع فى عصبية ، لم يستطع كبحها أو منعها :

– مازلت أرى أنه لا ضرورة إطلاقًا ، لبدء خطة رهيبة كهذه يا سيادة الوزير .

لم يسمع جوابًا من الوزير ، فتابع فى عصبية أكثر :

– إطلاقنا (خطر – ٣) ، يعنى إشعال نيران حرب عالمية طاحنة ، ووفقًا لما أعلنته أجهزة كمبيوترات التماثل الفائقة ، فالحرب لن تستغرق سوى ساعات معدودة ، مع أسلحة الدمار الرهيبة ، فى هذا العصر ، وخلال هذه الساعات ، سيتم تدمير عواصم الاتحاد الأوروبى بالكامل ، ونصف مساحة (الصين) ، وأكثر من ثلاثين ولاية ، فى (أمريكا) وحدها ، وسبع دول على الأقل ، فى منطقة الشرق الأوسط ، وهذا مجرد البداية ، قبل أن تبدأ سلسلة من الحروب البرية ، و ...

انتبه فجأة ، إلى أنه لا يتلقى أية تعليقات أو تعقيبات من الوزير ، فالتفت إليه ، قائلا :

– سيدى الوزير .. إنك لم ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق ذاهلاً فى الموقع ، الذى كان يحتله الوزير منذ لحظات ، قبل أن يدير عينيه فى حجرة القيادة كلها ، ثم يهتف بكل دهشة الدنيا :

– سيادة الوزير ؟!

لم يكن هناك مكان واحد ، يمكن أن يغادر الوزير عبره الحجرة ، دون أن يلمحه وهو يفعل ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد اختفى ..

اختفى تمامًا ..

ودون أدنى أثر ..

وعلى الرغم من تعارض الأمر مع كل منطق أو عقل ، اندفع أركان الحرب خارج حجرة القيادة ، وهتف بالحارس الواقف أمامها فى توتر :

– هل شاهدت سيادة وزير الدفاع ؟!

حمل وجه الحارس كل دهشة الدنيا ، وهو يجيب :

– سيادة الوزير فى الداخل يا سيدى .

اتسعت عينا أركان الحرب لحظة ، ثم استعاد تماسكه فى سرعة ، وهو يقول فى حزم :

- بالطبع .. إنه اختبار يقظة يا رجل ..

وعاد إلى حجرة القيادة فى سرعة ، متجنبًا المزيد من دهشة الحارس وحيرته ، وعاد يدير عينيه فى الحجرة الخالية ، مغمغمًا :

- نعم .. إنه اختبار يقظة ..

اتجه فى صمت نحو مقعد وثير ، وترك جسده يسترخى فوقه بعض الوقت ، وهو يفكر فى عمق ..

فالأمور كلها تسير على وتيرة غريبة ، منذ بدأ التفكير فى إطلاق (خطر - ٣) ، بكل تبعاتها الرهيبة المعروفة ..

فدون سبب منطقى ، أصدر الرئيس قراره بتنفيذها ، وأيده وزير الدفاع ، و ...

رئيس الجمهورية !!

توقف تفكيره عند اللقب ، وراح عقله يعيد التفكير مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ثم هبَّ من مقعده بحركة حادة ، والتقط سماعة الهاتف الخاص ، الذى يتصل بمؤسسة الرياسة مباشرة ، وهو يغمغم :

- هناك وسيلة واحدة للتأكُّد .

تم الاتصال مباشرة ، مع رفع سماعة الهاتف ، وسمع أركان الحرب صوت مدير مكتب الرئيس ، على الجانب الآخر ، وهو يقول :

- مرحبًا سيادة وزير الدفاع .

أجابه أركان الحرب فى حزم :

- لست وزير الدفاع يا رجل .. أنا أركان حربه .. أريد التحدث إلى الرئيس مباشرة ؛ لأمر بالغ الأهمية .

بدا صوت مدير المكتب شديد التوتر والاضطراب ، وهو يجيب :

- أخشى أن هذا قد لايكون ممكنًا ، فى الوقت الحالى .

سأله أركان الحرب فى اهتمام :

- حتى لو كان الأمر غاية من الأهمية ؟!

صمت مدير المكتب بضع لحظات ، قبل أن يجيب ، بنفس الصوت ، المتوتر المضطرب :

- المشكلة أن الرئيس ليس هنا .

وانخفض صوته ، مع مزيد من التوتر ، وهو يضيف :

- ليس فى أى مكان يمكن تحديده .

كانت أصابع أركان الحرب تعتصر سماعة للهاتف ، وهو يقول فى انفعال جارف :

ـ دعنى أستنتج ماحدث يارجل .. لقد كان الرئيس هناك ، ثم فجأة ، لم يعد هناك .. أليس كذلك ؟!

خُيِّل إليه أن صوت الرجل قد شحب بشدة ، وهو يغمغم :

ـ كيف .. كيف أمكنك أن ...

لم يستطع إكمال كلماته ، من فرط التوتر والاضطراب ، ولكن أركان الحرب اعتدل ، قائلاً فى حزم :

ـ فى لحظة ما ، بدا لى هذا تداعياً طبيعياً يا رجل .

هتف مدير المكتب ، وقد انضم ذعره إلى توتره واضطرابه :

ـ تداع طبيعى لماذا ؟!

ولكنه لم يتلق جواباً من أركان الحرب ، الذى أنهى الاتصال ، فور انتهاء عبارته ، واستدار إلى الشاشات ، التى تعلن بدء تنفيذ خطة الهجوم الشامل (خطر ـ ٣) ، بعد خمس عشرة دقيقة وتسع ثوان فحسب ، وهو مغمغم فى انفعال :

ـ كان ينبغى أن أتوقَّع هذا .

وبسرعة تليق بعقلية عسكرية متطوِّرة ، وحسم يتناسب مع دراسته الحربية الخاصة ، اتجه أركان الحرب نحو لوحة الأزرار الرئيسية ، وضغط زراً أزرق ، قائلاً فى صرامة :

ـ إلغاء .. يتم إيقاف الخطة (خطر ـ ٣) فوراً .

أتاه صوت الكمبيوتر الآلى ، وهو يجيب :

ـ إلغاء أو إيقاف الخطة ، يحتاج إلى صوت الرئيس ، أو وزير الدفاع شخصياً .

وانعقد حاجبا أركان الحرب فى شدة ، وقشعريرة باردة تسرى فى كل أوصاله ..

فوفقاً لبرنامج الكمبيوتر ، ولغياب الرئيس ووزير دفاعه ، أصبح من الواضح أنه لم تعد هناك وسيلة واحدة لإيقاف تنفيذ الخطة (خطر ـ ٣) ..

خطة التدمير العالمى ..

الشامل ..

* * *

على الرغم من أن عينى (نور) كانتا تريان كل ما يحدث ، فى القاعة الرئيسية لمركز الأبحاث العسكرية ، إلا أن عقله كان منفصلاً تماماً ..

منفصل عن الزمان .

والمكان أيضاً ..

فبوسيلة ما ، كانت هناك تلك العقول ، التى تنطلق بطاقة هائلة ، فى كل خلية من خلايا مخه ..

تنطلق ؛ لتنشيط طاقاته الكامنة ..

كل طاقاته ..

بلا استثناء ..

آلاف المعلومات والمعادلات ، راحت تتدفق فى عقله ، كشلال لا ينقطع أبداً ..

آلاف وآلاف من الأرقام ..

والصور ..

والبيانات ..

والإحصاءات ..

قوة رهيبة راحت تشحن عقله ..

وجسده ..

وكيانه كله ..

وفى لحظة واحدة ، استعاد تفاصيل حياته كلها ..

مولده ..

نشأته ..

والداه ..

التحاقه بالمخابرات العلمية ..

عمليته الأولى ..

للفريق ..

مغامراتهم ..

زواجه ..

ابنته ..

لقاءه بـ (أكرم)(*) ..

و (طارق)(**) ..

(*) راجع قصة (رمز القوة) ... المغامرة رقم (٨١) .

(**) راجع قصة (العدو الخارق) ... المغامرة رقم (١١٥) .

ومعركته الأخيرة مع شيطان العقول ..

كل العقول ..

كل هذا استعاده ، واستوعبه ، وتذكّره كاملاً ، وبكل تفاصيله ..

وفى لحظة واحدة ..

ثم التقطت خلايا عقله الرمادية صرخة العملاق الوهمى الظافرة ، وهو يهتف بكل وحشيته :

ـ الآن ستذهب إلى جحيم حقيقى ، أيها الخصم بلا جسد .

كان من الواضح أنه قد استنفر كل قوته وطاقاته ؛ للانتصار فى هذه المعركة الحاسمة ..

لمواجهة اتحاد عقول رهبان (التبت) ..

وطاقات عقل (محمود) ..

استنفرها حتى لم يعد متبقيًا له سوى ما يكفيه للحفاظ على كيانه المزدوج ، داخل ذلك الوعاء الزجاجى السميك فحسب ..

ربما لهذا لم يعد باستطاعته خلق الوهم من حوله ..

أو تجسيده ..

بل إن صورته الوهمية نفسها بدأت تخفت ..

وتذوى ..

وتتلاشى ..

أما صورة (محمود) ، فقد أصبحت أشبه بسحابة مشتتة ، بلا تفاصيل أو ملامح ، أو ...

وفجأة ، دوى ذلك الانفجار ..

المدفع فوق الصوتى ، نسف أسوار مركز الأبحاث الخلفية ، فى عنف شديد ..

ولوهلة ، تصوّر (أكرم) أن ذلك الانفجار ، سيشتت طاقة ذلك المخ الوحشى ، فيتوقف عن تجميد أوصاله ..

أو عن تشتيت طاقة (محمود) ..

إلا أن هذا لم يحدث ..

كل ما فعله ذلك العملاق الوهمى ، هو أن أطلق فى عقولهم زمجرة وحشية أخرى ، قبل أن ينطلق بغضب أكثر ..

وشراسة أكبر ..

وبنفس الجمود العجيب ، تطلّع إليه (نور) ، وعقله يكاد يبلغ ذروة الشحن والطاقة ، و ...

« الآن .. » ..

نطقتها (سلوى) من موقعها ، وهى تضغط زر إطلاق مدفع الموجات فوق الصوتية ، محمّلاً ببرنامج الموجات المضادة هذه المرة ..

ولم يكن هناك دوى أو انفجارات ، فى هذه المرة ..

فقط موجة فوق صوتية هائلة ، انطلقت نحو مركز الأبحاث العسكرية ، وتجاوزت حوائطه وجدرانه ، و ...

وبلغت قاعة تجاربه الرئيسية ..

وبمنتهى العنف ، اهتزّ عقل (نور) ..

وارتجّ مخه داخل جمجمته ..

أما ذلك العملاق الوهمى ، فقد تلاشى تمامًا دفعة واحدة ..

تلاشى لحظة واحدة ، قبل أن تعود صورته الوهمية قوية واضحة ، وهو يطلق زمجرة غاضبة ، ثم ينطلق ..

وفى لحظة انطلاقه ، سجلّت الشاشات كلها منحنيات بالغة القوة ..

منحنيات معكوسة ..

وفى موقعهم ، هتف الدكتور (جلال) ، بكل توتر الدنيا :

ـ هل أوقفه هذا ؟!

صاحت به (سلوى) :

لست أدرى .. لاتوجد وسيلة واحدة لمعرفة ذلك على وجه الدقة .

صاح فى ارتياع :

ـ رباه .. أطلقى المدفع مرة ثانية إذن .. أسرعى بالله عليك يا (سلوى) ..

قفزت أصابعها نحو أزرار الكمبيوتر ، قبل حتى أن يكتمل هتافه ؛ لتنطلق طلقة أخرى ، من الموجات فوق الصوتية ، المحمّلة بتلك الموجة المضادة فائقة القصر ، و ...

وفجأة ، تحطّم الكمبيوتر كله فى عنف ..

ثم ظهر ذلك العملاق الوهمى أمامهم ..

ظهر ضخمًا ..

هائلاً ..

وغاضبًا ..

وانطلقت من حلق (سلوى) شهقة مذعورة ، فى حين تراجع الدكتور (جلال) بكل رعب الدنيا ..

وانقضّ العملاق ..

وبمنتهى العنف .

* * *

٧ ـ المعركة الفاصلة ..

داخل تلك الكبسولة المنيعة ، المجهَّزة لحجب كل صور الطاقة ، والتى تحملها مركبة فضائية شديدة التطور ، إلى غياهب الكون الفسيح ، رقد جسم (س ـ ١٨) جامدًا ، ساكنًا ، وكأنما لم يتبق منه سوى غلاف خارجى ، من معدن غير معروف ، وغير قابل للاختراق ..

ولكن (نور) كان على حق بشأنه تمامًا ..

فالعمالقة الذين صنعوا (س ـ ١٨) ، منذ زمن أطول من أن يسجله التاريخ ، وزوّدوه بكل أسلحته ، وبرامجه التى تفوق أقوى البرامج ، التى ابتكرتها العقول الأرضية ، أضافوا إليه برنامج حماية خاصة ، يمنعه من استنفاد طاقته ، حتى آخر دفقة منها ..

ففى اللحظة ، التى يبلغ فيها منسوب الطاقة حد الخطر ، يوقف (س ـ ١٨) أجهزته كلها ، ويحتفظ فى بطارياته الخاصة بكم من الطاقة ، يبقيه فى حالة وعى ساكنة جامدة ..

حالة تكفى لأن تتأهب أجهزته وتتحفّز ، عند ظهور أى مصدر للطاقة من حوله ..

وداخل تلك الكبسولة ، كان (س ـ ١٨) معزولاً تمامًا ، عن كل مصادر الطاقة الخارجية ..

وليس الداخلية ..

فالأجهزة الإليكترونية الرقمية ، التى تحيط به ، وتعمل على رصده طوال الوقت ، وقياس أية انبعاثات خاصة من جسمه الآلى ، كانت تحوى بعض الطاقة ..

طاقة تعد ضئيلة للغاية ، بالنسبة إلى ما اعتاده ..

إلا أنها تمثل مصدرًا احتياطيًا قريبًا ..

وفى موقعه ، ودون أن تصدر عنه أية حركة ، توحى بعودته إلى العمل ، راحت أجهزته تحلّل موقفه ، وتدرس كم الطاقة المحيط به ..

كان هناك ما يكفى كحد أدنى ..

أقل حد أدنى ممكن ..

وفى ظروف كهذه ، تطلقه بعيدًا عن الكوكب ، الذى يضم سيّده (نور) والذى قطع ملايين الكيلومترات فى الفضاء ليصل إليه ، كان هذا الحد الأدنى كافيًا .. على الأقل لمنع الابتعاد عن الأرض أكثر وأكثر ..

لذا فقد بدأت أجهزة (س ـ ١٨) فى العمل بغتة ..

وفى نفس اللحظة ، التى سجّلت فيه الأجهزة المحيطة به ، عودته إلى العمل ، انطلقت أجهزته هو تمتص كل طاقاتها ..

وحتى آخر قطرة ..

ومع توقف الأجهزة كلها عن العمل ، اعتدل جسم (س ـ ١٨) ..

ثم انطلق ..

انطلق فجأة ، محطمًا جدران الكبسولة من حوله ، ومنطلقًا إلى الفضاء الخارجى ..

وكان هذا يستهلك كل الطاقة ، التى امتصها من الأجهزة المحيطة به ..

كلها تقريبًا ..

وهذا يعنى أن عليه أن يتزوّد بأكبر قدر من الطاقة ..

وفى أسرع وقت ممكن ..

ولادخار ما تبقّى له من طاقة ، ترك (س ـ ١٨) جسده كله يتوقّف ، ويسبح فى الفضاء ، بالقرب من القمر ، وأطلق أجهزته ، لترصد أى مصدر قريب للطاقة ..

ودلخل تلك الكبسولة ، كان (س ـ ١٨) معزولاً تماماً ، عن كل مصادر الطاقة الخارجية ..

وليس الداخلية ..

فالأجهزة الإليكترونية الرقمية ، التى تحيط به ، وتعمل على رصده طوال الوقت ، وقياس أية انبعاثات خاصة من جسمه الآلى ، كانت تحوى بعض الطاقة ..

طاقة تعد ضئيلة للغاية ، بالنسبة إلى ما اعتاده ..

إلا أنها تمثل مصدراً احتياطياً قريباً ..

وفى موقعه ، ودون أن تصدر عنه أية حركة ، توحى بعودته إلى العمل ، راحت أجهزته تحلل موقفه ، وتدرس كم الطاقة المحيط به ..

كان هناك ما يكفى كحد أدنى ..

أقل حد أدنى ممكن ..

وفى ظروف كهذه ، تطلقه بعيداً عن الكوكب ، الذى يضم سيده (نور) والذى قطع ملايين الكيلومترات فى الفضاء ليصل إليه ، كان هذا الحد الأدنى كافياً .. على الأقل لمنع الابتعاد عن الأرض أكثر وأكثر ..

لذا فقد بدأت أجهزة (س ـ ١٨) فى العمل بغتة ..

وفى نفس اللحظة ، التى سجلت فيه الأجهزة المحيطة به ، عودته إلى العمل ، انطلقت أجهزته هو تمتص كل طاقاتها ..

وحتى آخر قطرة ..

ومع توقف الأجهزة كلها عن العمل ، اعتدل جسم (س ـ ١٨) ..

ثم انطلق ..

انطلق فجأة ، محطماً جدران الكبسولة من حوله ، ومنطلقاً إلى الفضاء الخارجى ..

وكان هذا يستهلك كل الطاقة ، التى امتصها من الأجهزة المحيطة به ..

كلها تقريباً ..

وهذا يعنى أن عليه أن يتزود بأكبر قدر من الطاقة ..

وفى أسرع وقت ممكن ..

ولادخار ما تبقى له من طاقة ، ترك (س ـ ١٨) جسده كله يتوقف ، ويسبح فى الفضاء ، بالقرب من القمر ، وأطلق أجهزته ، لترصد أى مصدر قريب للطاقة ..

الطاقة التى لو لم يحصل عليها ، فى الوقت المناسب ، فربما يعود إلى الأرض فلا يجد فيها سيّده (نور) ..

أو أى بشرى آخر ..

أى بشرى ..

على الإطلاق ..

* * *

فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها ذلك العملاق الوهمى ، حاملاً كل طاقات المخ المزدوج الجبار ، خارج مركز الأبحاث العسكرية ، تحرّرت أطراف (أكرم) ، وفقدت جمودها ومرونتها دفعة واحدة ، فهتف فى لهفة :

ـ أخيراً ..

كان يشعر بخدر شديد فى ساقيه ، وباحتقان مؤلم فى رأسه وعينيه ، من جراء ذلك الوضع المقلوب ، إلا أنه كان يدرك أن ذلك الوحش الوهمى قد يعود فى أية لحظة ، بكل شراسته وقوته ، وتأثيراته الرهيبة ، لذا فقد استنفر كل قوته ، ومال بوسطه إلى أعلى ، لتمتد يداه إلى قيود ساقيه ، فى محاولة للتحرّر..

أما صورة (محمود) ، فقد عادت تتشكّل على نحو ما ، وسمعه (نور) يقول فى أعماقه :

ـ إنه أقوى مما تصوّرت بكثير يا (نور) .

لم يجب (نور) بحرف واحد ، وهو ثابت جامد فى موضعه ، فتابع (محمود) عبر عقله وحده :

ـ إنه سيعود فى أية لحظة ، ويدرك أن كل ما حدث لم يكن هو الخطة الأصلية .

أدار (نور) عينيه إليه ، دون أن يجيب ، فاستطرد (محمود) فى حزم :

ـ فالخطة الأصلية كانت أنت .. عقلك أنت يا (نور) .

مع قوله ، اندفعت صورته الوهمية بغتة نحو جسد (نور) ..

واخترقته ..

وغاصت فى أعماق عقله ..

فى أعمق أعماقه ..

وامتزجت العقول ..

كل العقول ..

عقول مئات من رهبان (التبت) ..

وطاقة (محمود) ..

وعقل (نور) ..

عقله ، الذى تدفقت فيه طاقة هائلة ..

ثم انطلق ..

وفى لحظة واحدة ، ودون أن يتحرك من مكانه ، رصد عشرات الأحداث ، التى ترتبط بموقفه ..

رصد استعدادات إطلاق الخطة (خطر ـ ٣) ..

والعد التنازلى ، الذى يشير إلى دقائق سبع ، قبل لحظة الصفر ..

ورصد موقع (س ـ ١٨) ..

ومحاولته البحث عن مصدر للطاقة ..

ثم تلك البقعة ، وسط الأطلال القديمة ..

البقعة التى انقض فيها ذلك العملاق الوهمى ، على (سلوى) ، والدكتور (جلال) ، والطاقم المصاحب لهما ..

كانت بقعة تفيض بالوحشية ..

والدم ..

والعذاب ..

فالعملاق الوهمى انتزع أحد أفراد الطاقم ، وطوّح به بعيدًا ، ليتحطّم جسده على جدار الأطلال ..

وانطلق الرجلان المتبقيان للفرار ، ولكنه ظهر أمامهما بغتة ، وانطلقت أصابع راحتيه ، لتخترق صدريهما ، وتتفجر منهما الدماء ، فى مشهد رهيب ..

وبكل رعبه وانفعاله ، وثب الدكتور (جلال) ، إلى مقعد السيارة ، وهو يصرخ :

ـ كنت أعلم أن هذا سيحدث .. كنت أعلم أن الكابوس سيصبح واقعًا .

لم يحاول حتى انتظار (سلوى) ، التى تجمّدت أطرافها فى رعب ، وإنما انطلق بالسيارة محاولاً الفرار ، إلا أن العملاق الوهمى انتزع مدفع الموجات فوق الصوتية ، وألقى به فى قوة ، ليهوى ساحقًا السيارة وراكبها معًا .

واحتبست صرخة رعب ، فى حلق (سلوى) ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ..

واستدار إليها العملاق الرهيب ، و ...

« لا .. » ..

انطلقت صرخة (نور) قوية مجلجلة ، وهو يحطِّم قيوده بقوة مدهشة ، تفوق قوته الطبيعية عشر مرات على الأقل ، ثم ينهض واقفًا فى حزم ، وهو يضيف ، بكل صرامة وغضب الدنيا :

ـ ليس (سلوى) .

قالها ، واتجه فى حزم نحو أجهزة الكمبيوتر ، التى تمدّ ذلك المخ المزدوج الضخم بكل ما يلزمه ؛ ليستمر ويحيا ..

وبكل حماسه ، صاح به (أكرم) ، وهو يواصل حل قيود كاحليه :

ـ حطمها يا (نور) .. حطمها كلها .

وقبل حتى أن تكتمل صيحته ، اختفى ذلك العملاق الوهمى ، من أمام (سلوى) ، وعاد يظهر داخل قاعة التجارب الرئيسية ، قائلاً فى غضب :

ـ هل تتصوَّر أنه بإمكانك أن تفعلها ؟!

استدار إليه (نور) بحركة حادة ، ورمقه بنظرة كنيران الجحيم ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ودون أن يتوقَّف ..

لقد واصل طريقه نحو أجهزة الكمبيوتر الرئيسية ، وهو يلتقط أحد المقاعد الثقيلة ..

وصرخ العملاق الوهمى ..

أطلق صرخة هائلة ، ارتج لها عقلا (نور) و (أكرم) ، قبل أن يشعر الأول بطاقة هائلة ، ترتطم بظهره ، وتقتلعه من مكانه ، وتلقى به ثلاثة أمتار كاملة ، نحو الجدار البعيد عن الأجهزة ..

وعلى الرغم من قوة وعنف الضربة ، سقط (نور) أرضًا ، ثم عاد يقف على قدميه فى سرعة ، وهو يقول ، بكل صرامة الدنيا :

ـ لقد كنت على حق أيها الوغد .. كلانا تكمن قوته فى عقله .

مع قوله ، فوجئ (أكرم) بصورة العملاق الوهمى تهتز فى عنف ، قبل أن تعاود تماسكها ، وهو يزمجر ، هاتفًا فى وحشية :

ـ إذن فقد ضمُّوك إلى تحالفهم .

أجابه (نور) فى قوة وصرامة :

- بل أصبحت الممثل الرسمى لاتحاد عقولهم وطاقاتهم أيها الوغد .

ثم استدار إلى أجهزة الكمبيوتر ، مضيفاً فى حزم :

- وهذا يعنى أننى لم أعد بحاجة إلى المقعد .

مع استدارته ، تحطمت شاشات أجهزة الكمبيوتر فى عنف ، فصرخ العملاق الوهمى صرخة غاضبة أخرى ، اقتلعت (نور) من مكانه مرة ثانية ، ودفعته عبر القاعة كلها ، ليرتطم بالجدار الآخر ، بمنتهى العنف والقوة ..

وعندما سقط أرضاً هذه المرة ، انطلقت كل الأجهزة والمقاعد الثقيلة نحوه ، بطاقة ذلك المخ المزدوج ، وراحت ترتطم به فى عنف ..

كان ارتطامها يكفى لإفقاده الوعى ، فى الظروف العادية ..

ولكن ليس فى حالته هذه ..

ليس عندما يحمل عقله طاقة كل هذه العقول ..

وعلى الرغم من إصابات جسده العديدة ، نهض (نور) واقفاً على قدميه ، وهو يقول :

- إنه صراع عقول ، كما كنت تقول يا هذا .

زمجر العملاق ، هاتفاً :

- لكل عقل طاقاته وإمكانياته أيها المقدَّم .

أطلق (أكرم) صرخة ظافرة هذه المرة ، عندما انحلت قيود ساقيه ، وهوى جسده من أعلى ..

هوى ليرتطم بذلك الوعاء الزجاجى الكبير ، الذى يحوى ذلك المخ المزدوج الضخم ..

ومع ارتطامه بالزجاج السميك ، ترك (أكرم) جسده ينزلق إلى الأرض ، وهو يهتف فى حماس :

- لقد تحررْنا يا (نور) .

مع هتافه ، أطلق العملاق الوهمى زمجرة أخرى ، شعر معها (أكرم) وكأنه قد تلقى لطمة هائلة ، انتزعته من مكانه ، ودفعته إلى أعلى مرة أخرى ، ليرتطم بالسقف بمنتهى العنف ، ثم يسقط مرتطماً مرة أخرى بالأرضية الرخامية ..

ومع سقوطه ، انقضّ (نور) مرة أخرى ..

اندفع نحو ذلك الوعاء الزجاجى الكبير ، ووثب وثبة مدهشة ، تفوق ما كان من الممكن أن يبلغه قديماً ، ليصل إلى قمته ، ثم يثب منه وثبة أكثر قوة ، نحو أجهزة الكمبيوتر ..

وانطلقت صرخة أخرى من العملاق ..

وانطلقت معها طاقة هائلة ، ارتطمت بجسد (نور) ، ودفعته مرة أخرى بعيدًا عن الأجهزة ..

وعلى الرغم من عنف الارتطام وقوته ، ومن اندفاع جسده في الهواء ، صرخ (نور) :

ـ الأسلاك .. الأسلاك يا (أكرم) .

قالها ، ثم استخدم كل قواه العقلية ، الناشئة عن اتحاد مئات العقول ؛ ليدفع مائدة ثقيلة ، نحو أجهزة الكمبيوتر ..

وبرد فعل مدهش ، وعلى الرغم من آلامه ، وثب (أكرم) نحو الأسلاك ، وقبض عليها في قوة ..

وصرخ العملاق مرة جديدة ..

وانطلقت مع صرخته دفقتان من طاقة هائلة ..

دفقة أطاحت بتلك المائدة الثقيلة ، قبل أن تبلغ أجهزة الكمبيوتر الرئيسية ..

والثانية أطاحت بـ (أكرم) ..

ولكن (أكرم) كان يتشبث بالأسلاك ..

وبكل قوته ..

لذا ، فقد جذبها معه ..

وبمنتهى القوة أيضًا ..

ومع شرارة عنيفة ، تمزقت الأسلاك ، التي تربط أجهزة الكمبيوتر الرئيسية بوعاء المخ المزدوج الرهيب ..

تمزقت في قوة ، لتقطع الاتصال تمامًا ، بين المخ ، وكل أجهزة الكمبيوتر ..

وبكل غضب الدنيا ، صرخ العملاق الوهمي :

ـ ستدفع ثمن كل هذا .

راح (أكرم) يحاول النهوض في صعوبة ، في حين قال (نور) في صرامة :

ـ أي ثمن أيها الحقير .. لقد انقطعت صلاتك بكل سبل الإعاشة الآن .

ثم شد قامته ، وخرج من بين شفتيه صوت عميق قوي ، لا يشبه صوته أبدًا ، وهو يضيف ، في صرامة أكثر :

ـ لقد خسرت معركتك .

وهتف (أكرم) في ظفر ، وهو ينهض واقفًا على قدميه :

ـ خسرتها بجدارة .

ظلت صورة العملاق الوهمى قوية واضحة ، وهو يقول بكل السخرية :

ـ خسرت ؟! أهذا ما تتصورانه ؟! خطأ أيها المتحذلقين .. لقد ربحت معركتى بالفعل .. ربحتها تمامًا .

انعقد حاجبا (أكرم) ، فى محاولة لفهم ما يعنيه ذلك العملاق الوهمى بقوله هذا ، فى حين شد (نور) قامته أكثر ، وهو يستمع إليه يتابع :

ـ الأسلاك التى فصلتماها تلغى برنامج ذاكرة (ميجا) فحسب ، ولم أعد بحاجة إليها فى الواقع .. كل شىء أصبح مخزونًا داخلى بالفعل .. أما أجهزة الإعاشة والاستمرار ، فتتصل بى ، عبر كابلات خاصة تحت أرضيته .

سرت ارتجافة فى جسد (أكرم) ، وبدا (نور) شديد الصرامة ، والعملاق الوهمى يضيف فى شماتة :

ـ سأبقى أيها المتحذلقين .. سأبقى بعد أن تذهبا .. وبعد أن يبدأ تنفيذ الخطة (خطر ـ ٣) ، بعد دقيقتين وست ثوان فحسب .

ثم أطلق ضحكة عالية ، ساخرة ، شامتة ، ظافرة ، قبل أن يقول فى وحشية متشفية :

ـ والآن .. من ربح المعركة ؟!

انطلقت ضحكاته فى عقليهما مرة أخرى ، على نحو يوحى بأنه قد ربح معركته بالفعل ، فامتقع وجه (أكرم) فى شدة ، فى حين انعقد حاجبا (نور) فى صرامة ، وعقله ينطلق بكل طاقاته الجديدة ..

فمع هذا التطور الجديد ، كان السؤال مطروحًا بحق ..

من المنتصر حقًا فى هذه المعركة ؟!

المعركة الفاصلة ، فى قتال العقول ..

وفى مستقبل الأرض ..

لو تبقى لها مستقبل !

* * *

سجن القمر(*) ..

هذا هو المكان ، الذى رصدت فيه أجهزة (س ـ ١٨) مصدرًا للطاقة ..

البطاريات القديمة ، التى كانت تمد السجن كله بالطاقة ، قبل أن يتم إغلاقه إلى الأبد ، إثر أحداث عنيفة قديمة ..

ودون أن يضيع لحظة واحدة ، استخدم (س ـ ١٨) آخر ما تبقى له من طاقة ، لينطلق نحو القمر ..

(*) راجع قصة (سجن القمر) ... المغامرة رقم (٤٨) .

ونحو سجن القمر ..

وهناك ، وبآخر دفقة لديه من الطاقــة ، أوصل بطارياتــه بتلك البطاريات النووية ، و ...

وراح يمتص الطاقة ..

محيط من الطاقة النووية الصافية ، تدفق إلى أجهزته ..

وبرامجه ..

وأسلحته ..

طاقة تكفى لإنارة مدينـة كبيرة ، استوعبتها بطارياتــه الفائقة ، فى يسر وسهولة ..

وانطلقت أجهزته كلها تعمل ..

بمنتهى القوة ..

ومنتهى الكفاءة ..

وعندما اطمأن إلى أنه قد استنزف طاقة بطاريـات سجن القمر كلها ، عاد (س ـ ١٨) ينطلق ..

نحو الأرض ..

مباشرة ..

* * *

« هيا .. اعترف أنك قد خسرت أيها المقدّم .. » ..

نطقها العملاق الوهمى ، فى سخرية ظافرة شامتة ، وصورته تبدو بنفس قوتها ووضوحها ، على نحو يوحى بأنه لم يخسر شيئاً من طاقته وقوته ، وعلى الرغم من توقف أجهزة الكمبيوتر المختلفة ، فما زال تزويده بسيل الحياة ، عبر ذلك السائل الحيوى ، الذى يحيط بالمخ المزدوج مستمراً ..

ولم يجب (نور) ..

فقط أغمض عينيه فى قوة ، وترك عقله ينطلق ..

وينطلق ..

وينطلق ..

أما (أكرم) ، فقد شمله غضب هائل ، جعله يلتقط أحد المقاعد الثقيلة ، ويطلق صرخة قوية ، وهو يندفع به نحو الوعاء الزجاجى للمخ الضخم ..

واستدار إليه العملاق الوهمى ..

وانطلقت تلك الطاقة الوحشية الرهيبة ..

انطلقت تقتلع (أكرم) ومقعده ، وتطيح بهما بعيداً بقوة ..

بل بمنتهى العنف ..

ولم يشعر (أكرم) فى حياته كلها بالألم ، مثلما شعر به ، مع ذلك العنف الرهيب ، الذى ارتطم به جسده فى الجدار ..

وبنفس العنف ، سقط (أكرم) أرضًا ، وارتطم به ذلك المقعد الثقيل الكبير ..

وتضاعفت الآلام أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وفى نفس اللحظة ، التى أشارت فيها شاشات العد التنازلى ، إلى تبقى دقيقة وعشرين ثانية فحسب ، قبل إطلاق الخطة (خطر - ٣) ، نهض (أكرم) فى صعوبة ، بجرح كبير فى جبهته ، وهو يقول فى غضب :

- أيها الحقير .. لو أن مسدسى معى الآن ، لعلمتك كيف يكون القتال الحقيقى .

انطلقت زمجرة العملاق الوهمى باللغة الوحشية هذه المرة ، فى أعماق عقله ، قبل أن يسمعه يقول ، بمنتهى الغضب والشراسة :

- آه .. بمناسبة الحديث عن مسدسك ، هناك ثأر خاص ينبغى أن أحظى به ، قبل أن يفوت الوقت .

وازداد صوته وحشية وشراسة ، وهو يتجه نحو (أكرم) مباشرة ، مستطردًا :

- وقبل أن نفنى جميعًا مع الأرض كلها .

ولأول مرة ، فى حياته كلها تقريبًا ، شعر (أكرم) بكل هذا الخوف ، وهو يتراجع أمام ذلك العملاق الوهمى الرهيب ، الذى توقف على مسافة متر واحد منه ، ثم انحنى نحوه ، بوجهه الضخم ، الخالى من الملامح ، وهو يقول بنفس الوحشية الشرسة :

- قل لى يا عضو الفريق الهمجى : فى أى ركن من أركان القاعة ، تحب أن ترى قلبك ، قبل أن تلقى مصرعك ..

انتفض (أكرم) مع قوله ، وتراجع أكثر وأكثر ، حتى التصق بالجدار ، فأطلق العملاق ضحكة وحشية أخرى ، ودفع يده الضخمة نحو صدره ، مضيفًا :

- حتى مع كل الطاقة فى عقل قائدك ، لن يوجد ما يمكن أن يمنعنى عن انتزاع قلبك من بين ضلوعك ، كآخر متعة أقوم بها ، قبل أن تفنى الأرض .

وغاصت يده فى صدر (أكرم) ..

وشهق عضو فريق (نور) ، شهقة قوية عنيفة ..

شهق مع تلك القبضة الباردة كالثلج، التي أمسكت قلبه ..

واعتصرته ..

و ....

« (س ـ ١٨) .. » ..

أطلق (نور) الصرخة فجأة، بكل ما يملك من قوة، وكل ذرة في كيانه ترتجف، كما لم يحدث أبدًا من قبل ..

ثم استدار نحو العملاق الوهمي الهائل ..

العملاق، الذي شعر بقوة عقلية هائلة، تجتاح خلايا مخه المزدوج كلها، في آن واحد ..

قوة جعلت جسده الوهمي يتلاشى دفعة واحدة ..

مع تلك القبضة الباردة كالثلج، التي أوشكت على انتزاع قلب (أكرم) من صدره ..

وشهق (أكرم) مرة أخرى ..

شهق ..

وشهق ..

وشهق ..

أما قلبه، فقد انتفض بين ضلوعه كطير مبتل، على نحو جعله يلهث في عنف، ويسقط على قدميه، ورأسه كله يدور في عنف ..

وأمام عينيه الزائغتين الغائمتين، رأى صورة العملاق الوهمي تتجسد مرة أخرى، وهو يواجه (نور) بزمجرة وحشية رهيبة، هاتفًا:

ـ هو صراع عقول إذن.

شدّ (نور) قامته في قوة، وهو يجيب:

ـ نعم .. هو كذلك.

أجابه العملاق الوهمي في غضب:

ـ لو تصورت أن اتحاد عقولهم، مع طاقة زميلك السابق داخلك، يمكنهم هزيمة عقلي، فأنت واهم .. حتى تلك الأطلنطي الآلي، لن يمكنه إنقاذك مني .. إنني المنتصر الأول دائمًا، في صراع العقول.

أطلق (نور) كل الطاقة المختزنة في عقله، وهو يقول:

ـ (س ـ ١٨) لديه مهام أكثر أهمية.

ثم اعتصر كل ما تبقى، مستطردًا:

ـ ودعنا نحن نرى انتصارك يا وغد العقول.

زمجر العملاق الوهمى مرة أخرى ، وهو يصرخ :

ـ فليكن أيها المقدَّم .. سأمزِّق عقلك إربًا .. سأسحق كل خلية ، من خلاياه الرمادية والبيضاء .. وسأفعل هذا قبل مرور الثوانى الثلاثين ، التى تبقَّت من عمر الأرض .

أنهى صرخته بزمجرة وحشية رهيبة أخرى ، قبل أن يطلق بدوره كل طاقات عقله ، نحو عقل (نور) ..

وانتفض قلب (أكرم) بين ضلوعه مرة أخرى بمنتهى العنف ..

فها هو يشهد الجولة الأخيرة فى صراع العقول الرهيب ..

المعركة الفاصلة ، التى ستحسم مصيره ومصير (نور) ..

بل مصير الأرض والبشر ..

كل البشر ..

* * *

٨ ـ الختام ..

فجأة ، تشكَّلت صورة (نور) ، أمام (س ـ ١٨) ، وهو ينطلق عائدًا إلى الأرض ..

تشكَّلت على نحو مباغت ، جعل الأطلنطى الآلى يتوقف فى الهواء ، ويستنفر كل أجهزته ، فى محاولة لاستيعاب هذا الموقف ، الذى لا تحوى برامجه أية سوابق مسجلة له ..

وقبل أن يكتمل تحليله للموقف ، سجلت أجهزته صوت سيده ..

صوت (نور) ، وهو يقول فى حزم :

ـ أوقف الخطة (خطر ـ ٣) يا (س ـ ١٨) .

ومع القول ، الذى بدا واضحًا جليًا ، تدفَّقت إلى برنامج (س ـ ١٨) كل المعلومات والأرقام والبيانات ، الخاصة بخطة الفناء الشامل ..

لم يكن هناك مصدر واضح لكل هذه المعلومات ..

ولكن الصوت كان صحيحًا ، كما أكدت كل الأجهزة ..

كان صوت (نور) ..

سيِّده الوحيد (نور) ..

وبصوته الآلى الجاف ، ردَّد (س ـ ١٨) العبارة الوحيدة ، المسجَّلة داخله ، بكل لغات الدنيا :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيِّدى .

ثم انطلق ..

انطلق بكل الطاقة ، التى زوِّد بها بطارياته ، من سجن القمر ..

انطلق نحو هدف واحد واضح ، حدَّدته برامجه بدقة ، بعد أن حلَّلت بسرعة خرافية ، كل ما تدفَّق إليها من بيانات ومعلومات ، وأرقام دقيقة واضحة ..

كان العد التنازلى يشير إلى سبع وعشرين ثانية ..

ست وعشرون ..

خمس وعشرون ..

وزاد (س ـ ١٨) من سرعته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

لم ينطلق نحو الأقمار الصناعية ، التى تحمل مدافع الليزر القوية ، والتى تم تصويبها إلى الأهداف الرئيسية ، فى (أوروبا) و (أمريكا) و (الصين) ..

ولم ينطلق نحو قواعد الصواريخ النووية ، الموزعة عبر البلاد ..

أو حتى نحو منصات مدافع البروتون ..

لقد انطلق نحو بقعة شبه خالية ، من المنطقة المتاخمة للصحراء الغربية الواسعة ..

بقعة أقيم فوقها مبنى صغير ، من طابق واحد ..

وبسرعة خرافية ، وقوة جمعت كل طاقاته ، انقضّ (س ـ ١٨) على ذلك المبنى الصغير ..

عشرون ثانية تبقَّت ..

تسع عشرة ..

ثمان عشرة ..

واخترق (س ـ ١٨) المبنى ..

واخترق الأرض تحته أيضًا ..

وبكل قوته ، راح (س - ١٨) يحفر ..

ويحفر ..

ويحفر ..

عشر ثوان فقط ..

تسع ..

ثمان ..

وتوصل (س - ١٨) إلى الكابل الرئيسى ، الذى ينقل بيانات العد التنازلى الرقمية ، إلى كل المواقع ..

وبطلقة ليزرية مركزة من عينيه ، شق (س - ١٨) ذلك الكابل الرئيسى ، قبل ثوان خمس فحسب ، من لحظة الصفر ..

وتوقف العد التنازلى دفعة واحدة ..

وفى كل مواقع الإطلاق ، وعبر أجهزة الكمبيوتر ، تلقت كل الأسلحة المتأهبة والمتحفزة رسالة واحدة واضحة ..

« تم إيقاف تنفيذ (خطر - ٣) ، لحين صدور أوامر أخرى » ..

ومع تلك الرسالة ، سرت قشعريرة فى جسد أركان حرب وزير الدفاع ..

وفى وقت واحد تقريبًا ، تنفس الجميع الصعداء ، وحمدوا الله (عزّ وجلّ) ، على توقف تلك المذبحة البشرية الرهيبة ، قبل أن تبلغ مرحلة التنفيذ اللارجعية ..

* * *

ذلك العملاق الوهمى وحده ، أطلق زمجرة ثائرة غاضبة ، حملت كل وحشيته وشراسته ، وهو يصرخ :

- لا .. لن تربح المعركة أبدًا يا (نور) .. حتى رجلك الأطلنطى الآلى لن يجعلك تربحها ..

ارتجف قلب (أكرم) بين ضلوعه ، وتراجع فى حذر زائد ، محاولاً بلوغ أسطوانة الإطفاء الكبيرة فى ركن القاعة ، مستغلاً تلك المواجهة العقلية الرهيبة ، بين (نور) ، وذلك المخ المزدوج الرهيب ..

وكان من الواضح أن (نور) يعانى كثيرًا من هذه المواجهة ..

لقد ظل جسده فى مكانه ، إلا أنه راح يرتجف بمنتهى القوة ، ووجهه يشحب على نحو عجيب ، و ...

« إرادتك يا (نور) .. »

تردَّد القول فى أعمق أعماقه ، بصوت زميله (محمود) ، وانبعثت طاقة إضافية فى كيانه ، وهو يتابع :

ـ ربما تتفوق عليك قواه العقلية يا (نور) ، ولكنه لن يهزم إرادتك أبدًا .. أبدًا يا (نور) .. لهذا انتخبوك من بين الجميع يا (نور) .. قواك العقليـة تتضاعف كثيرًا ، عندما تمتزج بإرادتك الفولاذية .

استنفر (نور) إرادته ، وهو يواجه ذلك المخ الرهيب ، بكل الطاقة ، التى منحه إياها (محمود) ، وأضافتها إليه عقول مئات من رهبان (التبت) ..

وفى أعماق أعماق عقله ، بدا له وكأن خلايا مخه تذوب ..

وتذوب ..

وتذوب ..

« لاتدعه يهزمك يا (نور) .. إنها المعركة الحاسمة .. لو انتصر سيبقى ، وسيعيد بناء كل شىء .. الخطر سيستمر يا (نور) .. اهزمه .. اهزمه بإذن الله (سبحانه وتعالى) يا (نور) .. »

تردَّد صوت (محمود) مرة أخرى فى أعماقه ، فاستنفر (نور) كل إرادته ..

استنفرها أكثر وأكثر ..

ولكن ذلك العملاق كان يجند كل طاقاته العقلية الرهيبة ..

وكان يطلقها كلها نحو عقل (نور) ..

ومخه ..

وكيانه كله ..

و ...

« مت أيها الوغد .. » ..

صرخ بها (أكرم) ، وهو يهوى بأسطوانة الإطفاء القويـة ، على ذلك الوعاء الزجاجى السميك بكل قوته ..

ولكن الزجاج لم يتحطَّم من الضربة الأولى ..

كل ما حدث هو أن العملاق قد استدار إليه ، بكل غضب الكون ، وأطلق صرخة وحشية ..

صرخة أطارت أسطوانة الإطفاء معها ، من يدى (أكرم) ، قبل أن يطير جسده كله ، ويرتطم بالجدار ، ثم ترتطم به الأسطوانة بمنتهى العنف ..

وتأوّه (أكرم) فى ألم، وهو يسقط أرضًا، و ...

« الآن يا (نور) .. الآن .. » ..

تردّد الهتاف فى أعمق أعماق (نور)، فى نفس اللحظة، التى تشتّت فيها ذلك المخ المزدوج لحظة، للدفاع عن كيانه.

وانطلقت كل طاقات (نور) ..

طاقات عقله ..

وإرادته ..

وحبه لوطنه وكوكبه ..

كل هذا استجمعه فى انقضاضة عقلية واحدة، حوت كيانه كله تقريبًا ..

وارتجّ ذلك المخ المزدوج فى عنف ..

ارتجّ، وكأنه لايصدق أنه يواجه هذه الطاقة الرهيبة، من شخص واحد .. ولثانية أو اثنتين، توقّفت موجاته العقلية كلها ..

وبسرعة خرافية، وإرادة من فولاذ، وثب (نور)، يلتقط أسطوانة الإطفاء، التى سقطت من (أكرم)، ثم انقض بها على ذلك الوعاء الزجاجى السميك، صارخًا:

ـ الآن مت.

وبقوة جمعت كل مامنحه إياه مئات العقول، هوى (نور) بالأسطوانة المعدنية الثقيلة، على الوعاء السميك ..

وفى موقعه، خُيّل لـ (أكرم) أنه قد سمع صرخة هائلة ..

صرخة رعب وذعر وارتياع، تحمل ذلك الصوت، الذى طالما مقته ..

صوت ذلك المسخ الرهيب ..

وبمنتهى العنف، تحطّم الوعاء الزجاجى السميك، وتطايرت أجزاؤه عبر القاعة الكبيرة، وتدفّق ذلك السائل الحيوى، المحيط بالمخ المزدوج، ليسيل على أرضية القاعة ..

ومرة أخرى، سمع عقل (أكرم) صرخة المسخ ..

سمعها، و (نور) يرفع الأسطوانة مرة أخرى، ثم يهوى بها عليه ..

وكان المشهد بشعًا بحق، عندما هوت الأسطوانة الثقيلة على المخ المزدوج، لتمزّقه وتسحقه، وتطحن خلاياه بعضها ...

وفى هذه المرة، لم يسمع عقل (أكرم) أية صرخة ..

لقد توقّفت صرخات خصمهم الرهيب ..

إلى الأبد ..

وفى آلية عجيبة ، تراجع (نور) ، ووقف على مسافة متر واحد من ذلك المخ المزدوج ، وتطلع إليه بعينين جامدتين ، خاويتين ..

وعلى الرغم من فرحته العارمة ، وجد (أكرم) نفسه يغمغم فى شىء من الحذر :

ـ رباه ! لقد فعلتها .. لقد هزمت هذا الوغد الحقير يا (نور) .. لقد فعلتها يا صديقى .

ظلّ (نور) ثابتًا فى مكانه ، يتطلع إلى ذلك المخ الممزق بنفس النظرة الخاوية ، و ...

وفجأة ، اشتعلت النيران فى المخ ..

لم يدر (أكرم) مصدرها ، إلا أنها قد اشتعلت بغتة ، فى كل خلية تبقت منه ، وراحت تلتهمه فى سرعة مدهشة ..

وبنفس الجمود العجيب ، وقف (نور) يراقب النيران ، حتى التهمت خلايا المخ عن آخرها ..

وعندئذ ، وبدون أية مقدمات ، هوى (نور) كالحجر ، كما لو أنه مجرد جثة هامدة ، خلت تمامًا من كل أثر للحياة ..

وبكل لوعة الدنيا ، صرخ (أكرم) ، وهو يندفع نحوه :

ـ لا .. لا يا (نور) .. لا ..

كان (نور) باردًا كالثلج ، جامد الملامح ، يحدق فى الفراغ بعينين خاويتين ، وأنفاسه تتردد فى ضعف وبطء شديدين ..

وبكل هلعه ، احتواه (أكرم) بين ذراعيه ، وهو يصرخ :

ـ لا ليس (نور) .. ليس (نور) .. النجدة ..

كان قلبه يتمزق بين ضلوعه فى عنف ، وهو يصرخ طالبًا النجدة ، من أجل قائده وأصدق صديق عرفه عبر عمره كله ..

وكان من الواضح أن صراع العقول الرهيب ، الذى خاضه (نور) ، من أجل الأرض ، فى معركته الحاسمة الأخيرة ، قد استنزف كل طاقاته البشرية ..

كلها بلا استثناء ..

وحتى آخر قطرة ..

* * *

ران هدوء عجيب مهيب ، على تلك القاعة الخاصة ، فى المستشفى العسكرى ، حيث رقد (نور) ..

كان ساكنًا تمامًا ، على فراش صغير ، وقد اتصلت برأسه وجسده عشرات الأجهزة الرقمية الحديثة ، ووسائل الإعاشة الصناعية المتطورة ..

وبكل مرارة الدنيا ، بكت (سلوى) أمام المشهد ، وهى تقول :

ـ رباه ! ماذا أصابك يا (نور) ؟! ماذا أصابنا جميعًا ؟! لقد حطمتنا هذه المواجهة ، كما لم تفعل أية مواجهات سابقة .

ربت الدكتور (حجازى) على كتفها ، قائلاً فى حزن :

ـ لقد أنقذتم الأرض مرة أخرى يا بنيتى ، وهذا يستحق كل التضحية .

قالت فى مرارة ، ودموعها تغرق وجهها :

ـ لقد خسرت ابنتى ، وزوجها ، وزوجى أيضًا .. إنها تضحية كبيرة للغاية يا دكتور (حجازى) .. تضحية تفوق قدرتى على الاحتمال .

أومأ برأسه متفهمًا ، وهو يقول مشفقًا :

ـ (رمزى) و(نشوى) حالتهما مستقرة ، وربما يعودان إلى العمل ، خلال شهرين أو ثلاثة على الأكثر .

سألت ، ودموعها تنهمر أكثر وأكثر :

ـ وماذا عن (نور) ؟!

شعر (أكرم) بغصة فى حلقه ، منعته من نطق حرف واحد ، وانهمرت دموعه التى حبسها عن عينيه ، فى أعماق أعماق قلبه ، وهو يتطلع إلى (نور) فى أسى ، فى حين أجاب الدكتور (حجازى) :

ـ الأطباء عاجزون عن تشخيص حالته ، حتى هذه اللحظة يا بنيتى .. معدلاته الحيوية كلها منخفضة ، إلى حد يكفيه بالكاد للبقاء على قيد الحياة ، أما نشاط مخه ، فيكاد يكون متوقفًا ، لولا المنحنيات الضعيفة ، التى يرسمها رسام المخ الرقمى .. إنها حالة أشبه بغيبوبة عميقة للغاية .. أو كأنه لم يعد ينتمى إلى عالمنا .

سألته ، وهى تبكى بدموع ملتهبة :

ـ هل تعتقد أن لهذا علاقة بذلك الخبر ، الذى تحدثت عنه وكالات الأنباء عن الغيبوبة العميقة ، التى أصابت رهبان التبت ، فى كل أنحاء العالم ..

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، قائلاً :

ـ لست أدرى يا بنيتى .. الرهبان استعادوا وعيهم ، بعد بضع ساعات من سقوطهم فى غيبوبتهم الجماعية المفاجئة ، ولكن (نور) لم يفعل ..

سألته بكل المرارة :

- ومتى سيفعل ؟!

هزّ كتفيه مرة أخرى ، دون أن يجيب ، فانهمرت دموعها أكثر وأكثر ، وتضاعفت تلك الغصة فى حلق (أكرم) ، ودموع قلبه تلهب عروقه ، وهو يهتف فى أعمق أعماقه .

« ستعود يا صديقى .. ستعود إلينا يومًا ما ، بإذن الله -سبحانه وتعالى- .. وسأنتظر عودتك .. سأنتظرك دومًا يا صديق العمر .. » ..

لم تكن عبارته قد اكتملت فى أعماقه ، عندما سمع شهقة العاملين فى قسم الطوارئ القصوى ، فاستدار مع (سلوى) والدكتور (حجازى) فى سرعة ، قبل أن تهتف هى ، فى لهجة امتزجت فيها الفرحة بالدهشة :

- (س - ١٨) ؟!

كان (س - ١٨) يقف خلفهم تمامًا ، متطلعًا بعينيه الحمراوين إلى سيّده الوحيد ..

إلى (نور) ..

وفى حماس حقيقى ، هتف الدكتور (حجازى) :

- (س - ١٨) !! لايمكنك أن تتصوّر مدى سعادتى بعودتك إلينا .

لم يبد على (س - ١٨) أنه قد سمع عبارته ، وهو يتقدّم فى آلية ، ليقف ملاصقًا تمامًا للحاجز الزجاجى ، الذى يفصلهم عن (نور) ..

وعلى الرغم من سعادته لرؤيته ، لم ينطق (أكرم) بحرف واحد ..

فقط تطلّع إليه ، وهو يراقب (نور) فى اهتمام ..

وفى داخل (س - ١٨) ، راحت أجهزته تدرس هذا الموقف ..

موقف (نور) ، الراقد وسط كل هذه الأجهزة ..

وبسرعة ، استوعب الأمر كله ..

استوعب أن سيّده يرقد هناك ، فى غيبوبة بالغة العمق ..

غيبوبة ، تشير كل الأجهزة المحيطة به ، إلى أن انتهائها أمر لايمكن تحديده أو التنبؤ به أبدًا ..

« هل سيعود يا (س - ١٨) ؟! »

هتفت (سلوى) بالعبارة فى لهفة ، وكأنها تنشد الجواب لدى الأطلنطى الآلى ، فغمغم الدكتور (حجازى) :

ـ إنه مجرد شخص آلى يا بنيتى .

تمتم (أكرم) بصوت متحشرج :

ـ إننى أثق فيه تماماً ..

وتردد لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ كصديق .

أما (س ـ ١٨) ، فقد استدار فى هدوء ، واتخذ وقفة قوية ثابتة ، إلى جوار باب قاعة (نور) الطبية ، كما لو كان حارساً خاصاً ، وهو يردد العبارة الوحيدة ، المسجلة داخله :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

فمع ما أكدته كل أجهزته الداخلية ، كان عليه أن يؤدى مهمة أساسية طوال الوقت القادم ..

حماية سيده ..

وحتى يستعيد وعيه ..

مهما طال الزمن ..

وبالنسبة إليه ، كانت هذه مهمة خاصة جداً ..

فمن بين كل العمالقة ، الذين تولّى خدمتهم ، عبر آلاف السنين ، كانت أجهزته كلها تؤكد أن (نور) أفضلهم ..

وأعظمهم ..

وآخرهم ..

آخر أسياده ..

وآخر العمالقة .

* * *

تمت بحمد الله

آخر العمالقة

- ما مصير (نور) و (أكرم) ، بعد أن وقعا فى قبضة المخ الرهيب ؟!
- كيف سيتمكن الفريق ، من مواجهة ذلك الخصم الذى امتلك السيطرة على كل العقول
- ترى من ينتصر فى هذه الجولة الأخيرة ، ومن يصبح فى النهاية (آخر العمالقة) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه معركتهم الأخيرة .. من أجل الأرض ..

المؤسسة العربية الحديثة

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

150

الثمن
وما يعادلها
فى سائر

مطابع